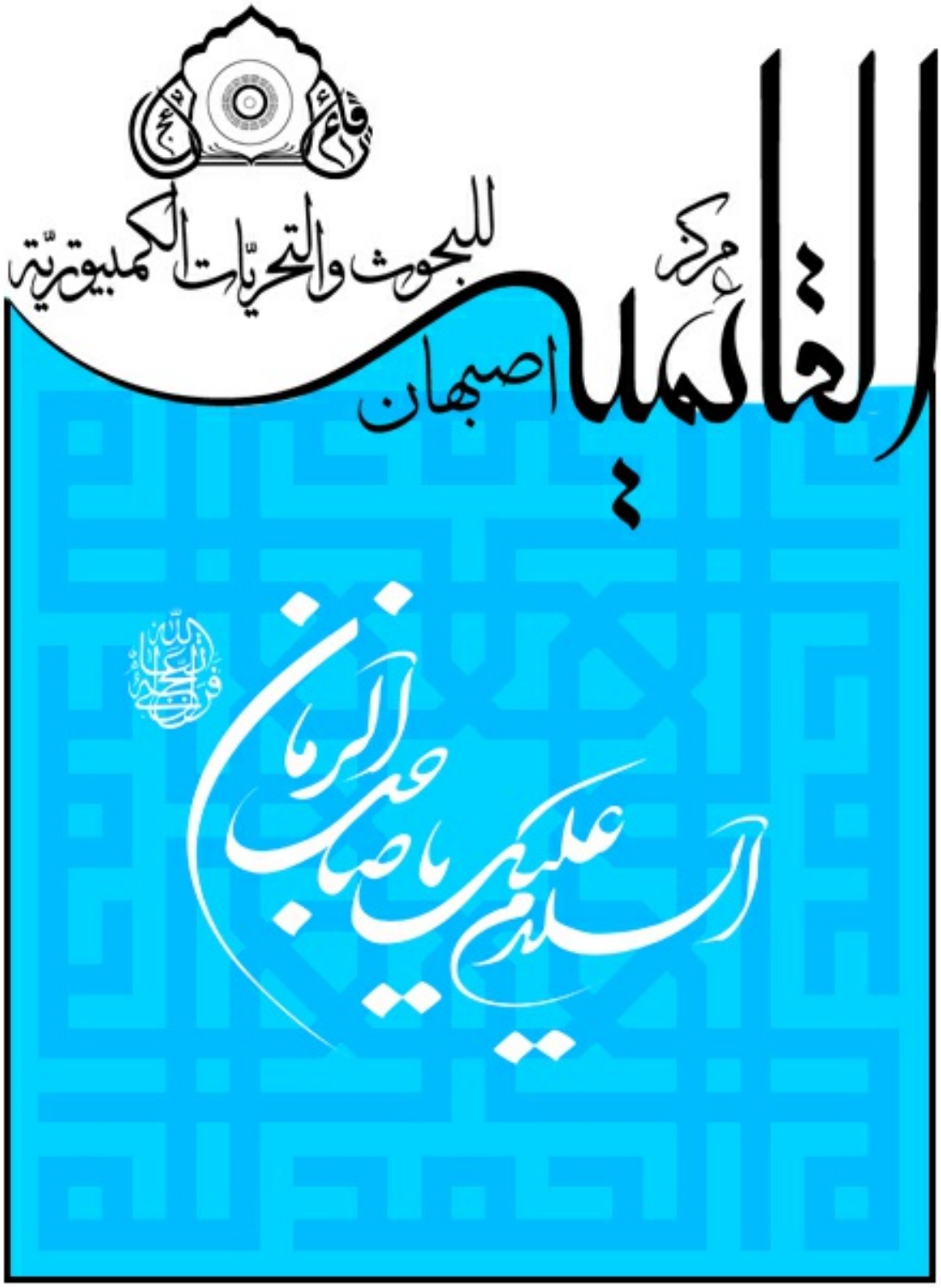

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

المحقق آية الله الشيخ محمد السند

المحاضرات العلمية الأدبية

في

ميراث النهضة الحسينية

الشيخ علي الأسدي

بسم الله الرحمن الرحیم

الحداثة العولمة الارهاب فى ميزان النهضة الحسينية

كاتب:

محمد السند

نشرت فى الطباعة:

فرصاد

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵

الحداثه العولمه الارهاب فی میزان النهضه الحسینیه ----- ۱۶

اشاره ----- ۱۶

اشاره ----- ۱۶

اُلمقدمهُ ----- ۲۲

الحداثه بین النظریه و التطبیق ----- ۲۶

المحاضره الأُولی:الفرق بین الشریعه والدین ----- ۲۶

اشاره ----- ۲۶

الشریعه والدین والفرق بینهما ----- ۲۸

الدین الإسلامی خالد ----- ۲۹

اشاره ----- ۲۹

المجتمعات العلمانیه بین قبول الدین ورفضه ----- ۲۹

الدین واحد والشرائع متعدده ----- ۳۰

النسخ یقع فی الشرائع دون العقائد ----- ۳۲

اشاره ----- ۳۲

شواهد قرآنیه علی وحده الدین ----- ۳۴

الشریعه والدین وقضیه الغدیر ----- ۳۵

آیه الموده وقضیه الإمامه ----- ۳۶

المحاضره الثانیه:المدارس الغربیه الحدیثه التی واجهت الکنیسه وتحکم رجال الدین المسیحیین ----- ۳۸

اشاره ----- ۳۸

نشأه العلمانیه والحداثویات ----- ۴۰

اشاره ----- ۴۰

الأُولی.السکولارزم Secu Larism ----- ۴۲

الثانیه.مدرسه البلورالیسم Pluralism ----- ۴۲

المدرسه الثالثه.المدرسه الهرمونطيقا Hermenutics ---- ۴۴
اشاره ---- ۴۴
الأثر الإيجابى للمدرسه الهرمونطيقا على النقد الأدبى ---- ۴۵
المحاضره الثالثه:إثارات العلمانيين الغربيين حول الإسلام ---- ۴۸
المحاضره الرابعه مناقشه آراء مدرسه البلوراليسم ---- ۵۸
اشاره ---- ۵۸
مدرسه البلوراليسم بين الاتفاق والاختلاف ---- ۶۰
اشاره ---- ۶۰
الرد على هذه الشبهه. ---- ۶۱
العقل الجماعى ومفهوم الشورى الصحيح فى الإسلام ---- ۶۲
مفاتيح العلوم عند النبى الأكرم صلى الله عليه و آله ---- ۶۴
حقيقه الكتاب المبين ---- ۶۵
المحاضره الخامسه:مناقشه مدرسه السكولارزم ---- ۶۸
اشاره ---- ۶۸
مدرسه السكولارزم نقد وتحليل ---- ۷۰
اشاره ---- ۷۰
الشبهه التى يطرحونها ---- ۷۲
الجواب الأول ---- ۷۳
الجواب الثانى ---- ۷۵
المحاضره السادسه:الإمام يطبق الشريعه على المتغيرات ---- ۷۶
اشاره ---- ۷۶
مجهولات العلوم وحلولها ---- ۷۸
الإمام عنده علم تأويل الكتاب ---- ۷۹
أين يوجد الإمام المهدى ؟ ---- ۸۰
اختلاف أنماط الحكومات وأهميه الأجهزه السريه ---- ۸۱
لا يمكن الاكتفاء بظاهر اللفظ القرآنى ---- ۸۴

أهل البيت عليهم السلام والعلم اللدنى ---- ٨٥
المحاضره السابعه:مناقشه مدرسه الهرمونطيقا ---- ٨٨
اشاره ---- ٨٨
الإشكال الأول: ---- ٩٠
الإشكال الثانى: ---- ٩١
المدرسه الهرمونطيقا (قراءه النص) ---- ٩٢
نشأه النقد الأدبى ---- ٩٢
التعمق فى النص الأدبى يوازى التأويل فى النص الدينى ---- ٩٣
تطور علم الفقه ---- ٩٣
تعدد القراءات بين القبول والرفض ---- ٩٤
سوره الفاتحه وبيان صرط الحق ---- ٩٦
المحاضره الثامنه:المنهج الحضارى عند أهل البيت عليهم السلام ---- ١٠٠
اشاره ---- ١٠٠
مقامات أهل البيت عليهم السلام ---- ١٠٢
الإصلاح عند أهل البيت عليهم السلام ---- ١٠٤
العصمه العلميه والعمليه عند أهل البيت عليهم السلام ---- ١٠٧
مقومات المدنيه والحضاره ---- ١٠٩
الإمام الحسين عليه السلام والنداء الحضارى ---- ١١٢
المحاضره التاسعه:السنن الإلهيه فى الرثاء الحسينى ---- ١١٦
اشاره ---- ١١٦
تاريخ الرثاء الحسينى ---- ١١٨
الرثاء الحسينى فى البيت النبوى ---- ١١٩
السنن الإلهيه فى رثاء الحسين عليه السلام ---- ١٢٠
البكاء على الحسين عليه السلام سنه إلهيه تكوينيه ---- ١٢١
الرثاء الحسينى سنه إلهيه تشريعيه ---- ١٢٣
أحكام الموده ---- ١٢٤

خلاصه القول ----- ۱۲۶
أدب الرثاء فی القرآن الکریم ----- ۱۲۷
العولمه...أسبابها و مقوماتها ----- ۱۳۲
اشاره ----- ۱۳۲
المحاضره الأُولی:الموقف من أحداث التاریخ وشخصیاته ----- ۱۳۴
اشاره ----- ۱۳۴
التاریخ فی نطاق المحاکمه ----- ۱۳۶
سنه الرثاء فی القرآن الکریم ----- ۱۳۶
البدریون فی نظر القرآن الکریم ----- ۱۳۸
مفهوم اللعن فی القرآن الکریم ----- ۱۳۹
الأحداث التاریخیه بین المحاکمه والتحلیل ----- ۱۴۰
الأحداث التاریخیه بین القبول والرفض ----- ۱۴۲
المحاضره الثانیه:إشکالات حول الشعائر الحسینیه ----- ۱۴۴
اشاره ----- ۱۴۴
إشکالات حول إحیاء الشعائر الحسینیه ----- ۱۴۶
العولمه وتباین الثقافات ----- ۱۴۸
التقلید بین السلب والإیجاب ----- ۱۴۹
فلسفه البکاء والحزن ----- ۱۵۰
المحاضره الثالثه:الحسین علیه السلام والخطاب العولمی ----- ۱۵۴
اشاره ----- ۱۵۴
الشعائر الحسینیه فی دائره العولمه ----- ۱۵۶
أهداف الشعائر الحسینیه ----- ۱۵۶
زیاره الحسین علیه السلام وتحدی الطغاه ----- ۱۵۷
العولمه فی نهج الأنبیاء علیهم السلام ----- ۱۵۹
نزعه البشریه نحو التفرقه والاجتماع ----- ۱۶۰
مجالات العولمه ----- ۱۶۱

العولمه فی العصور السابقه ---- ۱۶۲
الأمم المتحده ومفهوم العولمه ---- ۱۶۳
المحاضره الرابعه:الوحده الثقافیه أولاً ---- ۱۶۴
اشاره ---- ۱۶۴
آلیه تطبیق العولمه ---- ۱۶۶
العولمه فی الغرب بین النظریه والتطبیق ---- ۱۶۶
مفهوم الطاعه عند أهل البیت علیهم السلام ---- ۱۶۸
المعرفه والاقتناع ودورهما فی الطاعه والاتباع ---- ۱۷۱
الثقافه بین الغزو والحوار ---- ۱۷۲
المحاضره الخامسه:الإسلام یعترف بالشعوب والقبائل ولکن لا یجعلها أساساً للمفاضله ---- ۱۷۴
اشاره ---- ۱۷۴
الإمام الحسین علیه السلام وخطاب العولمه ---- ۱۷۶
منابع الوحده والتفرقه عند الإنسان ---- ۱۷۷
نزعات الإنسان فی القرآن الکریم ---- ۱۷۷
الوطنیه والقومیه فی نظر الإسلام ---- ۱۷۹
التمایز القبلی فی القرآن وحکمته ---- ۱۷۹
دعوه أهل الاختصاص لخدمه الدین ---- ۱۸۱
المناط الحقیقی لتقییم الإنسان ---- ۱۸۲
المحاضره السادسه:نتائج اهتمام المجتمع بقیمه،ونتائج إهمالها ---- ۱۸۶
اشاره ---- ۱۸۶
القیم الاجتماعیه بین القبول والرفض ---- ۱۸۹
قراءه النصوص علی ضوء الفطره والعقل ---- ۱۹۰
من أبعاد الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر ---- ۱۹۲
دعوه القرآن الکریم للإصلاح المبنی علی العدل ---- ۱۹۳
العولمه فی مرحله التطبیق الإسلامی ---- ۱۹۴
أخلاق النبی صلی الله علیه و آله وأثرها فی العولمه الإسلامیه ---- ۱۹۶

وحده المنهج بين النبى صلى الله عليه و آله والإمام الحسين عليه السلام ---- ۱۹۷
المحاضره السابعه:الحوار الحقيقى يوازن بين نقاط الاختلاف ونقاط الاتفاق ---- ۲۰۰
اشاره ---- ۲۰۰
توازن الحوار بين مبادئ الاتفاق والاختلاف ---- ۲۰۲
الحوار وأثره فى علاج أسباب الفتن ---- ۲۰۳
شموليه الحوار لجميع الطوائف ---- ۲۰۴
جهات الاتفاق بين المجتمعات الإنسانيه ---- ۲۰۵
الأنبياء بين وحده الدين واختلاف الشرائع ---- ۲۰۶
نصره الأنبياء عليهم السلام للنبى محمد صلى الله عليه و آله ---- ۲۰۸
المحاضره الثامنه:الحفاظ على الوحده الإسلاميه مع وجود الخلاف فى الأُصول والفروع ---- ۲۱۰
اشاره ---- ۲۱۰
آراء فى الخلاف بين المذاهب الإسلاميه ---- ۲۱۲
خلاف المذاهب بين الفقه والعقائد ---- ۲۱۳
الإمامه والعدل من اصول الدين عند أتباع مذهب أهل البيت ---- ۲۱۴
أُصول الدين بين مرتبتى الإيمان والإسلام ---- ۲۱۵
الإيمان النظرى والعملى فى سوره الحمد ---- ۲۱۶
حديث الفرقه الناجيه ودلالته على المدعى ---- ۲۱۷
المحاضره التاسعه:الحسين عليه السلام وتهمه شق عصا المسلمين ---- ۲۲۰
اشاره ---- ۲۲۰
الإمام الحسين عليه السلام وقرار الخروج ---- ۲۲۲
مصطلح الجماعه المبدل وبدايه نشوئه ---- ۲۲۴
النبى صلى الله عليه و آله فى مواجهه قريش ---- ۲۲۶
الإمام على عليه السلام فى مواجهه الفتنه الفكريه ---- ۲۲۸
كربلاء وشرعيه حكم أبناء الطلقاء ---- ۲۳۰
الارهاب...المنشاء و الآثار ---- ۲۳۴
المحاضره الأُولى:إحياء الشعائر الحسينيه ---- ۲۳۴

اشاره ----- ۲۳۴
إحياء الشعائر الحسينيه ----- ۲۳۶
مصاديق الشعائر الدينيه ----- ۲۳۶
مقوم عنوان الشعيره راجحيتها ----- ۲۳۷
تطبيق على المولد النبوى ----- ۲۳۷
الشعائر الدينيه بين التعبد والحداثه ----- ۲۳۸
المعنى اللغوى ودوره فى فهم النصوص الشرعيه ----- ۲۳۸
الشعيره معناها العلامه ----- ۲۳۹
مصاديق موده أهل البيت عليهم السلام ----- ۲۳۹
دلاله تعظيم الله على الرجحان ----- ۲۴۰
ثمار الشعائر الحسينيه ومصاديقها ----- ۲۴۱
عاشوراء شعيره الحزن والعزاء ----- ۲۴۳
المحافظه على قدسيه الذكرى ----- ۲۴۴
المحاضره الثانيه:البكاء وعلاج ظاهره الإرهاب والقسوه ----- ۲۴۶
اشاره ----- ۲۴۶
أركان الشعيره الحسينيه ----- ۲۴۸
دلاله الشعائر الحسينيه على أهداف ثوره الحسين عليه السلام ----- ۲۴۸
أهداف ثوره الحسين عليه السلام وتطبيقها فى الواقع ----- ۲۴۹
هل البكاء ظاهره سلبيه ؟ ----- ۲۴۹
البكاء علاج لأمراض الروح والنفس ----- ۲۵۰
الإسلام والقرآن الكريم يثنى على البكائين ----- ۲۵۰
دور البكاء فى وصول الإنسان إلى الكمال ----- ۲۵۰
الحكمه الإلهيه لخلق حاله البكاء عند الإنسان ----- ۲۵۱
هل الإرهاب مرادف للصلابه والشده ؟ ----- ۲۵۳
المراحل التى تستند إليها القضايا القانونيه ----- ۲۵۳
الإمام الحسين عليه السلام يرجع أعداءه إلى الأُصول الأخلاقيه ----- ۲۵۶

المحاضره الثالثه:إستناد الأحكام القانونيه للقاعده الأخلاقيه فى التشريع الإسلامى ---- ۲۵۸
اشاره ---- ۲۵۸
الاختلاف بين التعامل القانونى والأخلاقى ---- ۲۶۰
فصل النزاعات بالقانون أم بالأخلاق ؟ ---- ۲۶۰
العلاقه بين الموازين الأخلاقيه والقانونيه ---- ۲۶۱
حديه القانون واستبعاد العنصر الأخلاقى ---- ۲۶۱
العفو والإعراض فى القرآن الكريم ---- ۲۶۲
الرفق فى مرحله نص القانون وتطبيقه ---- ۲۶۳
المصالح الشخصيه وأثرها فى سنِ القوانين ---- ۲۶۴
الفرق بين العفو،والإعراض عن الجاهلين ---- ۲۶۴
كظم الغيظ والسيطره على القوه الغضبيه ---- ۲۶۵
أحاديث أهل البيت عليهم السلام فى الرفق والحلم ---- ۲۶۶
المحاضره الرابعه:الحوار هو الخيار الأول فى الفكر الإسلامى وسيره أهل البيت ---- ۲۷۲
اشاره ---- ۲۷۲
الطبيعه الأوليه فى القوانين الشرعيه ؟ ---- ۲۷۴
القوه الغضبيه ودورها فى بناء المجتمعات ---- ۲۷۴
إطلاق القوه الشهويه وآثاره ---- ۲۷۵
إطلاق القوى العقليه وحاكميتها ---- ۲۷۵
التعقل أنسب الخيارات للطبيعه البشريه ---- ۲۷۶
الفرق بين العقوبه والردع ---- ۲۷۷
نفى العقوبه قبل البيان ---- ۲۷۷
الحوار فى النزاعات القضائيه ---- ۲۷۸
الحكومات الدكتاتوريه وأثرها فى تشويه الإسلام ---- ۲۷۹
أمير المؤمنين عليه السلام وحواره مع الخوارج ---- ۲۸۱
المحاضره الخامسه:الجهاد الابتدائى والحروب العدوانيه ---- ۲۸۴
اشاره ---- ۲۸۴

المعترضون على الإسلام ----- ۲۸۶
الإسلام دين القوه والعنف والإرهاب ؟ ----- ۲۸۶
طمع الجيوش الفاتحه فى الأموال والنساء ----- ۲۸۶
دخول معظم اوربا فى المسيحيه ----- ۲۸۷
الجهاد الابتدائى هو الحرب العدوانيه ----- ۲۸۸
الجهاد الابتدائى فى نظر المنكرين ----- ۲۸۸
حروب النبى صلى الله عليه و آله كلها دفاعيه ----- ۲۸۹
الجواب الصحيح عن إشكال الجهاد الابتدائى ----- ۲۹۲
القرآن الكريم ينهى عن إهلاك الحرث والنسل ----- ۲۹۳
الإسلام يكرم بنى آدم ----- ۲۹۳
المحاضره السادسه الخلفيات الحقوقيه للجهاد الإبتدائى ----- ۲۹۴
اشاره ----- ۲۹۴
الجهاد الابتدائى والإرهاب ----- ۲۹۶
قوى الاستكبار وآيات الجهاد ----- ۲۹۶
الإسلام ومخالفات المسلمين ----- ۲۹۷
اختصاص كل علم بمصطلحاته ----- ۲۹۷
الجهاد الابتدائى وخلفيته الحقوقيه ----- ۲۹۸
الجهاد الابتدائى فى المصطلح الحقوقى ----- ۲۹۸
الجهاد الابتدائى فى النصوص الشرعيه ----- ۲۹۹
شروط الجهاد الابتدائى وأهدافه ----- ۳۰۲
الإسلام يدعو إلى العداله ويطبقها ----- ۳۰۴
الفيتو حق للمعصوم عليه السلام ----- ۳۰۴
المحاضره السابعه:الرد على شبهه الرق وحقوق الإنسان ----- ۳۰۶
اشاره ----- ۳۰۶
مسأله الرق وحقوق الإنسان ----- ۳۰۸
القراءات الجديده للنصوص الشرعيه ----- ۳۰۸

الحداثيون.أحكام الإسلام ليست أبديه ---- ۳۰۹
عالميه الدين وخلوده ---- ۳۰۹
كرامه الإنسان فى التشريع الإسلامى ---- ۳۱۰
الكفار فى الفكر الإسلامى ---- ۳۱۲
دور الفطره الإنسانيه فى التشريعات الإسلاميه ---- ۳۱۲
معنى الرق فى الفقه الإسلامى ---- ۳۱۳
الإسلام وشعار عتق العبيد ---- ۳۱۳
نيويورک مدينه بيضاء ---- ۳۱۴
المحاضره الثامنه:مناقشه تعريفات الإرهاب وتطبيقاتها ---- ۳۱۸
اشاره ---- ۳۱۸
الهدف من العمليات الارهابيه ---- ۳۲۰
ارتباط الارهاب بالأهداف السياسيه ---- ۳۲۰
الإرهاب هو العنف المتطرف ---- ۳۲۱
لا بد من وجود ضوابط للقوه ---- ۳۲۱
أقسام الإرهاب ---- ۳۲۳
أخلاقيات ثوره الإمام الحسين عليه السلام ---- ۳۲۵
الحكم وسيله لإقامه العدل ---- ۳۲۵
قاعده.(دفع الأفسد بالفاسد) عند أهل البيت عليهم السلام ---- ۳۲۶
الفرق بين جيشى الإمام على والإمام الحسن عليهما السلام ---- ۳۲۸
المرجعيه الشيعيه وموقعها فى نظر الغرب ---- ۳۲۹
المحاضره التاسعه:من يقف وراء مخططات الإرهاب ؟ ---- ۳۳۴
اشاره ---- ۳۳۴
إرهاب الدوله ---- ۳۳۶
الإرهاب والإيديولوجيه ---- ۳۳۶
الإرهاب الصهيونى ---- ۳۳۷
اتهام الإسلام بالإرهاب ---- ۳۳۹

إداره الارهاب العالمی بین الظهور والخفاء ---- ۳۳۹
دور الإعلام فی تمریر المخططات ---- ۳۴۰
تقویم الإنسان فی قواه السامیه ---- ۳۴۶
المحاضره العاشره:الإمام الحسین اختار الشهاده ولم یرضخ للإرهاب ---- ۳۴۸
اشاره ---- ۳۴۸
من رضی بعمل قوم اشرکَ معهم ---- ۳۵۰
وضوح الموقف تجاه الحق والباطل ---- ۳۵۰
أسباب الارهاب فی النصوص الدولیه ---- ۳۵۱
معالجه أسباب الإرهاب ---- ۳۵۱
عدم الرضوخ للإرهاب ---- ۳۵۲
تطابق المواقف بین النبی صلی الله علیه و آله والإمام الحسین علیه السلام ---- ۳۵۲
عمالقه کربلاء بین الموقف والاختبار ---- ۳۵۳
تعریف مرکز ---- ۳۶۷

الحداثه العولمه الارهاب فی میزان النهضه الحسینیه

اشاره

سرشناسه : سند، محمد، - ۱۳۴۰

عنوان و نام پدیدآور : الحداثه العولمه الارهاب فی میزان النهضه الحسینیه/ محمد سند

مشخصات نشر : تهران : فرصاد ، - ۱۳۸۵.

مشخصات ظاهری : ۳۴۹ ص.

یادداشت : عربی

یادداشت : فهرست نویسی براساس اطلاعات فیپا

یادداشت : کتابنامه

موضوع : واقعه کربلا، ۶۱ق.

موضوع : حسین بن علی(ع)، امام سوم، ۶۱ - ۴ق. -- سرگذشتنامه

موضوع : عاشورا

رده بندی کنگره : BP۴۱/۵/ص ۲۳الف ۳

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۵۳۴

ص :۱

اشاره

المُقدمهُ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى خلق الخلق بقدرته،وهداهم إلى طاعته،وسهل لهم سبيل عبادته، ورزقهم من كرم جوده وفضله،وسخر لهم ما فى الكون بأمره،وأرسل الأنبياء أدلاء على منهجه وصراطه،وجعلهم عنواناً لرحمته،فكانوا مبشرين بجميل ثوابه، ومنذرين بسخطه وعقابه.

والصلاه والسلام على أشرف المرسلين،وخير عباد الله أجمعين،الذى كساه الله من نور جلاله،وعصمه فى جميع أقواله وأفعاله،لتستضىء السماء والأرض برسالته،فجعله خاتماً لأنبيائه ورسوله،واستخلف ابن عمه خير الأوصياء من بعده، فقال.«أنت منى بمنزله هارون من موسى،إلاأنه لا نبى بعدى»(۱)،فأعطاه ما أعطى موسى لأخيه،فكانت بمنزله الوالد للأُمه منزلته(۲)،ليكمل منهجه ومسيرته،فأفنى حياته فى خدمه الدين،وما أشرك بالله طرفه عين،وقاتل المارقين والناكثين والقاسطين،لإرساء اسس الحق المبين،فعليه سلام الله فى كل حين،وعلى حليلته البتول،الزاهره فى العالمين،والمثل الأعلى للأولين والآخرين،الذى لم يرعَ حقها، فاغتصب إرثها،وكسر ضلعها،واُسقط جنينها.

والسلام على أئمه الهدى،وأعلام التقى،والعروه الوثقى،المقيمون أساس الدين،والسفن لنجاه المؤمنين،فأنقذوا الناس من الغوايه،ونشروا ببارق الهدايه،

۱- (۱) بحار الأنوار.۴۱۲/۱۶،نادر فى اللطائف فى فضل نبينا صلى الله عليه و آله.

۲- (۲) أمالى الصدوق-المجلس الرابع.۶۴،الحديث ۶/۳۰.

سیما أبو الأئمه النجباء،والساده الأتقیاء،وغریب الغرباء،وشهید طف کربلاء،الذی ضحی لإعلاء کلمه الإیمان،واستأثر عن الدنیا بالجنان،فکان للأنبیاء امتداداً، وللأرض أوتاداً،فعرف الناس بواقعیه الحق الجمیل،وکشف بدمه الطاهر زیف الباطل الذلیل،فخرج ثائراً،ونادی مصلحاً«إنی لم أخرج أشراً ولا بطراً،لا ظالماً ولا مفسداً،وإنما خرجت لطلب الإصلاح فی امه جدی»(۱).

فمنهجه إصلاحی،وساحته الدین والدنیا،فمثل منهج السماء،وخزین الأنبیاء، وأُطروحه الأتقیاء،لیقف بوجه الانحراف والزیف،والفساد،المتمثل بالمنهج الأموی،فخرج بصحبه وأهله وولده لإرساء الحق القویم،فقدموا أنفسهم قرابین للحریه،لیبقی مشعله یضیءُ درب الثوار،ویرسم معالم التغییر الواقعی والحضاری للحیاه،لأن کل تغییر أو ثوره تستند فی نهضتها إلی مقومات ثلاثه.

أولها.الأهداف الأساسیه للتغییر.ثانیها.القیاده القویه والواعیه،الحامله لمشاعر الناس،والنابعه من بینهم.وثالثها.القاعده الجماهیریه المؤمنه بالتغییر وأهدافه، والمضحیه من أجل تحقیقها،فکل حرکه تغییر أو ثوره إذا استندت فی قیامها إلی هذه المقومات،فلا بد أن یکتب لها النصر عاجلاً أم آجلاً،وهذا ما حصل مع النهضه الحسینیه،التی استندت فی قیامها إلی تلک المقومات،ولکن بأرقی صورها،وأعلی درجاتها،فأهدافها أهداف السماء،وقائدها الإمام الحسین،الذی قال فی حقه القرآن:(إِنَما یُرِیدُ اللهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ وَ یُطَهِرَکُمْ تَطْهِیراً) (۲)، فکان واحداً ممن نُص علی عصمته،مع جده وأبیه،وأُمه وأخیه،وقال فی حقه المصطفی مع أخیه.«هذان إمامان قاما أو قعدا»(۳).

۱- (۱) بحار الأنوار.۳۲۹/۴۴،الباب ۳۷،فیما رواه الشیخ المفید رحمه الله فی وقعه الطف.

۲- (۲) سوره الأحزاب.الآیه ۳۳.

۳- (۳) بحار الأنوار.۳۰۷/۱۶،الباب ۱۱ فضائله وخصائصه صلی الله علیه و آله.

وأما القاعده الجماهيريه،فهى وإن كانت ثله قليله لا تمثل من حيث الحسابات العسكريه الظاهريه قيمه مؤثره فى مقابل تلك الأعداد الهائله،والأمواج الهادره من البشر،المظلل بها عن الحق،إلاأنها كانت تمثل صرخه الإيمان المدويه،الذى ما حال بينها وبين إرساء المنهج الحضارى مانع،ولا دفعها عن اتباع القيم الحسينيه دافع،فقدمت أنفسها قرابين التضحيه لسعاده الأجيال،وممهده للبناء الحضارى الكبير فى الأُمم القادمه،فكانت الثوره الحسينيه حقيقاً أن يقال فى حقها إنها بحر العطاء،وديمومه السبق والبناء.

فأيقضت الأُمه عن غفلتها،واستنهضتها من سباتها،لتستلهم من بحر كربلاء حلولاً لمشكلاتها،وبياناً لمعضلاتها،فكانت كربلاء ميزان الفصل،والحكم العدل،لجميع معضلات الأُمم ومشكلاتها،لتستخبر عن الحلول الناجعه لها،وتسلم بموقفها.

ومن أخطر الإثارات الفكريه التى تمر بها الأُمم هذه الأيام،والتى أدارت بعناوينها عقول النخب،وأثارت بتداعياتها كل العجب،فدوت فى الشرق والغرب،وأحاطوها بهاله من بريق الأمل،وشعاراً للوحده المنشوده،فأظهروا لنا العولمه المصطنعه، وزودونا بمدارس للحداثه،لإنشاء أجيال عاجزه عن معرفه حضارتها،وفاقده لثقافاتها،لتصبح أدوات بأيدى المستبدين والظلمه،واتهمونا بالارهاب،لنكون لقمه سائغه بأفواهم،وهدفاً سهلاً لرميهم،اذاً ف (العولمه والحداثه والارهاب)رشحات من هموم الأُمم،لتزداد قيودها،وتكمم أفواهها،ولغرض معرفه هذه الأبواب والفصول فى واقعها العملى أولاً،والانتفاع منها فى إيصال الأُمم إلى رقيها ثانياً،كان اللازم علينا عرضها على فكر كربلاء،وتحديدها بمقاييس النهضه الحسينيه،لتكون لنا اطروحه مستلهمه من منهج السماء،وبثوب جديد،وتصبح هذه المصطلحات لنا لا علينا،ولهذا فقد تصدى علم من أعلام الحوزه العلميه،وأُستاذ من أساتذتها،وهو سماحه آيه الله الشيخ محمد السند،لعرض هذه العناوين على الفكر الخالد لنهضه كربلاء،لبيان الموقف الصحيح منها،لتضاف إضاءه جديده

إلى الثقافه الحسينيه.

فتكون هـذا الكتاب الـذى بين يـديك وهو (الحداثه-العولمه-الارهاب فى ميزان النهضه الحسينيه)،وقد ناقش كل موضوع على حده.

فتنـاول فى الحـداثه أهم مدارسـها (السـكولارزم-البلوراليسم-الهرمونطيقـا)، ونـاقش اطروحاتها،وخاض فى إشـكالاتها،وصـحح قوامها علمياً،حتى انتهى إلى فوائد جليه،لتثبيت العقائد الحقه،وترسيخ المنهج الأصيل لأهل البيت عليهم السلام.

ثم مال فى بحثه نحو العولمه،وشذب أركانها وهذب قوالبها،ليخرج منها بعولمه الخطاب الحسينى المتجذر.

وانتهى أخيراً إلى الارهاب،ليذكر التعاريف-التى وضـعتها المؤسـسات الدوليه، والقنوات العالميه-للارهاب،ليبين عيوبها،وأسباب وضـعها،ليتسـنى للقـارئ الكريم الاطلاـع على ذلـك عن كثب،ويرشـده إلى أخطارها،وكيفيه تقييمها،ليسـتنير سامعها بنور الفكر النابع من مـدرسه أهل البيت،ويسـتلهم الـدروس والعبر،وبهـذا تم الكلام عن بعض الخصوصـيات،التى أردنا إيصالها إلى القارئ الكريم،عن طريق بيان معالم الكتاب،الذى بين يديه.

ولاـ يسـعنى فى ختام كلامى هـذا إلاأن اقـدم شـكرى وتقـديرى لكل من أعان وساعـد فى إكمال هـذا الكتاب،وأخصـهم ذكراً سماحه السيد الجليل هاشم سيد حسن الموسوى،الذى كان له من الجهد الكبير ما يستحق الشكر عليه.

وأدعو الله تعالى أن يزيد فى حسناته،وأن يجمعنا وإياه مع محمد وآله الطاهرين، إنه سميع مجيب.

الشيخ على الأسدى

١٧/ربيع الأول/١٤٢٧ه

الموافق ٢٠٠٦/٤/١٦م

ص:١٠

الحداثه بين النظريه و التطبيق

المحاضره الأُولى:الفرق بين الشريعه والدين

اشاره

ص:١١

الشريعه والدين والفرق بينهما

قال تعالى.(وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ) (۱).

وقال تعالى:(تَبارَكَ الَذِى نَزَلَ الْفُرْقانَ عَلى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعالَمِينَ نَذِيراً) (۲).

هذه الآيات وغيرها تثبت أبديه الدين الإسلامى،وأنه الدين السماوى الخالد.

فقوله تعالى:لِلْعالَمِينَ ،هو قول مطلق يشمل كل الأُمم التى تأتى بعد النبى محمد صلى الله عليه و آله.

وقال تعالى:(ما كانَ مُحَمَدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ وَ لكِنْ رَسُولَ اللهِ وَ خاتَمَ النَبِيينَ وَ كانَ اللهُ بِكُلِ شَىْ ءٍ عَلِيماً) (۳).

وقال تعالى:(إِنَ الـدِينَ عِنْـدَ اللهِ الْإِسْـلامُ وَ مَا اخْتَلَفَ الَذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ إِلا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِآياتِ اللهِ فَإِنَ اللهَ سَرِيعُ الْحِسابِ) (۴).

۱- (۱) سوره الأنبياء.الآيه ۱۰۷.

۲- (۲) سوره الفرقان.الآيه ۱.

۳- (۳) سوره الأحزاب.الآيه ۴۰.

۴- (۴) سوره آل عمران.الآيه ۱۹.

وقال تعالى:(وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِي الْآخِرَهِ مِنَ الْخاسِرِينَ) (۱).

وكيف كان فهذه الآيه بإطلاقها شامله لكل من كان قبل النبى محمد صلى الله عليه و آله وبعده أيضاً.

الدين الإسلامى خالد

اشاره

هذا البحث-بحث خلود الدين الإسلامى إلى يوم القيامه-هو بحثٌ أديانىٌ،أو بحثٌ أيديولوجى بالتعبير اللاتينى،يعنى بحثٌ عقائدى،وهو محل جدل واسع وصخب علمى كبير بين الأديان والثقافات الشرقيه والغربيه والتيارات الفكريه المختلفه،سواءً كانت تلك التيارات اجتماعيه أو حقوقيه أو قانونيه،ومن هذه التيارات تيار العلمانيين من المسلمين-أو المتعلمنين من المسلمين-أو العلمانيين من الغرب،ومن المعلوم أن للعلمانيين أمواجاً مختلفهً،وأن هذه الأمواج ليست على وتيرهٍ واحده.

المجتمعات العلمانيه بين قبول الدين ورفضه

ما نريد أن نشير إليه هنا أن المجتمع الغربى أو مجتمع جنوب شرق آسيا كاليابان، وهى مجتمعات تعتمد على المؤسسات المدنيه-ويعبر عنها بالمجتمع المدنى-فهذه المجتمعات وإن كانت علمانيه إلاأنها لم تطلق الدين طلاقاً مؤبداً،وأنهم حفظوا-ولو بالشكل-موروثهم الحضارى والثقافى والدينى كلٌ بحسب دينه،سواءً كانوا فى اليابان،أو فى الهند،أو فى اوروبا المسيحيه؛وذلك لأن طبيعه المجتمعات البشريه تجعل منها مستودعاً تُختزن فيه الموروثات الحضاريه،ومن المستحيل أن يبدأ أى مجتمع بشرى من الصفر،بل لا بد أن يرث من الأُمم السابقه ما يرث،ولهذا نلاحظ أن

۱- (۱) سوره آل عمران.الآيه ۸۵.

العلمانيين الغربيين قد سموا أسماءهم بأسماءٍ مسيحيه،وتكون عندهم إلى جانب القوانين المدنيه قوانين كنائسيه،وكذلك اصول التقنين الغربى متأثره بالتقنين المسيحى،فإذن هؤلاء العلمانيون الغربيون لم يطلقوا الدين طلاقاً مؤبداً،ولكنهم حاولوا أن يمزجوا بين الموروث القديم وما ابتكروه من قوانين.

ومما يؤيد كلامنا هذا هو أن الرئيس الأمريكى السابق جورج بوش الأب عندما شن حرب الخليج الثانيه كان يستنجد بالكنيسه وإسم الرب وماشابه ذلك،وكذلك استخدم جورج بوش الإبن تعبير (الحرب الصليبيه)بعد الهجوم على نيويورك وواشنطن،وهذا ما نشاهده أيضاً عند اليابانيين أصحاب الديانه البوذيه،حيث أنهم لم يطلقوا ديانتهم طلاقاً مؤبداً.

الدين واحد والشرائع متعدده

من الأخطاء الشائعه فى الصحافه والإعلام،وبين عامه الناس هو التعبير ب (الأديان)، فنسمع عن حوار الأديان،والبحث عن أوجه الاختلاف أو التلاقى بين هذه الأديان، وهذا ما يتعارض مع المفهوم القرآنى والمفاهيم التى جاءت بها الأحاديث الشريفه، حيث أن المفهوم القرآنى يؤكد على أن الدين واحد وليس متعدد،فتكون النتيجه أن تعبير الأديان تعبيرٌ خاطئ؛لأنه يتعارض مع الطرح القرآنى.

وكذلك ينبغى التفريق بين مصطلحات.(الدين،والشريعه،والمله،والمنهاج - وهو الطريقه كما فى بعض الآيات-) التى وردت فى القرآن الكريم،ولا بدَ من تعريف هذه المصطلحات قبل الخوض فى البحوث المقبله؛لأن الكثير من الناس يستخدم الدين كمصطلح مرادف للشريعه،وهذا من الاستخدام اللغوى والعرفى الخاطئ.

الدين:عباره عن مجموعه من اصول اعتقاديه وأُصول معارف كونيه،ويضم إليه

أركان الفروع،أو يضم إلى أركان الفروع اصول الآداب.

الشريعه:الشريعه تختلف عن الدين؛لأن الإسلام إسم للدين وليس للشريعه.

وتسمى الشريعه المحمديه صلى الله عليه و آله كما توجد شريعه موسويه،وشريعه عيسويه، وشريعه نوحيه،وشريعه إبراهيميه.

والشريعه هى تفاصيل التشريعات فى الأحكام الفرعيه والآداب و-لغةً -.هى الضفه الجانبيه المتفرعه من رافد النهر،وهذا ما يحدثنا به أرباب المقاتل عندما يتحدثون عن العباس حين استقى الماء من الشريعه.قال ابن منظور فى لسان العرب:

«والشرعه والشريعه فى كلام العرب.مشرعه الماء،وهى مورد الشاربه التى يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون»(۱).

الملة:قد تعرف بالأحكام التى تتلائم مع الفطره إذا سنت وجذرت وبنيت فى أعراف البشر كظواهر سلوكيه اجتماعيه دينيه.وفى اللغه هى كالدين اسم لما شرع الله تعالى لعباده على لسان الأنبياء ليتوصلوا به إلى جوار الله،والفرق بينها وبين الدين أن الملة لا تضاف إلاإلى النبى (عليه الصلاه والسلام) الذى تسند إليه...ولا تكاد توجد مضافه إلى الله ولا إلى آحاد امه النبى صلى الله عليه و آله،ولا تستعمل إلافى جمله الشرائع دون آحادها،وهذا يدعم التعريف السابق،فإن الذى يوجد ويؤسس الأعراف الدينيه هم الأنبياء(۲).

والمنهاج-بالكسر-والطريقه.هو الطريق الواضح(۳)لغةً،وقد يعرفان-كما هو مقتنص من الاستعمال القرآنى والروائى-حيث اسندا إلى الأئمه والأوصياء،لا سيما

۱- (۱) لسان العرب/ابن منظور.۷۶/۷،ماده«شرع».

۲- (۲) المفردات/الراغب الاصفهانى.۴۷۶،ماده.ملل.

۳- (۳) المصدر المتقدم.۵۰۸،ماده.نهج.المصباح المنير/الفيومى.۶۲۷،ماده.النهج.

أمير المؤمنين عليه السلام،أنه.هدى الأوصياء،وهو بمثابه التأويل للتنزيل،بكل أنماط وأنواع التأويل.

فالأُسس الرئيسيه فى منطقه الدين،إنما هى اصول الاعتقاد وأُصول المعارف التى تمثل دائره الدين،أما الدائره التى هى أكثر تشعباً،وأكثر تراميا،وأكثر بُعداً عن المركز هى دائره الشريعه،حيث تشتمل على تفاصيل الأحكام والقوانين.

ولهذا نجد أن القرآن يصرح فى قوله تعالى:(لِكُلٍ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً) (1)،فلم يكن التعبير.«لكل جعلنا منكم ديناً ومنهاجاً»؛وذلك لأن الدين واحد.فدين نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام هو دين واحد،وأصحاب الشرائع هم الأنبياء اولو العزم،وهذا ما ورد عن المعصومين،حيث وصفوهم بأنهم أصحاب شرائع وليس أصحاب أديان.

النسخ يقع فى الشرائع دون العقائد

اشاره

من غير المعقول أن يأتى آدم عليه السلام بدين وعقائد حقه،ثم تكون هذه العقائد مؤقته بزمن معين ؟ فيأتى نوح عليه السلام وينسخ العقائد التى أتى بها آدم،ثم يأتى إبراهيم وينسخ العقائد التى أتى بها نوح عليه السلام،وهكذا ؟

إن هذا أمر لا يعقل؛لأن الدين عباره عن رؤى كونيه،وإذا كانت هذه الرؤى الكونيه صادقه فهى غير قابله للتبديل والتغيير،فيستحيل نسخ التوحيد أو المعاد أو النبوه، وإنما يقع النسخ فى الأحكام التى جاءت بها الشرائع.

بل حتى أركان الفروع هى من الدين،ولذلك لا يقع النسخ فيها،فأصل وجوب الصلاه والزكاه ثابته فى شريعه كل نبى.قال تعالى على لسان عيسى:

١- (١) سوره المائده.الآيه ۴۸.

(وَ أَوْصانِی بِالصَّلاهِ وَ الزَّکاهِ ما دُمْتُ حَیًّا) (۱)،وکذلک الحج،فکل الأنبیاء حجوا بیت الله الحرام،وکذلک الجهاد والصوم.نعم،قد یختلف شکل الصلاه أو الصیام وطریقه أدائهما ولکن أصل وجوبهما ثابت فی کل الشرائع،وهذا ینطبق علی اصول الواجبات والمحرمات وتحریم الفواحش،کالزنا والخمر،فأصل تحریم الفواحش ثابت فی کل الشرائع وإن اختلفت سعهً وضیقاً،حتی اصول أحکام الأُسره والزوجیه والتعاقد التجاری وتحریم الربا،ولذلک فإن الله تعالی ینـدد بالمجتمع الیهودی لأنه یتعامل بالربا،قال تعالی:(وَ أَخْذِهِمُ الرِبَوا وَ قَدْ نُهُوا عَنْهُ) (۲)، وتحریم الربا یدخل ضمن أرکان اصول التشریع،وهذه الأرکان تدخل ضمن إطار الدین ولیس الشریعه.قال تعالی:(وَ أَنْزَلْنا إِلَیْکَ الْکِتابَ بِالْحَقِ مُصَدِقاً لِما بَیْنَ یَدَیْهِ مِنَ الْکِتابِ وَ مُهَیْمِناً عَلَیْهِ) (۳)،فصاحب الشریعه اللاحقه لا یکذب دین صاحب الشریعه السابقه،بل یصدقه فی منطقه دائره الدین،من حیث أن الدین واحد لا یتعدد.

قال تعالی:(إِنَ الدِینَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلامُ) (۴).

ومفهوم هذه الآیه لا یقتصر علی أن الدین الذی جاء به محمد صلی الله علیه و آله هو دین الإسلام،بل مفهومها یشمل کل الأزمان من لدن آدم إلی یوم القیامه،فالدین عند الله الإسلام منذ بدء الخلیقه.

قال تعالی.(فِطْرَتَ اللهِ الَتِی فَطَرَ الناسَ عَلَیْها لا تَبْدِیلَ لِخَلْقِ اللهِ ذلِکَ الدِینُ الْقَیِمُ) (۵).

۱- (۱) سوره مریم.الآیه ۳۱.

۲- (۲) سوره النساء.الآیه ۱۶۱.

۳- (۳) سوره المائده.الآیه ۴۸.

۴- (۴) وره آل عمران.الآیه ۱۹.

۵- (۵) سوره الروم.الآیه ۳۰.

فالدين لا يقبل النسخ.نعم،قد تزداد معارف نبى عن نبى آخر،وأكملها وأوسعها وأعمقها ما بعث بها النبى الخاتم صلى الله عليه و آله لمنزلته من القرب الإلـهى،حيث أن الإحاطه التى زود بها صـلى الله عليه و آله،والرؤى الكونيه التى يمتلكها أوسع ممن سـبقه من الأنبياء.

قال تعالى.(وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِ مُصَدِقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتابِ وَ مُهَيْمِناً عَلَيْهِ) (۱).

فالقرآن الكريم مهيمن على ما سبقه من كتب؛لأن فيه من المعارف الجمه ما لم يتعرف عليه من خلال الشرائع السابقه.نعم،لو قلنا إن الدين فى حاله تبلور وتجلى أكثر من قبل السـماء إلى البشـريه،هذا صـحيح ومقبول،أما أن نقول بوجود النسخ فى الدين فهذا مستحيل؛لأنه متعلق بالعقائد كما مر،ولا يقع النسخ إلافى الشرائع، وذلك حسب الظروف والبيئات.

شواهد قرآنيه على وحده الدين

قال تعالى.(شَـرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِينِ ما وَصى بِهِ نُوحاً وَ الَذِى أَوْحَيْنا إِلَيْكَ وَ ما وَصَيْنا بِهِ إِبْراهِيمَ وَ مُوسى وَ عِيسى أَنْ أَقِيمُوا الدِينَ وَ لا تَتَفَرَقُوا فِيهِ) (۲).

وقال تعالى.(قُلْ إِنَنِى هَدانِى رَبِى إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِلَهَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (۳).

وقال تعالى.(وَ وَصى بِها إِبْراهِيمُ بَنِيهِ وَ يَعْقُوبُ يا بَنِىَ إِنَ اللهَ اصْطَفى لَكُمُ الدِينَ فَلا تَمُوتُنَ إِلا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (۴).

۱- (۱) سوره المائده.الآيه ۴۸.

۲- (۲) سوره الشورى.الآيه ۱۳.

۳- (۳) سوره الأنعام.الآيه ۱۶۱.

۴- (۴) سوره البقره.الآيه ۱۳۲.

وقوله تعالی-علی لسان السحره بعد أن تابوا وواجهوا فرعون -.(رَبَنا أَفْرِغْ عَلَیْنا صَبْراً وَ تَوَفَنا مُسْلِمِینَ) (۱).

وقوله تعالی-علی لسان یوسف علیه السلام -.(تَوَفَنِی مُسْلِماً وَ أَلْحِقْنِی بِالصالِحِینَ) (۲).

وقوله تعالی.(قُولُوا آمَنا بِاللهِ وَ ما أُنْزِلَ إِلَیْنا وَ ما أُنْزِلَ إِلی إِبْراهِیمَ وَ إِسْماعِیلَ وَ إِسْحاقَ وَ یَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطِ وَ ما أُوتِیَ مُوسی وَ عِیسی وَ ما أُوتِیَ النَبِیُونَ مِنْ رَبِهِمْ لا نُفَرِقُ بَیْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (۳).

فالدین عند الله الإسلام بصوره مطلقه وهو ما جاء به کل الأنبیاء،کما هو واضح فی الآیات المتقدمه.

الشریعه والدین وقضیه الغدیر

نشیر إلی هذه القضیه وإن لم تکن من صلب الموضوع،إلاإنها ثمره من ثمار التفریق بین الشریعه والدین،وحری أن نجنی هذه الثمره.

قال تعالی.(اَلْیَوْمَ أَکْمَلْتُ لَکُمْ دِینَکُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَیْکُمْ نِعْمَتِی وَ رَضِیتُ لَکُمُ الْإِسْلامَ دِیناً) (۴).

وبناءً علی ما ذکرنا من الفرق بین الدین والشریعه یتضح أن هذه الآیه النازله فی قضیه الغدیر وفی ولایه علیٍ علیه السلام،تجعل قضیه الإمامه وتنصیب علیٍ علیه السلام من دائره الدین ولیس من دائره خصوص الشریعه،وهذا یدل علی أن الإمامه من اصول الدین

۱- (۱) سوره الأعراف.الآیه ۱۲۶.

۲- (۲) سوره یوسف.الآیه ۱۰۱.

۳- (۳) سوره البقره.الآیه ۱۳۶.

۴- (۴) سوره المائده.الآیه ۱۹.

وليس من فروعه.

وإن إمامه علي عليه السلام كانت من صلب الدين الذى بعث به الأنبياء؛لأنهم جميعاً بعثوا بدين الإسلام،كما أثبتنا من خلال الآيات السابقه،ومن خلال قوله تعالى.(إِنَ الدِينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلامُ) (۱)،والذى هو عند كل الأنبياء السابقين كما هو عند النبى محمد صلى الله عليه و آله،كما مر سابقاً،إذن تكون النتيجه.أن ولايه علي عليه السلام من صلب الدين الذى بعث به كل الأنبياء السابقين.

ونستنتج أيضاً أن الدين من دون ولايه على عليه السلام غير مرضى عند الله لقوله تعالى:

(وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً) ،ومن غير المعقول أبداً أن يبعث الأنبياء بدين غير مرضي عند الله،وقد جاءت الروايات الكثيره التى تؤكد أن ولايه على عليه السلام قد بعث بها الأنبياء السابقين.فولايه على عليه السلام لم ترَ الوجود ابتداءاً فى يوم الغدير،وإنما هى موجوده قبل ذلك،ولكنها اظهرت وأُبرزت فى ذلك اليوم،كما أن التوحيد مقرر عند الأنبياء قبل بعثه محمد صلى الله عليه و آله ولكن اظهر وأُبرز ببعثته صلى الله عليه و آله،فكذلك كانت قضيه الغدير.

فقوله تعالى.(يا أَيُهَا الرَسُولُ بَلِغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَغْتَ رِسالَتَهُ) (۲)تدل على أن الإمامه ركن ركين من الدين وليس قضيه ثانويه فى الشريعه؛لأن عدم تبليغ إمامه على عليه السلام تساوى عدم تبليغ الرساله بأكملها كما تنص الآيه.

آيه الموده وقضيه الإمامه

قال تعالى.(قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَ الْمَوَدَهَ فِى الْقُرْبى) (۳)،الضمير

۱- (۱) سوره آل عمران.الآيه ۱۹.

۲- (۲) سوره المائده.الآيه ۶۷.

۳- (۳) سوره الشورى.الآيه ۲۳.

عَلَيْهِ راجع إلى الإسلام،على رأى بعض المفسرين،أو راجع إلى الجهد والمعناه التى عاناها النبى صلى الله عليه و آله فى تبليغ الرساله الإسلاميه(۱).

فموده أهل البيت عليهم السلام جعلت أجراً للرساله،والأجرُ هو العِدل أو المعاوضه، فيكون عندنا عوض ومعوض،وينبغى أن تتوفر المساواه والموازنه بينهما،فليس من الصحيح أن تشترى جوهره ثمينه بثمن بخس.

فإذا كانت موده أهل البيت عليهم السلام فى كفه والكفه الأُخرى فيها الإسلام،وهو الدين الذى يتضمن اصول الدين من التوحيد والنبوه والمعاد،أو معاناه الرساله التى قيمتها بلحاظ نفس الدين،فلا بد من أن تكون فى مصاف الأُصول وليس حالها حال الفروع،وبذلك نستنتج من آيه الموده لأهل البيت عليهم السلام أن الإمامه لهم ليست من خصوص الشريعه،بل هى ركن ركين من اصول الدين؛لأن أجر الرساله ليس من المناسب إدراجه فى الشريعه،والله هو الذى أعطى هذا المقام لأهل البيت عليهم السلام، وعندئذٍ لا محل لاتهام الشيعه بالغلو فى أهل البيت عليهم السلام؛لأن الله هو الذى وضعهم فى هذا الموضع الرفيع،والله ينهى عن الغلو،فإذا وضعهم الله فى موضع فإن هذا الموضع ليس من الغلو فى شىء.

وهذه الموده مخصوصه بالمعصومين الأربعه عشر،ولا تشمل جميع الساده أبناء الرسول صلى الله عليه و آله،وإن كان يترشح منها الاحترام لهم والتقدير.

۱- (۱) راجع تفسير مجمع البيان/الطبرسى.۴۸/۹،تفسير الآيه المتقدمه.

المحاضره الثانيه:المدارس الغربيه الحديثه التى واجهت الكنيسه وتحكم رجال الدين المسيحيين

اشاره

ص:۲۳

نشأه العلمانيه والحداثويات

اشاره

فى البدايه سنستعرض لمحه تاريخيه عن علاقه اوروبا بالمسيحيه والعلمانيه،فقد دخلت اوروبا الغربيه فى الدين المسيحى فى القرن الثانى الهجرى،أى السادس الميلادى،وهذا أمرٌ مؤسف،ووجه الأسف ليس الانتقال من الوثنيه إلى المسيحيه، وإنما وجه الأسف هو أن الدين الإسلامى وهو فى ريعان شبابه فاتته فرصه إدخال هؤلاء القوم فى الإسلام بسبب ما مارسه الخلفاء فى ما يسمى بالفتوحات وسياسه نظام الحكم فى البلدان المفتوحه،وكانت النتيجه أن يحتضن المسيحيون المبشرون الذين انطلقوا من الروم أو اليونان إلى اوروبا الغربيه لدعوتهم إلى الدين المسيحى،واستمر الدين المسيحى بقوه فى تلك البلدان إلى أن وصل إلى القرن الثامن عشر الميلادى، وفى هذه الفتره بدأت تعلو الصيحات الثوريه على غطرسه الملوك والنظم السياسيه الغربيه التى كانت تحرق الطبقات الفقيره بنار الفقر وسطوه الاضطهاد،وفى هذا الجو ظهرت التيارات المعاديه لهذه الأنظمه.

تحالف الملوك ورجال الكنيسه،فرجال الكنيسه يعطون الملوك الشرعيه فيما يعملون،والملوك يدعمون رجال الكنيسه بنفوذهم،فى هذه الوضعيه،وأمام هذا التحالف بدأت قوى إصلاحيه تعتمد على مواجهه الملوك وتحطيم شرعيه الكنيسه

المتحكمه فی المجتمع آنذاک-وهذا هو الفارق بین مدرسه أهل البیت التی لا تربی علماءها علی دین البلاط الحکومی بخلاف مدارس أهل سنه الخلافه والسلطان - فبدأت عملیات تنظیر عدیده،وإن لم تنتج عن طلاق أبدی للدین،کما قلنا سابقاً، إلا أنها کانت تستهدف الحد من هیمنه الدین المسیحی علی المجتمع،والسبب فی عدم حدوث الطلاق الأبدی هو أن سر الخلقه مرتبطه بالجانب الروحی والغیبی،وإن الدین حتی وإن حرف یکون قابلاً للتأثیر فی المساحه غیر المحرفه منه،حتی الدیانات الهندیه قد یکون بعضها لها اصول سماویه؛لأن الأنبیاء کانوا منتشرین فی بقاع العالم.قال تعالی.(وَ إِنْ مِنْ أُمَهٍ إِلا خَلا فِیها نَذِیرٌ) (۱).

بل حتی بعض اصول البوذیه تتوافق مع الدیانات السماویه الأُخری،وهذا ینطبق علی بعض الدیانات الموجوده فی شرق آسیا.

وفی هذه الأجواء تبلورت ثلاث مدارس فکریه تأثر بها المثقفون والجامعیون المسلمون،ونتج عن هذه المدارس ما نسمیه بالعلمانیه.

فالعلمانیون الغربیون یتنبأون بسقوط الدین الإسلامی،کما سقطت المسیحیه، ونحن نقول لهم.إن المسیحیه لم تسقط،وإنما سقط التحالف بین رجال الکنیسه الذین کانوا یبحثون عن مصالحهم الدنیویه والطبقات الإقطاعیه متمثله فی ملوک الظلم والإضطهاد،وکذلک الحال فی المدارس والمذاهب الإسلامیه،فإن مذهب أهل البیت علیهم السلام الذی ظل مناوءاً لممارسات الأنظمه السیاسیه هو المرشح للانتشار فی الآفاق بخلاف المذاهب التی تتبنی أن السلطان البشری المتغلب هو ظل الله فی أرضه، ولغرض الوقوف علی الموضوع جیداً لا بد من توضیح المدارس الفکریه تلک وذکرها بصوره مفصله وهی:

۱- (۱) سوره فاطر.الآیه ۲۴.

الأُولى.السكولارزم Secu Larism

(فصل الدين عن السياسه والمجتمع)

وهى مدرسه فلسفيه أيديولوجيه تبناها مجموعه من فلاسفه القانون والحقوق والسياسه،ولهذه المدرسه عده اتجاهات،ولكنها تعتمد أساساً على نظريه فصل الدين عن النظام السياسى والاجتماعى،وأن الدين عباره عن طقوس عباديه ورياضات روحيه هدفها إشباع الظمأ الروحى عند الإنسان،فالروح لها برنامجها الخاص،والدين معترفٌ به بهذا المقدار فى هذه المدرسه،سواءً أكان هذا الدين ديناً سماوياً حقيقياً أم كان ديناً خرافياً زائفاً،وهذه النظريه لا يعنيها حقانيه الدين أو بطلانه،إلاأنها ترى أنه ضرورى لإشباع حاجات الإنسان الروحيه،وكلمه سكولار تعنى باللاتينيه الفصل؛لأن هذه النظريه تفصل الدين عن باقى الأُمور السياسيه والاجتماعيه والنظام المالى وغيره.

ولاـ زالت هذه النظريه لها تأثيرات فكريه إلى يومنا هذا بالرغم من مرور قرنين من الزمن عليها،والنظام الغربى الحالى ينتمى إلى هذه المدرسه.

الثانيه.مدرسه البلورااليسم Pluralism

(تعدد الإدراك)

وهى مدرسه منطقيه وليست مدرسه فلسفيه،وتعتمد على منهج الإدراك وكيفيه إستقاء المعلومات،والمناهج المنطقيه القديمه والحديثه،والغربيه والشرقيه، والماديه وغير الماديه،جميعها تهتم بكيفيه الإدراك ونظم المعلومات والاستنتاج من تلك المعلومات.

تعتمد هذه المدرسه على أساسين.

الأول.أن الإنسان لا يستطيع أن يحيط بالحقيقه بمفرده.

الثانى.أن الإنسان وإن أدرك بعض الحقيقه لا يستطيع إدراكها كلها.

والعلماء جميعاً يبحثون عن الحقيقه،سواءً كانوا من العلماء الذين يؤمنون بالغيب أو كانوا من العلماء الماديين؛لأنهم يؤمنون بالعلوم التجريبيه بحثاً عن الحقيقه.

فالقائلون بهذه النظريه يقولون.بما أنك لا تستطيع أن تدرك الحقيقه بمفردك، وأنك إذا أدركت بعضها لا تدركها كلها،إذن فالآخرين أيضاً يمتلكون سهماً من الحقيقه،فالحقيقه أشبه ما تكون بالشركه المساهمه،بعض أسهمها عندك والأسهم الأُخرى عند الآخرين،ومن هنا لا يحق لك أن تخطئ الآخرين وتفند آراءهم من منطلق تعدد الإدراك ونسبيه إدراك الحق أو الحقيقه،فكل رأى من الآراء-فى نظرهم - يجب أن يكون فى دائره الاحتمال،وهناك من تأثر بهذه النظريه فقال.إن كل الأديان حق،وكلها توصل إلى الله تعالى بحجه أن الإسلام أو نبى الإسلام لا يملك كل الحقيقه،ومن هنا قبلوا بتعدد الأديان وأنها كلها حق.

وهذه النظريه تكون مفيده إذا وضعت لها شروط وقيدت بقيود معينه،أما تركها على إطلاقها فذو نتائج سلبيه مهلكه،وعلى سبيل المثال.فإن فسح المجال أمام الشذوذ الجنسى بعنوان الحريه يعد فى نظرهم تكاملاً،وكذلك تعدد الآراء،وأنك لا تستطيع أن تمنع هذه الحاله لأنك لا تملك الحقيقه،وإذا عرفت شيئاً منها فإنك لن تحيط بها كلها.

وهذه النظريه تحتاح إلى الكثير من المباحث،فهناك من يؤمن بالاستنساخ للفرد البشرى رغم مضاره الجمه بالحجه نفسها،والجدير بالذكر أن لكل نظريه عده اتجاهات ولها منظروها وآراؤها وفرقها،ولكن نحن نركز على الفكره الرئيسيه لكل مدرسه من هذه المدارس.

ص:٢٨

المدرسه الثالثه.المدرسه الهرمونطيقا Hermenutics

اشاره

(تعدد القراءات)

وهى مـدرسه أدبيه تختلف عن مـدرسه السـكولارزم الفلسـفيه والبلورواليسم المنطقيه، فهـذه المـدرسه تعنى بالعلوم النقليه وكيفيه قراءه وفهم النص،سواءً كانت نصوص سـماويه،كالتوراه والإنجيل والقرآن،أو كان نصاً بشـرياً،وكان رواد هـذه المدرسه فلاسـفه ألمان متخصصون فى الألسنيات وعلوم اللغه.

أمـا على المسـتوى السياسـى فهنـاك تـأثير كبير فى مجريـات الأحـداث جراء التأثر بهـذه النظريه،فمثلاً.لو أصـدرت منظمه الأُمم المتحـده بيانـاً تـدعم فيه العرب والمسـلمين،نرى أن بعض المتخصصـين من اليهود يحـاولون قراءه النص قراءةً تـدعم مصـالحهم معتمدين على تعدد القراءات.

ولكـن الفرق بيـن هــذه المــدرسه ومــدرسه البلـورواليسم هـو أن المــدرسه الهرمونطيقـا تعتمـد على تعـدد القراءات للنص بينما البلورواليسم تعتمد على تعدد الإدراك.هذا من جهه.

ومن جهه اخرى،فإن المـدرسه الهرمونطيقـا ترفض القراءه الفرديه للنص،وهى تتعامـل مع النص كمـا تتعامـل مع اللغز الـذى له العديد من الحلول،فتسمح بقراءه النص،ونقصد من القراءات هنا الدلالات والاستظهارات والاستنباطات والأفهام.

ومن هنا ترفض هذه المدرسه رفضك لأى رأى من الآراء،فربما فهمت أنت شـيئاً معيناً من قراءتك،وتكون لصاحب الرأى الآخر قراءه مختلفه عن قراءتك،فيستطيع من خلالها أن يبرر ما تنتقده أنت.

ولهـذه المـدرسه ثمـارٌ،لا ـ يسع المجـال لـذكرها،بالإضـافه إلى أن هـذه المـدرسه معترف بهـا فى المحافـل الأكاديميه والبحوث الجامعيه والعلوم الإنسانيه.

فخلاصه ما تقول هذه النظريه.إن المعنى هو وليد ذهن القارئ والسامع وليس وليد

ذهن المتكلم والكاتب،وبناءً على هذا فمن حق الإنسان أن يُعدد القراءات للنص الواحد،فمثلاً.قراءه التوراه والإنجيل والقرآن،أو قراءه قانون معين،أو قراءه الدستور نجد فى كل هذه الأُمور جدلاً سياسياً وقانونياً محتدماً فى تفسير النص بين الأحزاب والمجموعات فى البلد الواحد،فضلاً عن الدول المختلفه،وكل منها يدعى الوصل بليلى،ويجر النار إلى قرصه،ويدعى أنه على حق،ويفسر النص ويقرأه حسب ما يتطابق مع مصالحه ومشتهياته.

الأثر الإيجابى للمدرسه الهرمونطيقا على النقد الأدبى

أن وظيفه الناقد الأدبى هى تحليل النص الأدبى بتوسط علوم اللغه،وطبعاً لا يقتصر على المفردات وإنما يشمل النحو والصرف والبلاغه والاشتقاق اللغوى وغيرها،سواءً كان هذا النقد فى اللغه العربيه أم غيرها.

ويستطيع الناقد الأدبى أن يستخرج من قصيده شعريه أو نص نثرى فى زمان غابر – العصر الجاهلى على سبيل المثال–طبيعه البيئه الجغرافيه التى كان الشاعر يعيش فيها،والجو النفسى والمحيط الاجتماعى والنظام السياسى والعادات والتقاليد فى ذلك المجتمع،والنظام الأُسرى فيه،والحقائق التاريخيه وغيرها،ومن هذا العمل يستطيع الناقد الأدبى أن يخدم علوماً عديده،ويقدم لها معلومات مفيده فى هذا المجال،كل هذا يتم من خلال التحليل الأدبى الذى يقوم به الناقد،ووظيفه هذا الناقد شبيهه بعمل عالم الآثار الذى يستطيع من خلال القطعه الأثريه أن يحدد الزمان الذى تنتمى إليه هذه القطعه من خلال الأدله والبراهين التاريخيه.

فهذه بعض إيجابيات النظريه،ولا يعنى كلامنا هذا أن هذه النظريه خاليه من السلبيات.نعم،هناك بعض السلبيات التى سنذكرها لاحقاً.

فتعدد القراءات شبيهٌ بالتأويل الذى يقول به أتباع مدرسه أهل البيت عليه السلام وإن كان مرفوضاً من قِبل المدارس الإسلاميه الأُخرى،فالتأويل هو نوع من تعدد القراءات،

وهو أمرٌ إيجابیٌ إذا کان خاضعاً لضوابط وقوانین تحکمه،أما إذا کان بشکلٍ عشوائی وغیر مستند إلی البراهین والأدله،وکان بشکل سائب یکون بلا شک أمراً سلبیاً مضراً بفهم النص.

فتعدد القراءات هو تجاوز القشور فی النص والغوص فی أعماقه کی یستخرج منه المعانی المکنونه فی بواطنه.

نعم،البعض یرمی مذهب أهل البیت علیهم السلام أنه مذهبٌ باطنی وغنوصی-أی أنهم یغوصون فی أعماق اللفظ للوصول إلی معنیً معین-؛لأن هؤلاء یرفضون فکره التأویل جمله وتفصیلاً،وهذا خطأ.نعم،لو طالب هؤلاء بإیجاد اسس وموازین لهذا التأویل لاتفقنا معهم،وهؤلاء یقرون بجداره المدرسه الهرمونطیقا،ولکنهم حین یأتون إلی التأویل یرفضونه،مع أن الأمرین یحملان نفس المعنی،ولهذا فهم یناقضون أنفسهم بأنفسهم.

والتأویل مثبت فی القرآن الکریم،قال تعالی.(هُوَ الَذِی أَنْزَلَ عَلَیْکَ الْکِتابَ مِنْهُ آیاتٌ مُحْکَماتٌ هُنَ أُمُ الْکِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَا الَذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ زَیْغٌ فَیَتَبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَهِ وَ ابْتِغاءَ تَأْوِیلِهِ وَ ما یَعْلَمُ تَأْوِیلَهُ إِلاَ اللهُ وَ الراسِخُونَ فِی الْعِلْمِ یَقُولُونَ آمَنا بِهِ کُلٌ مِنْ عِنْدِ رَبِنا وَ ما یَذَکَرُ إِلا أُولُوا الْأَلْبابِ) (۱).

فالغریب أن البعض ینفی التأویل بصوره کلیه،وهذا یتناقض مع الحدیث القائل بأن القرآن ظاهره أنیق،وباطنه عمیق(۲)،ورفض التأویل بهذه الطریقه هو تحجیم للنص القرآنی،حیث تکون القراءه مقتصره علی الظاهر والقشور.

۱- (۱) سوره آل عمران.الآیه ۷.

۲- (۲) راجع.اُصول الکافی.۵۹۲/۲،کتاب فضل القرآن،الحدیث ۲/۳۴۶۱.وسائل الشیعه:۱۷۱/۶،باب استحباب التفکر فی معانی القرآن،الحدیث ۳/۷۶۵۷.

قال تعالى.(فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ*وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ*إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ*فِي كِتابٍ مَكْنُونٍ*لا يَمَسُّهُ إِلاَ الْمُطَهَرُونَ*تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِ الْعالَمِينَ) (۱).

فالقرآن يصرح بأن له حقيقه مكنونه،ولا يمسه إلاالمطهرون،ولم يقل تعالى:

«المتطهرون»،بل قال.(اَلْمُطَهَرُونَ) ،وهم الذين طهرهم الله تعالى حيث قال.

(إِنَما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِرَكُمْ تَطْهِيراً) (۲).

فدرجات القرآن ليست واحده،قال تعالى.

(بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ*فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ) (۳).

و(مَجِيدٌ) ،أى ذو مجدٍ وعظمه،أى له درجات غيبيه،(فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ) عن أن يناله الإنس والجن.

وقال تعالى متكلماً عن القرآن الكريم.

(بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِناتٌ فِي صُدُورِ الَذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) (۴).

فهل من المعقول أن تحلل القصيده تحليلاً عميقاً،وأن تقف عند قشور القرآن بحجه رفض التأويل.

۱- (۱) سوره الواقعه.الآيات ۷۵-۸۰.

۲- (۲) سوره الأحزاب.الآيه ۳۳.

۳- (۳) سوره البروج.الآيتان ۲۱ و ۲۲.

۴- (۴) سوره العنكبوت.الآيه ۴۹.

المحاضره الثالثه:إثارات العلمانيين الغربيين حول الإسلام

ص:٣٣

فى البدايه نود أن نذكر أن الدين الإسلامى أقوى من هذه الإثارات والإشكالات، وأنه لا يزداد إلاقوه ونصاعه وثباتاً بعد هذه الرياح التى تهب عليه من هنا أو هناك.

فالبعض ينظر إلى الدين على أنه اسطوره ليس إلا،والبعض الآخر ينظر إلى الدين نظره احترام وتقدير ليس إيماناً بأنه منزل من عند الله ولكن لأنه يحارب الجريمه وينظم المجتمع.

ومن خلال النظريات والمدارس التى ذكرناها حاول الغربيون أن يوجهوا العديد من الإشكالات على الدين الإسلامى وعلى مذهب أهل البيت عليهم السلام؛لأنه المذهب الأكثر تمسكاً بالحجج المنطقيه وتطابق العلوم الدينيه مع العقل والمنطق.

وسنطرح الإثارات ونرد عليها حسب مذهب أهل البيت عليهم السلام،وأما على نظر باقى المذاهب الإسلاميه،فالرد عليها ممتنع،بل إنهم يتبنون نفس المبانى التى يثيرها العلمانيون الغربيون،ويكررها العلمانيون من المسلمين والعرب؛لأن هؤلاء يطرحون ما يطرحه الغربيون وترجع أساساً إلى المدارس التى ذكرناها.

ومن الإثارات المطروحه التى يتبنونها بأن البارى سبحانه وتعالى إذا كانت ذاته أزليه غير محدوده فى اعتقاد الموحدين الذين يعتقدون بالُالوهيه،فذات البارى غير متناهيه ولا يشك أحدٌ فى ذلك من أصحاب الديانات السماويه،بل وحتى المشركين

فإنهم يعدون من الملل الإلهيه؛لأنهم يقولون بوجود الإله،وهم لم يبنوا فكرهم على الوثنيه إلاالأنهم يقربونهم إلى الله زلفى،وأما الملحدون الذين يؤمنون بالماده فهم يؤمنون بوجود أصل للكون،وهى الماده،وأنها أزليه.إذن فكل البشر يذعنون بفطرتهم إلى أن هناك حقيقه غير متناهيه فى الوجود وإن اختلفوا فى تسميتها.

فكيف يمكن للنبى صلى الله عليه و آله الإحاطه بكل الحقائق،وهو مخلوق ومحدود ولا يحيط بالحقائق كلها؛لأن المحدود لا يحيط باللامحدود،والمتناهى لا يستوعب اللامتناهى،وأننا لو سلمنا بكل ما قاله محمد صلى الله عليه و آله فإن العقل البشرى سوف يصيبه الجمود وتتعطل عجله الفكر الإنسانى،وهم يعبرون عن النبوه بأنها نوعٌ من التجربه البشريه شبيهه برياضه المرتاضين والمتصوفه،أو أن النبوه نوعٌ من أنواع النبوغ البشرى،إذن فمصدر عظمه الأنبياء هو العقل أو الروح،والمذاهب الإسلاميه الأُخرى-غير مذهب أهل البيت-يقولون بأن علوم النبى صلى الله عليه و آله محدوده فى إطار التشريع،وهذا ما يرويه مسلم وغيره من أهل السنه،حيث يقولون بأن النبى صلى الله عليه و آله قد تعلق علمه بالأُمور التشريعيه وأما غيرها فمن الممكن أن لا يحصل له علم بها،وهذا - حسب زعم مذاهب السنه-ما يبينه فعل النبى صلى الله عليه و آله حين أوصى الأنصار بطريقه زراعيه معينه لاستثمار النخل،ثم ثبت أن هذه الطريقه التى أوصى بها النبى صلى الله عليه و آله فاشله،فلما سألوه عن ذلك قال:

«أنتم أعلم بأمر دنياكم» (1)،وهم يقولون فى مواضع عديده بأن النبى اجتهد فأخطأ،وفى كتب اصول الفقه عندهم يذكرون موارد اجتهاد

١- (١) صحيح مسلم بشرح النووى.١١٥/١٥،الحديث ٦٠٧٩-١/١٣٩،٦٠٨٠-٢/١٤٠،٦٠٨١-٣/١٤١،كتاب الفضائل،باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره صلى الله عليه و آله من معايش الدنيا.سنن ابن ماجه.١٧٥/٣،الحديث ١/٢٤٧٠ و ٢/٢٤٧١،كتاب الرهون،باب تلقيح النخل.مسند أحمد بن حنبل.١٦٣/١ (مسند أبى محمد طلحه بن عبيدالله) ومسند أحمد بن حنبل (مسند أنس بن مالك).

النبی صلی الله علیه و آله ثم تخطئته،ویذکرون أن القرآن نزل موافقاً لرأی الصحابه ومخطئاً لرأی النبی صلی الله علیه و آله.

ولو حولنا جمله.«أنتم أعلم بأمر دنیاکم»التی ینسبونها للنبی صلی الله علیه و آله إلی التعبیر اللاتینی الحدیث لأصبحت (سکولار) فصل الدین عن الحیاه العامه،أو کما یقال:

ما لله لله،وما لقیصر لقیصر».إذن هذا الطرح موجود فی المذاهب الإسلامیه الأُخری غیر مذهب أهل البیت علیهم السلام.

ونستطیع أن نقول.إن المذاهب الإسلامیه الأُخری تمثل العلمانیه القدیمه فی محتواها وفی معناها،وهذه لیست مجرد روایات مذکوره،وإنما هم یتبنونها ویبنون علیها آثار کثیره.

وفی ذیل هذه الآیه.(وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِیٍ إِلا إِذا تَمَنی أَلْقَی الشَیْطانُ فِی أُمْنِیَتِهِ فَیَنْسَخُ اللهُ ما یُلْقِی الشَیْطانُ ثُمَ یُحْکِمُ اللهُ آیاتِهِ وَ اللهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ) (۱)یروون أن النبی قد تسلط الشیطان علی قلبه وروحه،ثم حکی آیات لیست من عند الله،وتسمی هذه القصه بقصه الغرانیق.«تلک الغرانیق العلی،اللات والعزی ومناه الثالثه الأُخری،منها الشفاعه ترتجی»(۲)،وأن قریش قد استبشرت بمداهنه الرسول لها،فنزل جبرئیل وسدد النبی وقال له.«إن تلک الآیات آیات شیطانیه ولیست آیات رحمانیه»،وهذه القصه لیست مذکوره عندهم فی کتب الروایات فحسب،بل توجد فی کتب الأُصول والتفسیر والکلام.

والنص فی کتاب البخاری لا یذکر لفظ الغرانیق،وإنما یذکر أن الشیطان یلقی فی

۱- (۱) سوره الحج.الآیه ۵۲.

۲- (۲) جامع البیان/ابن جریر الطبری.۶۰۴/۱۶،سوره الحج.الآیه ۵۲.تفسیر القرطبی:۷۹/۱۲،تفسیر الآیه المتقدمه.مجمع الزوائد.۲۴۸/۷،سوره النجم،الحدیث ۱۱۳۷۶.

قراءه النبى صلى الله عليه و آله(۱)،وإن اختلف النص إلاأن المعنى واحد،والإيمان بهذه الأُمور فى حق النبى يعنى فيما يعنى الإيمان بالبلوراليسم وتعدد الإدراك،وأن كلام النبى صلى الله عليه و آله قد يصيب وقد يخطئ،وأن النبى صلى الله عليه و آله لا يدرك كل الحقيقه،وليس له أن يفند رأى الآخرين،ومن هذا ينتج عدم صحه القول بخلود الشريعه الإسلاميه،وكيف تخلد وهى لا تمتلك الحقيقه ؟

ومن ثم يظهر لنا مصطلح عقلنه الخطاب الدينى،وهناك من يطرح نفس الطرح حتى من وسطنا الداخلى،ويقولُ إنه يحق للعقل أن ينتقد بعض خطوات الأنبياء من باب البلوراليسم أو تعدد الإدراك.

وهم-المتأثرون بالحداثويات-يفسرون (وَ خاتَمَ النَبِيينَ) (۲)،وقوله صلى الله عليه و آله:

«لا نبى بعدى» (۳)أن إرسال الرسل إلى الأُمم السابقه إنما حدث بسبب عدم تأهل تلك الأُمم،وأنها لم تبلغ سن الرشد،فلذلك احتاجت إلى نبى يرشدها،أما الأُمم التى جاءت بعد محمد صلى الله عليه و آله فهى قد بلغت سن الرشد،ولا تحتاج إلى قيمومه ووصايه السماء،وهى قادره بواسطه الحوار والمجتمع المدنى والديمقراطيه والتجارب العمليه والانفتاح والحريه على إداره نفسها ومسايره الحياه،فيكون ختم الأنبياء يعنى الاستغناء عن السماء وشريعتها.

وهم يقولون أيضاً.إن الشريعه لا تعالج الأُمور المعاشيه والمتعلقه بالحياه العامه، فهى عاجزه عن تلبيه الكثير من مستلزمات الحياه،فمثلاً هى فاقده لقوانين النظم

۱- (۱) البخارى.۲۶۵/۳،كتاب التفسير،سوره الحج.الآيه ۵۲.

۲- (۲) سوره الأحزاب.الآيه ۴۰.

۳- (۳) الدر المنثور.۵۴۵/۶،تفسير سوره الأحزاب.الآيه ۴۰،تفسير القرآن العظيم.۳۸۳/۶،فى تفسير الآيه المتقدمه.تفسير القرطبى.۱۷۸/۱۴،تفسير الآيه المتقدمه،ولكن ورد فيها.«لا نبوه بعدى».

العسكريه والمصارف والبنوك والاقتصاد والإداره وغيرها،وهذا الإشكال وقعت فيه المذاهب الإسلاميه الأُخرى من أهل السنه،وإن هم أنكروا على العلمانيين الغربيين والعلمانيين المسلمين،بل كفروهم،أو حكموا بضلالهم،ولكنهم يتبنون نفس المعنى وإن اختلف اللفظ،وقال البعض فى قوله تعالى.(وَ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِ شَىْ ءٍ) (١)،أن القرآن ليس تبياناً لكل شىءٍ من امور الدنيا،بينما ذهب البعض الآخر إلى القول بأن القرآن ليس فيه تبيان لكل شىء من الدين والدنيا،ومع ذلك فإن بعض المفسرين-كالمفسر الطنطاوى-له تفسير يبين فيه المعجزات العلميه العديده التى ذكرها القرآن،ثم أثبتها العلم بعد عده قرون،فهم يتخبطون فى فهم هذه الآيه، ومع كل ما تقدم فإن الذين قالوا.إن القرآن فيه كل شىء من الدين قد اصطدموا بأن ظاهر القرآن ليس فيه كل شىءٍ من الدين،فضلاً عن الدنيا،ولذلك ذهب البعض - متوسلاً فى الخروج من هذه المشكله -.إلى إن السنه النبويه داخله فى هذا النطاق؛ لقوله تعالى.(وَ ما آتاكُمُ الرَسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) (٢)،فتكون السنه النبويه داخله فى التبيان لكل شىء المذكور فى الآيه الكريمه،وعندما رأوا أن ظاهر القرآن وظاهر السنه ليس فيهما تبيان لكل شىء ضموا لهما الإجماع باعتباره مصدراً من مصادر التشريع،وأنه حجه،ولكن هذا لم يحل المشكله أيضاً،ثم ضموا القياس والظن والرأى.

ومن هنا فإنهم وقعوا فى مشكله أن ظاهر القرآن وظاهر السنه ليس فيهما تبيان لكل امور الدين،فضلاً عن الدنيا،ففتحوا باب العقول والتجارب البشريه،وهذا عين ما يدعو إليه العلمانيون،وهم كفروا نصر حامد أبو زيد-ونحن لسنا بصدد تصحيح مسلكه وتقليده للحداثويين الغربيين-ولكن نقول.إن ما طرحه هو تتبنونه أنتم وإن

١- (١) سوره النحل.الآيه ٨٩.

٢- (٢) سوره الحشر.الآيه ٧.

اختلف اللفظ،وحكمت المحكمه الشرعيه ببينونه زوجته منه.

وهنا نقاط لا بد من ذكرها.

النقطه الأُولى:هى وجود الحقيقه،ولا بد من وجودها،سواءً كانت هذه الحقيقه هى حقيقه الحقائق،ومحقق الحقائق،وموجد الحقائق،ومقرر الحقائق،والمثبت للحقائق،وهو الله سبحانه وتعالى-على مبنى الموحدين-أو حتى على مبنى الماديين الذين يؤمنون بأن الماده لها حقيقه أو الذى ولد الماده له حقيقه،وإلا لو لم تكن للماده حقيقه فلِمَ هذه البحوث العلميه الكثيره،هل هى بحث وراء السراب أم هو بحث وراء الحقائق ؟ طبعاً بحث وراء الحقائق؛لأنها هى المطلوبه.

إذن البحث العلمى يجب أن يبحث عن الحقيقه.

النقطه الثانيه:أن السير البشرى فى العلوم التجريبيه وإن ازدادت وتيرته بصوره مضاعفه،إلاأنه لن يقف عند حد من الحدود وعند درجه من الدرجات.

والنتيجه.أن البشر لن يصلوا إلى الكمال العلمى بحسب الواقع والحقيقه،بل إن البشريه ستظل تبحث وتبحث عن الحقيقه،وهذا دليل على النقص والعجز البشرى فى بلوغ الكمال والحاجه إلى الله جل جلاله؛لأنه هو المحيط بكل الحقائق ومطلق الوجودات ويعلم بكل القوانين والمعادلات.ومن خلال النقطتين السابقتين نستطيع أن نقول.بأن البشريه لم تصل إلى مرحله النضج البشرى،وعدم الوصول هذا يدل على الجهل البشرى،والله يعلم إلى أى درجه سيكون الفارق بيننا وبين الأجيال القادمه فى التقدم العلمى وأساليب المعيشه،سواء فى العلوم التجريبيه أو العلوم الإنسانيه الاجتماعيه أو غيرها من منظومات العلوم.

إذن البشر لم يصلوا إلى سن الرشد،ولم يستغنوا عن وصايه السماء؛لأنهم لا يزالون يعيشون المحدوديه فى التفكير،ولا يستغنون عن العالم المطلق الذى يحيط بالأدوار الزمنيه،والعوالم المختلفه،واُصول الخلقه البشريه والموجودات

الأُخرى،وأسـرارها،وكيفيه ارتباطها وتأثيرها على بعضـها وتأثيرها على الإنسان، والبشريه لن تصل فى يوم من الأيام إلى اكتشاف كل أسـرار الكون،بما فيها طبيعه الإنسان روحاً وجسداً وتفاعلاً مع بنى جنسه من البشـر،ومن هنا تأتى ضـروره النبوه؛ لأن البشريه غير كامله،ولذا فنحن نحتاج إلى حبل متصل بين الأرض والسماء لنحيط بكل الأُمور.

ص:۴۱

المحاضره الرابعه مناقشه آراء مدرسه البلورالیسم

اشاره

ص:۴۳

مدرسه البلوراليسم بين الاتفاق والاختلاف

اشاره

المدارس الثلاث التى تكلمنا عنها كلها تنطلق من قناعات تصب فى ضروره أبديه الدين الإسلامى والشريعه المحمديه من حيث لا تشعر.

وسنبدأ بمناقشه المدارس الثلاث،وأول مدرسه سنناقشها هى المدرسه المنطقيه البلوراليسم؛لما لها من بريق وجاذبيه فى الأوساط الثقافيه،وهذه المدرسه التى تعتمد فى طرحها على أن الإنسان لا يدرك الحق لوحده،بل يشاركه الآخرون فى معرفه الحقيقه،وأن الإنسان وإن أدرك شيئاً من الحقيقه إلاأنه لا يدركها بشكل يجعله يحيط بها إحاطه كامله.

ولذا فهم يقولون.إذا كان الله تعالى هو المحيط بالحقيقه بشكل كامل فذلك لأنه هو المطلق اللامتناهى،أما الرسول-أى رسول،حتى لو كان محمد صلى الله عليه و آله-فهو مخلوق ومتناهى،وهو لا يمتلك الحقيقه لوحده،ولا يمتلكها بشكل مطلق،وما تعيشه البشريه من تطور فى السير العلمى ناتج من قصورها وحاجتها للوصول إلى الكمال المطلق وهو الله تعالى.

وهذه النظريه هى تطوير لنظريه آينشتاين النسبيه،وأن الحق نسبى،وهم يطرحون طرحاً فكرياً يتبنى الرأى القائل بأنه لا يحق لأحد تخطئه غيره؛لأن الحق

منتشر ومتوزع ولا يحتكره أحد أو جهه معينه.

الرد على هذه الشبهه.

إذا كنتم تقولون.إن الحقيقه متفرقه،وأنه لا يحق لأحد أن يدعى أنه يمتلك الحقيقه لوحده ويحيط بها إحاطه كامله،فأنتم بهذا تميلون إلى جمع الحقائق من كل الأطراف،وترفضون أن تتقوقعوا فى جزءٍ من الحقيقه عند هذا الشخص أو ذاك، وعند هذه الجهه أو تلك،وأن الإنسان بطبيعته يسير نحو الكمال المطلق والبحث عن الحقيقه،والكمال المطلق هو الله تعالى،قال تعالى.(قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ أَيًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى) (١)،فكل إسم من أسماء الله يمثل كمالاً من الكمالات الإلهيه.

والحاصل.فما عند القوم هو أنه إذا ادعى شخص أن الحقيقه كلها عنده،فهذا غير صحيح،بل الصحيح أن عنده بعضها وبعضها الآخر عند الآخرين،فبإدعائه هذا فإنه سيلغى وينفى جزء الحقيقه عند الآخرين،وبهذه الطريقه ستضيع الحقيقه أو سيضيع جزءها الذى عند الآخرين وهم فى حذرٍ شديد من ضياع بعض الحقيقه عند هذا الطرف أو ذاك،وأنه ينبغى على الإنسان أن يبحث عن الحقيقه عند كل الأطراف لكى يحصل على صورتها الكامله.إذن هم يتجهون للبحث عن الحقيقه بصوره كامله من حيث يشعرون أو لا يشعرون،ونحن نتفق معهم فى أننا يجب أن نبحث عن الحقيقه بصوره كامله.

ونحن أتباع الطرح الإلهى المقابل للطرح المادى نقول لهم.إن بعض الحقيقه التى يمتلكها هذا الشخص أو ذاك،وهذه الفئه أو تلك،هذا البعض من الحقيقه غير كافٍ للوصول إلى الحقيقه بشكل كامل،والنتيجه هى أننا لابد لنا من طريقه تجمع لنا

١- (١) سوره الإسراء.الآيه ١١٠.

الحقيقه بقدر ما يستطيع الإنسان أن يدركها لا- الحقيقه المطلقه والعلم المطلق الذى يمتلكه الله تعالى؛لأن ذلك مختص به تبارك وتعالى،وبالتالى فإذا أردنا أن نحافظ على الحقيقه يجب أن لا نبعضها وأن لا نوزعها فى هذا الطرف أو ذاك كى نحتفظ بها ولا تضيع بين هذه الأطراف،وأنه لا بد من صيغه عقليه ذهنيه فكريه تضمن لنا حفظ الحقيقه من الضياع عندما تقسم عند عده أشخاص أو فئات،وأن الطرح الذى يطرحونه من توزع الحقيقه عند الفئات أو الأشخاص لا يؤمن لنا الوصول إلى الحقيقه الكامله المتمثله بالخالق (جل وعلا).

وهذا ما يؤيده ما ورد فى الدعاء:«يا دائم الفضل على البريه ،يا باسط اليدين بالعطيه ،يا صاحب المواهب السنيه»(١)،فصاحب المواهب السنيه هو صاحب الحقيقه المطلقه التى تفيض الكمالات على الإنسان.

العقل الجماعى ومفهوم الشورى الصحيح فى الإسلام

من ضمن ما يطرحه العلمانيون الغربيون وتبعهم العلمانيون من العرب والمسلمين هو القول بعدم نفى وإلغاء الطرف الآخر باعتبار أنه يمتلك جزءاً من الحقيقه،ولكننا نقول لهم.إلى أى مدى نعترف بالآخر،هل نصحح آراءه بشكل مطلق ؟ أم نصححها بشكل نسبى ؟ وعندما نصححها بشكل نسبى ما هى النسبه التى تمنح لها،هل هى نسبه التسعين فى المئه أم العشره فى المئه ؟

ثم ماذا نفعل عندما تكون آراء الآخرين آراء سراب وليست آراء صواب،هل نعترف بها بحجه عدم إلغاء الآخر ؟ إذن فنحن بحاجه إلى وضع ضوابط وأدوات للاعتراف بالآخر.

صحيح إننى لا أستطيع أن أدعى امتلاك الحقيقه باعتبارى إنسان عادى غير

١- (١) المصباح/الكفعمى.۶۴۷،الفصل السادس والأربعون.فيما يعمل فى شهر شوال.

معصوم،والقرآن الكريم والمذهب الإمامى يدعو إلى العقل الجماعى«حق على العاقل أن يضيف إلى رأيه رأى العقلاء»(۱)هذا هو الذى يطالب به الدين الإسلامى لغرض الوصول إلى الكمال والحصول على الحقيقه،وبالتالى يكون له الأثر الايجابى فى الرقى والإسهام فى التطور،ولم يعبر الحديث بأن العاقل من جمع أهواء الناس إلى هواه»،أو.«من جمع سفاهات الناس إلى سفاهته»،بل قيدها بإضافه آراء الآخرين إلى رأيه؛ولذلك من المفيد أن نضيف إلى علمنا علم الغربيين من حيث التكنولوجيا والتقنيات الحديثه والدراسات العلميه والتعدديه السياسيه،ولكن ينبغى علينا أن نترك ما يعتبر من التخلف فى المجتمعات الغربيه من الانحلال الخلقى والتفسخ والرقص والمجون التى تضج منها اوروبا والهند واليابان مع كونهم غير مسلمين، لأنهم يخشون على أنفسهم من شراسه الجنس والإغراء والتحلل والمجون الذى تصدره أمريكا.

فالعقل الجماعى الذى تكلمنا عنه هو ما يعبر عنه بالشورى فى المفهوم الإسلامى وليس الإراده الجماعيه،ونحن نحترم التعدديه فى هذا الإطار،وهى جيده ومفيده، ولكن المهم هو انتقاء الفكر الصحيح عند الآخر لا قبوله بشكل مطلق بحجه قبول الرأى الآخر والتعدديه،وإذا لم يكن فيه شىء من الصحه لا نقبل منه شىء،وإذا كان يحتوى على نسبه ضئيله من الصحه لا نقبل غير هذه النسبه الضئيله،ونرفض الفكر الخاطئ منها.

ومن الأخطاء الشائعه فى هذا الزمان إقحام الحوار وإدارته من قِبل أشخاص لا يعلمون من التخصص الذى يدور حوله الحوار شيئاً،فليس من المعقول أن يدير

۱- (۱) غرر الحكم.۵۵،رأى العاقل،الحديث ۴۹۶.وورد الحديث.«أعقل الناس من أطاع العقلاء»-راجع غرر الحكم.۵۲،باب أعقل الناس،الحديث ۳۸۵.

الحوار الطبی مهندس میکانیکی وینصب هذا المهندس المیکانیکی نفسه حکماً علی ذلک الحوار الطبی وهو لا یعرف من الطب حتی أبجدیاته.

فالصحیح والمهم إذن،هو أن لا یستبد الإنسان برأیه،وأن من استبد برأیه هلک، ولا بد من الاستماع إلی الرأی الآخر،وهذه هی ثقافه الإسلام التی سبق بها البلورالیسم وإن کانت هذه الثقافه قد شوهتها وجود الحکومات الظالمه المستبده التی کانت تحکم باسم الإسلام من حیث المظهر والشکل.

وعلیه فالسعی للحصول علی تمام الحقیقه یدعونا إلی الانفتاح علی الآخرین،وأن البحث عن الحقیقه یحتاج إلی سلسله من تجارب البشر حتی یصلون إلی بعض درجاتها،ونحن نعتقد أن الله قد بعث محمداً صلی الله علیه و آله قبل أربعه عشر قرناً،وقد جعله سید البشریه من حیث الروح والأخلاق والعقل،وقد أعطاه الله ما لم یعط غیره،فقال:

(وَ إِنَکَ لَعَلی خُلُقٍ عَظِیمٍ) (۱)،ویتجلی لطف الله بمحمد صلی الله علیه و آله فی سوره الشرح والضحی وغیرهما.

مفاتیح العلوم عند النبی الأکرم صلی الله علیه و آله

لا شک إن الله قد أعطی محمداً صلی الله علیه و آله قواعد العلوم،بل أحاطه بالحقائق،وقد زقه العلم زقاً بصوره غیر قابله للخطأ إطلاقاً،والله تعالی یحیط بالحقیقه فلا یعزب عن علمه شیء،سواء کان من حیث الکم أو الکیف،ولا یصل إلیه البشر فی سیرهم العلمی القائم علی التجربه فی العلوم السیاسیه والإنسانیه والحقوقیه وغیرها،قال تعالی.(أَ لا یَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَ هُوَ اللَطِیفُ الْخَبِیرُ) (۲)،فالله یعلم ما خلق من الذره إلی المجره،(وَ هُوَ اللَطِیفُ الْخَبِیرُ) الذی لا یخفی علیه شیء،وهذا لیس إفراط

۱- (۱) سوره القلم.الآیه ۴.

۲- (۲) سوره الملک.الآیه ۱۴.

فی معرفه شأن النبی محمد صلی الله علیه و آله،بل هذا هو ما أخبر به الله تعالی حیث قال.

(وَ ما مِنْ غائِبَهٍ فِی السَّماءِ وَ الْأَرْضِ إِلا فِی کِتابٍ مُبِینٍ) (۱)،وفی هذه الآیه لا یقتصر الأمر علی التشریع فی الکره الأرضیه،بل یتجاوز إلی الغائبه فی السماء والأرض،حیث توجد فی الکتاب المبین وهو القرآن،ولکن لیس تنزیل القرآن النازل من المصحف،بل هو القرآن فی اللوح المحفوظ،وقال تعالی.

(وَ عِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَیْبِ لا یَعْلَمُها إِلا هُوَ وَ یَعْلَمُ ما فِی الْبَرِ وَ الْبَحْرِ وَ ما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَهٍ إِلا یَعْلَمُها وَ لا حَبَهٍ فِی ظُلُماتِ الْأَرْضِ وَ لا رَطْبٍ وَ لا یابِسٍ إِلا فِی کِتابٍ مُبِینٍ) (۲).

(وَ ما یَعْزُبُ عَنْ رَبِکَ مِنْ مِثْقالِ ذَرَهٍ فِی الْأَرْضِ وَ لا فِی السَماءِ وَ لا أَصْغَرَ مِنْ ذلِکَ وَ لا أَکْبَرَ إِلا فِی کِتابٍ مُبِینٍ) (۳).

(وَ کُلَ شَیْ ءٍ أَحْصَیْناهُ فِی إِمامٍ مُبِینٍ) (۴).

(حم*وَ الْکِتابِ الْمُبِینِ*إِنا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَهٍ مُبارَکَهٍ إِنا کُنا مُنْذِرِینَ) (۵).

حقیقه الکتاب المبین

وسنورد معنی الکتاب المبین بصوره مقتضبه،حیث یقول تعالی.(إِنا أَنْزَلْناهُ) ، والتنزیل تخفیف کما لو قلنا.سننزل هذا المطلب،أی سنخففه؛لأن حقیقه الکتاب المبین لا تستوعبه الدنیا،ولکن اصول المطالب الموجوده فی الکتاب المبین

۱- (۱) سوره النمل.الآیه ۷۵.

۲- (۲) سوره الأنعام.الآیه ۵۹.

۳- (۳) سوره یونس.الآیه ۶۱.

۴- (۴) سوره یس.الآیه ۱۲.

۵- (۵) سوره الدخان.الآیات ۱-۳.

موجوده فی مصحف القرآن الکریم،والکتاب المبین هو حقیقه القرآن وعلومه الغیبیه بنص سوره الدخان،وسور اخری فضلاً عن الروایات کی یوسوس من یتمرد علی التراث الروائی المعتبر أو یطعن علی مذهب الإمامیه بالباطنی.

(حم*وَ الْکِتابِ الْمُبِینِ*إِنا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِیًا لَعَلَکُمْ تَعْقِلُونَ) (۱)،أی جعلاً مخففاً یتحمله الوجود الأرضی،(جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِیًا) ،وإلا فإنه فی حقیقته لیس لفظاً عربیاً ولا فارسیاً ولا إنجلیزیاً،کما هو الحال فی معانی القرآن،فإنها لغه بشریه موحده،بل لغه عقلیه موحده بین الإنس والجن والملائکه،فضلاً عن حقائقه وحقیقته العینیه التکوینیه الملکوتیه،وهذا ما نستفیده من کلمه (جَعَلْناهُ) الوارده فی الآیه،أی صیرناه ونزلناه بصوره ألفاظ،وإنما هو وجود تکوینی وحقیقه من الحقائق،وأما ماهی هذه الحقیقه ؟ فهذا بحث آخر لسنا فی صدد الخوض فیه فی المقام.

وقال تعالی.(فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُجُومِ*وَ إِنَهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِیمٌ*إِنَهُ لَقُرْآنٌ کَرِیمٌ*فِی کِتابٍ مَکْنُونٍ*لا یَمَسُهُ إِلاَ الْمُطَهَرُونَ*تَنْزِیلٌ مِنْ رَبِ الْعالَمِینَ*أَ فَبِهذَا الْحَدِیثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ) (۲).

فالقرآن یقول.هل أنتم مرتابون بهذه الحقیقه ولا تصدقونها ؟

وهذا القرآن الذی هو تنزیل ونزول،والنزول هو مقابل الصعود،کما هو معروف فی اللغه.والقرآن الکریم ینبئنا أن کثیراً من المغیبات والحقائق موجوده فی الکتاب المبین،یقول تعالی.(وَ نَزَلْنا عَلَیْکَ الْکِتابَ تِبْیاناً لِکُلِ شَیْ ءٍ وَ هُدیً وَ رَحْمَهً وَ بُشْری لِلْمُسْلِمِینَ) (۳).

۱- (۱) سوره الزخرف.الآیات ۱-۳.

۲- (۲) سوره الواقعه.الآیات ۷۵-۸۱.

۳- (۳) سوره النحل.الآیه ۸۹.

إن هذا إدعاءٌ حقانی کبیر،ومن یستطیع فی هذا العصر أن یثبت هذا الإدعاء أن القرآن فیه کل شیء ؟

بالله علیکم لو لم یکن للقرآن قریناً آخر وهم أهل البیت علیهم السلام کیف یمکننا أن نثبت هذه الحقیقه أمام الاُمم الاُخری ؟

وقد حاول بنو امیه وبنو العباس طوال قرنین أو ثلاثه فی التواطؤ مع الدول الاُخری وعلماء أدیان الملل والنحل الاُخری وأرباب الفنون والعلوم فی سائر أرجاء البقاع أن یحرجوا أهل البیت علیهم السلام،فکانوا یأتون بالعلماء وأهل الفنون والصنائع والمهارات لکی یناقشوهم،وبالتالی ینتصرون علیهم فتقل منزله أهل البیت علیهم السلام عند الجماهیر، ولکنهم فشلوا فی هذا الأمر،وانتصر أهل البیت علیهم علیهم السلام علی جمیع المستویات العلمیه بما فیها الطب وغیره،والتاریخ یشهد للإمام الصادق علیه السلام والإمام الرضا علیه السلام، وغیرهما من أئمه أهل البیت،والمقام العالی للإمام الرضا علیه السلام هو الذی جعل المأمون یضطر إلی إدخال الرضا علیه السلام فی دولته صوریاً کی یأمن من تنامی نفوذه بین الناس من جهه،ویتقوی بذلک اعتبار وشرعیه دولته بأن یجعله ولی العهد،ولو قرأنا کتاب تهذیب الکمال للمزی(۱)،وهو من علماء العامه فی ترجمه علی بن موسی الرضا علیهما السلام فکان یقول.إن الإمام کان یأتی بالغرائب عن آبائه علیهم السلام،وهو وإن أرادوا به عنوان طعن علیه علیه السلام،لکنه إقرار منهم بأن ما نشره علیه السلام من العلوم غریب علی مستواهم العلمی وفوق درجه المعرفه لدیهم.وهذا المقام العالی لأهل البیت علیهم السلام جعلهم القرین للکتاب الکریم.

۱- (۱) ورد فی المصدر.«یأتی عن أبیه بعجائب».راجع.تهذیب الکمال.۱۵۲/۲۱، ت ۴۱۴۱ فی الهامش.میزال الاعتدال/الذهبی.۱۵۸/۳،ت ۵۹۵۲.کتاب المجروحین/ابن حبان.۱۰۶/۲،ولکن ورد.«یروی عن أبیه العجائب».

المحاضره الخامسه:مناقشه مدرسه السکولارزم

اشاره

ص:۵۳

مدرسه السکولارزم نقد وتحلیل

اشاره

قلنا فی الحدیث السابق.إننا لا نرفض مدرسه البلورالیسم بشکل مطلق،وأشرنا إلی الجوانب الإیجابیه فیها،وذکرنا أننا نستنتج من آراء هذه المدرسه استنتاجات تصب فی ضروره النبوه والرساله ووصایه السماء،ولیست معطیاتها واُسسها ضد هذه المفاهیم کما یتراءی للمطلع علیها من أول وهله وإن أراد الحداثیون توظیفها ضد الثابت الدینی،وسنشیر إلی تطبیقات هذه المدرسه فی المجال السیاسی فیما بعد إن شاء الله.

وسوف ندخل فی مناقشه مدرسه السکولارزم،وهی أقدم المدارس الثلاث، ولا زالت تتطور وتتبلور بصیاغات فکریه جدیده وإضافات علمیه متعدده.

ملخص إثارات هذه المدرسه-وإن کنا لسنا فی مقام استقصاء هذه الإثارات-یرتکز علی الجانب المتغیر فی النظام الاجتماعی أو الاقتصادی أو العسکری أو السیاسی أو المالی أو الإداری فی حیاه البشر،هذا بالإضافه إلی نظام الاُسره والفرد وطبیعه المعیشه وتطورها؛من السکن فی الکهف،ثم الصحراء،ثم الغابات،ثم الأودیه،ثم القریه،ثم المدینه.

فلو قارنا معیشتنا فی هذا الزمان مع مَن عاشوا قبل خمسین سنه،فضلاً عمن

عاشوا لقرون سابقه،لوجدنا أن طبيعه الأسره تختلف من حيث المتطلبات والتعقيدات الحضاريه،وطبيعه المشاركه بين الزوج والزوجه قد اختلفت أيضاً،ففى الماضى لم يكن المال هو الوسيط الاقتصادى،وإنما كان عن طريق المقايضه والمبادله بين بضاعه وأُخرى فى فتره من فترات الزمن،وفى فتره اخرى تكون البضاعه السائده هى النقد،فمثلاً.البلد الذى يكون فيه الشاى هو البضاعه السائده يكون الشاى هو النقد فى ذلك المجتمع،ثم تحولت هذه الحاله إلى وضعيه النقد المالى الذى بدأ بالنحاس،ثم بالفضه والذهب،ثم النقد الورقى،والآن تحول النقد الورقى إلى النقد الاعتبارى بالشيكات والحوالات وبطاقات الائتمان،أو الفيزا كارد كما تسمى،والنقد الورقى آخذٌ فى الاضمحلال شيئاً فشيئاً،وهكذا فى الجانب السياسى الذى بدأ بصور قبليه بسيطه،ثم تطور إلى نظام الديوان والكتاب والشرطه والجيش العسكرى التقليدى بأسلحته التقليديه،ولكن هناك فرق شاسع بين هذه الحاله وحاله الحكومات فى زماننا المعاصر وحيث نرى أن هنالك تشكيل الوزارات وإجراء الانتخابات وكذلك التطور الإلكترونى الذى دخل كل المجالات وأدوات النظام،وهذا لم يكن موجوداً فى السابق،وكذلك لم يكن فى الماضى الفصل بين السلطات الثلاث.التشريعيه والقضائيه والتنفيذيه كما هى موجوده الآن،ولم تكن القوانين فى الأزمنه الغابره على ما هى عليه فى هذا الزمان من التشريعات الثابته أو الدستور أو التشريعات المتغيره أو مصوبات المجالس النيابيه وغيرها.

فالقوى التشريعيه فى الحكومات تضاهى القوه الفكريه عند الإنسان،والقوى العسكريه تضاهى القوه الغضبيه الرادعه عند الإنسان،ووزارات التربيه والتعليم تضاهى الإدراك عند الإنسان،فأصبح جهاز الدوله كإنسان كبير متطور.

وأعمال الصرافه التى تطورت حتى أصبح البنك بحد ذاته كدوله مستقله،وهذا ما ينطبق على التطور الزراعى والصناعى وغيرهما.

الشبهه التى يطرحونها

كيف يبقى الدين ثابتاً مع كل هذا التطور الذى جرى على البشريه،ولو لاحظنا أن نسخ شريعه موسى بشريعه عيسى عليهما السلام،إنما جاء فى فتره لم تكن فيها قفزه تطوريه فى نظم الحياه،وهكذا بالنسبه لنوح وإبراهيم ومحمد صلى الله عليه و آله،وإنما حدثت القفزات والتطورات الهائله فى العصور المتأخره والأزمنه المعاصره،فكيف يبقى الدين ثابتاً مع هذا التطور العلمى ؟

فمن باب الأوْلى أن يحدث النسخ فى الزمان الحاضر مثلما حصل للشرائع السابقه؛ وذلك لحدوث التطور الهائل ؟ فالمجتمع لم يعد مجتمعاً قبلياً وعشائرياً،بل تحول النظام إلى وطن وجنسيه ومواطنه وبطاقه سكانيه وجواز وإثبات هويه،وغيرها.

وأنا أطرح هذه الإثارات بكل صراحه لأن ديننا دين خالد،ويستطيع أن يستوعب كل هذه الأُمور ويجيب عليها؛لأن عنده قابليه الرد على كل الإشكالات،بل إنه يمتلك القدره على تلبيه العطش البشرى،ونحن لا نعيش فى ذلك الزمان الذى ينغلق فيه كل قوم على أنفسهم،وإنما نحن فى زمان أصبح فيه العقل البشرى كله على طاوله واحده وتغلب عليه الشفافيه فى أغلب الأشياء.

ومن إشكالاتهم أيضاً هى.أن النبى قد بعث فى مجتمع يغلب عليه البداوه،ولم يكن فى مجتمع حضارى كالفرس والروم،وإن كان هذا الأمر يدل على عظمه النبى محمد صلى الله عليه و آله الذى استطاع أن يحول هذا المجتمع البدوى إلى مجتمع يحكم العالم ويسيطر عليه،وهذا محل إعجاب الباحثين والعلماء،فهم يقولون-مع هذا الإعجاب والانبهار بالدور الذى قام به محمد صلى الله عليه و آله -.إن المجتمع الذى كان يعيش فيه كان مجتمعاً بدوياً،فلا يمكن أن نبقى على أحكامه فى ظل التطور العصرى الهائل،ولا يمكن الاعتماد على البينه والشاهد كما يطرحه الفقه الإسلامى؛لأن ملف القضاء فى الزمان المعاصر قائم على التحقيقات والاستخبارات القضائيه،وفى باب المرور يأتى

المختصون فى هذا الجانب ليفصلوا الخصومه.وقبل الإجابه عن هذا الإشكال نقول.

إن مـدرسه السـكولارزم هى مـدرسه فلسـفيه،وهى لاـ تنـاقش قـدره النبى محمـد صـلى الله عليه و آله الفرديه،كما هو الحال فى البلـوراليسم،فالمنـاقشه إنمـا تقع على مسأله المنهـج والقـانون والـدين،،وهم ينـاقشون البحوث المختلفه ويعـترضون عليهـا وعلى البحـوث المتعلقه بهـا،خصوصـاً البحـوث القضـائيه والأُسـريه والمصـرفيه،ففى بحـوث الـديات والقصـاص والحـدود،فهم-مثلاًـ- يعترضون على قطع اليـد وعلى الجَلـد وغيرهمـا من العقوبات الإسـلاميه،ويعتبرونها غير مناسـبه للعصـر الحاضـر،وينبغى - حسـب رأيهم-التفكير فى أساليب رادعه اخرى لمحاربه الجرائم والجنايات،وأن العقاب الإسلامى قد أكل الدهر عليه وشرب،ولا يناسب النظام النفسى والسيكولوجى الاجتماعى الحديث.

الجواب الأول

أول ما يثار على هذه التساؤلات هو.هل كل ما هو فى البيئه التى تحيط بالإنسان -بكل أنواعها وأشكالها-هو متغير أم ثابت ؟

نحن نطرح هـذا التسـاؤل لأـن مـدرسه السـكولارزم تريـد أن تفصـل الـدين عن الحياه بكل أطيافها بحجه أن البيئه تتغير دون أن تراعى أن هناك ثوابت إلى جانب المتغيرات،ونحن نطرح سؤالاً آخر،وهو.ما هى نسبه الثابت والمتغير فى حياه الإنسان ؟

فالإنسان منذ آدم عليه السلام وحتى يومنا الحاضر هو الإنسان لم يتغير من الناحيه الخلقيه والبدنيه والنفسيه والفسيولوجيه،فالجهاز الهضمى والعصبى،والدوره الدمويه والأعضاء البدنيه وغيرها هذه كلها ثابته.

كذلك الحاجات الإنسانيه لم تتغير،فالإنسان فى زمن آدم عليه السلام لديه حاجات جنسيه ويحتاج إلى نظام الزواج،والإنسان فى زماننا هذا كذلك،وهو فى ذلك الزمان

يحتاج إلى الرعى والزراعه من أجل تأمين الجانب الغذائى،وفى زماننا هذا كذلك، والبيئه،والصيف والشتاء،والحراره والبروده،والقوى الشهويه والغضبيه، والاحساسات والعواطف،والقوى الروحيه،كل هذه الأُمور ثابته وليست متغيره.

فالإنسان صاحب عواطف وأحاسيس،ولا يمكن تهميش هذا الجانب المهم فى حياته كما تنطلق بعض الدعوات التى تدعو لذلك؛فالإنسان يحب ويكره،وينقبض وينبسط،ويحزن ويفرح،وهذا هو الجانب الحيوى فيه،ولا يمكن أن نفرض الجانب الفكرى فقط،فمثلاً.نجد أن الجانب التربوى يعتمد على الجانب العاطفى والوجدانى بدرجه كبيره،لا يمكن بحال من الأحوال الاستغناء عنه،ولا يمكن إخضاعه للفكر بصوره مطلقه.

ونحن ذكرنا فى المحاضرات الأُولى أن الدين هو الذى لا يتغير بين نبى وآخر، وأن الذى يتغير هو أحكام الشريعه،فالتوحيد الذى يحتاج إليه الإنسان فى الغابه والكهف هو نفس التوحيد الذى يحتاج إليه فى عصر المعلومات وغزو الفضاء، فالتشريع الإسلامى الذى يعالج الجوانب الثابته فى حياه الإنسان هو أيضاً يحارب الرذيله،والرذيله وإن تطورت فى أساليبها وأشكالها إلاأنها هى الرذيله التى يجب أن نحاربها ونجتثها من المجتمع.

وعندما نرد على نظريهٍ ما لا يعنى أننا ننسف هذه النظريه التى نردها من الأساس، بل قد تكون فيها جوانب إيجابيه كالنوازع الفطريه التى أصابها بعض الانحراف ونحاول أن نهذبها من الانحراف ونرجعها إلى اصولها الفطريه النقيه،وأهل البيت عليهم السلام قد علمونا أن ننفتح على جميع الآراء شريطه أن نزن ونميز الغث من السمين المستمد ذلك من الدعوه القرآنيه (اَلَذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَبِعُونَ أَحْسَنَهُ) (1)،والقول جنس عام شامل ولكن الاتباع هو للأحسن،وهو أعلى رتبه

۱- (۱) سوره الزمر.الآيه ۱۸.

من الحسن وذلك بعد القدره على التمييز،وهذا ما نراه من الإمام الصادق عليه السلام عندما يناقش عبدالكريم بن أبى العوجاء(۱)وغيره من المنحرفين فكرياً،أما بقيه أئمه المذاهب الأُخرى لو دخل عليهم داخل وأثار إثارات وإشكالات غامضه فإنهم يطردونهم ويتهمونهم بالزندقه،كما ينقل المزى فى ترجمه مالك أو أحمد بن حنبل عنهم،بينما الإمام الصادق عليه السلام كان لا يستعمل معهم هذا الأُسلوب،وهذه الإثارات قد تفتح ذهن الإنسان على حقانيه الدين.

الجواب الثانى

إن الباحث العلمى فى شتى حقول المعرفه يجب أن يبحث عن الحقائق والمعادلات الثابته وليست النتائج المتغيره،فالفيزيائى عندما يبحث عن قانون لحساب السرعه فى مجال معين هل يبحث عن قانون متغير أم قانون ثابت ؟ طبعاً قانون ثابت.

نحن لا ننكر وجود الجانب المتغير،ولكن نقول.إن الباحث فى شتى المجالات لا يستطيع أن يتنكر للجانب الثابت فى حياه الإنسان،وهذه الجوانب الثابته هى المهيمنه على كل المتغيرات،وبالتالى يمكن مواكبه المتغيرات من خلال الاستفاده من الجوانب الثابته.

۱- (۱) راجع الكافى.۹۷/۱،باب حدوث العالم وإثبات المحدث،الحديث ۲.التوحيد.۱۲۲،باب القدره،الحديث ۴.الإرشاد/المفيد.۱۹۹/۲،ذكر طرف من أخبار أبى عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وكلامه،فصل.

المحاضره السادسه:الإمام يطبق الشريعه على المتغيرات

اشاره

ص:۶۱

قلنا.إن الله قـد أهل محمـداً صـلى الله عليه و آله ليحمل رساله تحتوى على اصول التشـريع،وهى اصول كليه وقواعد عامه كشـف عنهـا التشـريع الإسـلامى بواسـطه محمـد صـلى الله عليه و آله،والله هو الـذى يعلم ما خلق وهو اللطيف الخبير،أما المتغيرات فهى الجانب الذى تعالجه الشـريعه والشـرائع،إلاأنها قد تطورت بشـكل أكبر مما كانت عليه فى الرسالات السابقه التى نسـخت بعضها البعض الآـخر،كرسالاـت عيسـى وموسـى وإبراهيم ونوح عليهم السـلام،وأمـا منطقه الثبات فى الـدين فهى اصول الـدين وأركان الفروع،وأما التفاصـيل التشـريعيه والعباديه والنظام السياسـى والقضائى فهى داخله فى المتغيرات فى نسخ الشـرائع،وتبقى الأُصول التشريعيه جامعه وثابته.

مجهولات العلوم وحلولها

وهنا قد يطرح إشـكال وهو.من يضـمن سـلامه واتقان استنباط القضايا التفصيليه من الأُصول والقواعد الكليه بنحو ترتبط بها بدقه فى الشـريعه الإسـلاميه ؟ وعلى سبيـل المثال.علم الرياضـيات والهنـدسه والجبر والحساب فهى تعـد من العلوم البـديهيه تقريباً،أما المجهولات الهندسـيه والجبريه والرياضـيه والميكانيكيه إلى الآن لم يسـتطع علماء الرياضـيات أن يجدوا حلولاً لها مع أن حلولها توجد فى الأُسس الأوليه

لعلم الرياضيات من عمليات الطرح والجمع والضرب والقسمه،وعلم الرياضيات علم معصوم فى نفسه،وإذا حدث خطأ ما فالخطأ إنما هو فى الشخص الذى استعمل الرياضيات بصوره خاطئه لا فى علم الرياضيات نفسه،وفى العديد من المقابلات مع نجوم علم الرياضيات قالوا.إن علم الرياضيات الموجود بصورته الحاليه يرجع إلى تسع معادلات حسب كلامهم،وبعضهم قال.إنها ست معادلات،إلاأن العقل البشرى لا يستطيع الإحاطه واستيعاب الأُسس التى قامت عليها هذه المعادلات وخلفياتها،ولا يعرف ما وراءها،وقد أكد غير واحد من ذوى التخصص العالى فى الرياضيات هذه الحقيقه،وهم يقولون.إننا لو استطعنا معرفه الأسرار التى تقف وراء هذه المعادلات لاستطعنا أن نكتشف العديد من الأسرار المذهله فى الكون،وهذا العجز البشرى فى معرفه هذه الأسرار لا يعنى عجز علم الرياضيات فى نفسه،وإنما النقص فى من يستنبط هذه النتائج من هذا العلم،ولا يقتصر ذلك على علم الرياضيات فقط،وإنما ينطبق على باقى العلوم الأُخرى،وهذا الكلام بعينه يأتى فى مسأله الاستنباط من الأُصول والقواعد فى الشريعه الإسلاميه.

الإمام عنده علم تأويل الكتاب

قد يطرح سؤال فى المقام هو.من هو الذى يستطيع من بعد محمدٍ صلى الله عليه و آله أن يحفظ شريعه محمد صلى الله عليه و آله التى تغطى كل المتغيرات ؟ وهذا السؤال لا يجد جواباً إلاعند مدرسه أهل البيت عليهم السلام،حيث نعتقد أن الإمام عنده علم الكتاب كله،ومن هنا نحن نقول.إن هذا المقام يعدل مقام اولى العزم من الأنبياء السابقين عليهم السلام،وإن كنت لست فى مقام إثبات هذا الأمر إلاإنها إشاره معترضه؛لأن الذى يحيط بأُسس الشريعه والأُصول العامه التى تغطى المتغيرات لملايين البشر حتى يوم القيامه هو الذى يستطيع الإحاطه بعلم الكتاب كله،وهذا علمه يزيد على علم الأنبياء السابقين،لأن علمه يكون علم الكتاب الذى هو مهيمن على جميع الكتب السابقه،وكذلك الفتره

التی کانت فیها شرائع الأنبیاء السابقین شرائع محدوده بفتره معینه قد تطول أو تقصر، بینما شریعه النبی صلی الله علیه و آله هی الشریعه الخالده التی لا تنسخ ولا تتبدل،بخلاف الشرائع السابقه فإنها نسخت بشریعه النبی صلی الله علیه و آله،فالذی یقوم مقام النبی فی خلافته-باستثناء النبوه-فی تغطیه حاجیات البشر من خلال المتغیرات التی تطرأ علیهم هو الإمام، وهو الحافظ للشریعه کما یعرفه الإمامیه بهذا التعریف باعتباره القادر علی المعرفه الکامله لما تغطیه الشریعه للمتغیرات.

فالتأویل لا یعلمه إلاالله والراسخون فی العلم،وهذا هو معنیً من معانٍ عدیده للتأویل،فالراسخون هو وصف اتصف به جماعه من الناس دون غیرهم لأنهم القادرون علی التأویل،حیث من معانی التأویل أیضاً هو تطبیق الأُسس والأُصول علی المتغیرات،کما حدث بین موسی علیه السلام والخضر فی قضیه السفینه والغلام والجدار التی یذکرها القرآن فی سوره الکهف بحیث یکون الانطباق بین الشریعه والمتغیرات انطباقاً یقینیاً وله تداعیاته وتأثیر فی مستقبل النظام الاجتماعی،فبقاء الجدار وعدمه، وبقاء الغلام وعدمه،وخرق السفینه وعدمها،یترتب علیه امور عدیده ونتائج مختلفه،ولو بقی هذا الغلام لانقطع نسل سبعین نبیاً،کما ورد فی بعض الروایات التی یرویها الفریقان(۱)،أی سیحدث منعطف خطیر فی حیاه البشریه لو قدر لهذا الغلام أن یبقی.

أین یوجد الإمام المهدی ؟

إن المشککین فی وجود الإمام المهدی علیه السلام یطرحون إشکالاً مفاده أنه.أین یستقر الآن المهدی،وما هی نشاطاته ؟ فإن النشاط المهم فی الدوله هو النشاط السری

۱- (۱) الکافی.۹/۶،باب فضل النیات،الحدیث ۱۱.الفقیه.۳۱۳/۳،باب حال من یموت من أطفال المؤمنین،الحدیث ۸.تفسیر القرطبی.۳۷/۱۰،تفسیر سوره الکهف.الآیه ۸۰-۸۱.

والاستخبارى،والقوه تكمن فى الخفاء،وليس الغياب عن ميدان العمل؛لأن ذلك يعنى تلاشى التأثير والفاعليه.وللإجابه عن هذا الإشكال نقول.إن هناك غيبتان:

إحداهما غيبه فى مقابل الظهور،واُخرى فى مقابل الحضور،وغيبه الإمام المهدى (عج) إنما هى فى مقابل الظهور وليس فى مقابل الحضور؛لأن الإمام المهدى (عج) حاضر بيننا ومعنا،ولكن المشكله فينا،فنحن لم نستطع تمييز الإمام عليه السلام ومعرفته بحقيقته؛ولذلك نرى الناس يقولون عند ظهوره إننا رأيناه ونعرفه، ونحن نعبر عن عصره بعصر الظهور،ونتكلم عن علامات الظهور،ولا نعبر عنه بعصر الحضور وعلامات الحضور،وعصر الظهور هو العصر الذى تنكشف فيه هويه الإمام المهدى (عج) للملأ وهذا يكشف عن أن الإمام المهدى موجود ونشط،ويقوم بالإعداد الكامل للنهضه الكبرى التى تستوعب العالم ونفوذه إلى الحق بعد ما سحقته أيدى الظلم والطغيان وغيبت عنه الحقائق لتمنعه من الاستعداد والتهيؤ لذلك اليوم.

اختلاف أنماط الحكومات وأهميه الأجهزه السريه

لا شك أن أنماط الحكومات تختلف فيما بينها،بل حتى القبيله التى هى نمط من أنماط الحكومه والعشيره والطائفه التى تمتلك مواردها الخاصه وقوانينها وقدراتها وروافدها الثقافيه الخاصه بها،فإن لها أنماطاً تختلف عن أنماط باقى العشائر والقبائل الاُخرى،والمجتمع إنما هو مجموعه قوى،كل قوه لها إمكانياتها الخاصه بها، ولذلك فالأدبيات السياسيه التى تقيم تحليلاً عن المرجعيه الشيعيه تقول.إن المرجعيه حكومه ولكنها شبه رسميه أو نصف رسميه،حيث أن المرجعيه الشيعيه لها وزاره ثقافه تتصدى للغزو الثقافى والوضع الفكرى المنحرف،وتنشر الوعى، ووزاره دفاع تتمثل فى فتاوى الجهاد،ووزاره ماليه تتمثل فى جمع الضرائب والأخماس وغيرها،وهذه الوزارات ليست وزارات لها مبانى،وإنما هى وزارات لها نفوذ اجتماعى،والحكومات ليست هى الحكومات الرسميه فقط،والتى تنحصر فى

المبانی المعده لها والظاهره من خلال الأسماء والمسميات وإنما الحكومات هی القوی التی تمتلك النفوذ الاجتماعی،سواءً كانت رسميه أو غير رسميه،فهناك أجهزه تدير العالم فی زماننا الحاضر فی الحقل المالی وحقل التسلح العسكری والمصرف والإعلام،وكلها أجهزه سريه تدير العالم ولا نعرف من يقف وراءها، فليس معنی النفوذ والنشاط أن يكون هذا النشاط معلناً ومن يقف وراءه ظاهراً؛لأنه لا يوجد رابط بين القدره علی الحكم وبين إعلان الحاكم،ولذا حتی الحكومات الأوربيه والأمريكيه،وكذلك الحكومات فی آسيا وأفريقيا المعلنه نری أن هنالك أجهزه سريه تقف وراءها.

فالإمام المهدی عليه السلام حاضر وموجود ونشط فی مختلف القضايا،ولو تأملنا فی هذه الآيه من سوره الكهف.(فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَ عَلَمْناهُ مِنْ لَدُنا عِلْماً) (۱).

ويستفاد من مجموع الأحاديث الوارده فی ذيل الآيه.أنَ هذا مثلاً ضربه الله للإمامه،ولولا علم التأويل لم يقتنع موسی عليه السلام بما فعله الخضر عليه السلام(۲).

(ذلِكَ تَأْوِيلُ ما لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً) (۳)،وعندما علم موسی تأويل تلك الأفعال اقتنع ورضی بما فعله الخضر علی ضوء اسس الشريعه التی تغطی هذه المتغيرات،والنبی موسی عليه السلام لم يكن عنده هذا التأويل-مع أنه كان من أنبياء اولی العزم بنص سوره الكهف-بل كان عند غيره،ومع أن الله تعالی لم يصف الخضر بأنه نبی من الأنبياء أو رسول من الرسل،وإنما وصفه بأنه عبد من عباد الله،وقال تعالی إنه آتاه علماً لدنياً حينما عبر ب (مِنْ لَدُنا) ،والعلم اللدنی هو السبب المتصل بين

۱- (۱) سوره الكهف.الآيه ۶۵.

۲- (۲) لاحظ ما ورد فی تفسير البرهان ونور الثقلين فی ذيل الآيه.

۳- (۳) سوره الكهف.الآيه ۸۲.

الأرض والسماء.وهذا العلم كان أيضاً عند أمير المؤمنين عليه السلام كما فی قول رسول الله صلی الله علیه و آله:

«یا علی،أنا اقاتل علی التنزیل ،و أنت تقاتل علی التأویل» (۱)،والعلم الذی عند الإمام علی علیه السلام هو من عند رسول الله صلی الله علیه و آله،وهو القائل:

«علمنی رسول الله ألف باب ،یفتح کل باب ألف باب» (۲)،وآیات سوره الکهف تثبت بأن الإنسان الذی یمتلک العلم اللدنی یستطیع أن یغطی کل المتغیرات حتی ولو لم یکن نبیاً،فهو باعتباره یمتلک العلم اللدنی من عند الله فهو لا یخطئ،وهو یستطیع أن یربط بین هذه الحلقه فی هذا الزمن بحلقات اخری فی أزمنه قادمه،وهذا عمل جبار،فلا یستطیع أحدنا أن یخطط لعمل اجتماعی لخمسین سنه قادمه مع معرفه کل العوائق والسلبیات التی ستعترضه فی هذا المجال،فجمیع التخطیط البشری یتبین فشله أو فشل أجزاء منه بنسب مختلفه بسبب قصور الفکر البشری عن استیعاب کل الجوانب،فبعد إتمام المشروع تتبین النواقص التی فیه.

والإمام هو صاحب العلم اللدنی،وهذا العلم یؤهله أن یخبر عن الله،ولکن لیس بمعنی أن یکون نبیاً أو یکون صاحب شریعه جدیده،وهذا تماماً ما حدث للخضر الذی حاور موسی بنفس الأُسس الشرعیه فی شریعته هو،فسوره الکهف تخبرنا عن مقام إلهی تحتاج إلیه البشریه،وهذا المقام یطلع علی إراده الله کما ورد فی الآیه:

(وَ أَمَّا الْجِدارُ فَکانَ لِغُلامَیْنِ یَتِیمَیْنِ فِی الْمَدِینَهِ وَ کانَ تَحْتَهُ کَنْزٌ لَهُما وَ کانَ أَبُوهُما صالِحاً فَأَرادَ رَبُّکَ أَنْ یَبْلُغا أَشُدَّهُما وَ یَسْتَخْرِجا کَنزَهُما رَحْمَهً مِنْ رَبِّکَ وَ ما فَعَلْتُهُ عَنْ

۱- (۱) ورد الحدیث.قال النبی صلی الله علیه و آله.«أنا اقاتل علی التنزیل،وعلی یقاتل علی التأویل»-بحارالأنوار.۳۱۱/۲۹،باب عله قعوده علیه السلام عن قتال من تأمر علیه من الأولین،الحدیث ۴۵،الطبعه الأُولی/۱۴۲۱ه.ق-۱۳۷۹ه.ش،دار الفقه للطباعه والنشر-قم المقدسه.

۲- (۲) بحار الأنوار.۲۹/۲۶،أبواب علومهم علیهم السلام،باب ۱-جهات علومهم علیهم السلام،الحدیث۳۶،الناشر.دار الوفاء-بیروت،الطبعه الثانیه/۱۴۰۳ه-۱۹۸۳م.

أَمْرِی ذلِکَ تَأْوِیلُ ما لَمْ تَسْطِعْ عَلَیْهِ صَبْراً) (۱).

ولو تأملنا فی الآیه لوجدنا أن الخضر مطلع علی إراده الله من خلال قوله.(فَأَرادَ رَبُّکَ) ،وهذا القول لا یعنی أن الخضر قد أتی بشریعه جدیده من عند الله،وإنما هو تطبیق للشریعه بأُسسها العامه التی تغطی کل المتغیرات.وکذلک الأئمه علیهم السلام فإن عندهم ذلک المقام والاطلاع علی الإراده الإلهیه،ولیست برساله جدیده بل هی من نفس صمیم رساله جدهم المصطفی صلی الله علیه و آله.

إذن فنحن نتفق مع مدرسه السکولارزم بأن المتغیرات کثیره وکبیره،ولکن الأُسس الدینیه قادره علی التغطیه والاستیعاب لکل هذه المتغیرات،کما أن الأُسس العامه للریاضیات تغطی جمیع المجهولات الریاضیه.

لا یمکن الاکتفاء بظاهر اللفظ القرآنی

الذی یدعی أن الشریعه مقتصره علی ظواهر القرآن یجنی علیها،والقرآن أخبر.أنه تبیان لکل شیء،وأخبر.أن الراسخین فی العلم یعلمون تأویل القرآن،والآیات المحکمات والمتشابهات هی فی القرآن المنزل وفی ظواهر القرآن،أما الکتاب المبین فی لوحٍ محفوظ،فی کتاب مکنون،فی عوالم الغیب،ذاک الموجود الذی فیه کل شیء،وهو تبیان لکل شیء،أما ظواهر القرآن فهی لیست تبیاناً لکل شیء فی التشریع،فضلاً عن العلوم الأُخری،وإلا فکیف نجمع بین وجود المحکمات والمتشابهات،وبین قوله تعالی.(بَلْ هُوَ آیاتٌ بَیِناتٌ فِی صُدُورِ الَذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ) (۲)،وهذه الآیه تقول.إن هذه الآیات البینات فی صدور الذین اوتوا العلم، وعلیه فمقتضی الجمع بین الآیتین هو أن هنالک محکم ومتشابه فیما هو عند

۱- (۱) سوره الکهف.الآیه ۸۲.

۲- (۲) سوره العنکبوت.الآیه ۴۹.

الناس،ولكن عند اولى العلم كله محكم وبين،وليس فيه متشابه،ولذلك فإن الآيه المباركه لم تقل إنه فى المصحف،بل فى صدور الذين اوتوا العلم.

وهذا التبيان لا يوجد فى غيره من الكتب الأُخرى،كالرياضيات،فهل يمكن أن يوجد كتاب فى الرياضيات يحتوى على حل جميع المجهولات الرياضيه ؟ طبعاً لا يوجد.

أهل البيت عليهم السلام والعلم اللدنى

إذا كان القرآن يحدثنا عن وجود التأويل عند الذين اوتوا العلم اللدنى فى زمن موسى عليه السلام فهل هذا الموقع شاغر فى امه محمد صلى الله عليه و آله،أم أن هناك من يشغله فى هذه الأُمه.

فإذا كانت شريعه محمد صلى الله عليه و آله سيده الشرائع،وهى الشريعه الخالده فلا بد من وجود هذا الموقع،وينبغى الإشاره إلى أن المسلمين مجمعون على بقاء الخضر حيٌّ إلى قيام الساعه،وهذا يؤيده قول الإمام أبى الحسن على بن موسى الرضا عليه السلام،قال:

«و سيؤنس الله به و حشه قائمنا فى غيبته ،و يصل به و حدته» (۱).

والله تعالى أخبر.أن فى هذه الأُمه راسخين فى العلم يعلمون التأويل،والكتاب كله بين عندهم،كما فى قوله تعالى.(بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِناتٌ فِي صُدُورِ الَذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) ،وعلى هذا فالآيات عندهم كلها بينه،وليس بعضها محكم والآخر متشابه، وهى فى صدور اولئك الذين اوتوا العلم.

ومما تقدم يتضح أن مدرسه السكولارزم تثبت-من حيث لا تشعر-بضروره وجود من يحيط بالمتغيرات فى الشريعه،وهذا موافق لما تذهب إليه المدرسه

۱- (۱) راجع كمال الدين وتمام النعمه.۳۶۲/۲،الحديث ۴،ما روى من حديث الخضر عليه السلام.بحار الأنوار.۲۳،۱۵۲/۵۲-باب من ادعى الرؤيه فى الغيبه الكبرى،الحديث ۳.

الإمـاميه التى تعتقـد بوجود الأـئمه بعـد رسول الله صـلى الله عليه و آله،وتعطيهم منصب الإحاطه بالشـريعه،فالمتغيرات إذن توجد حلولها فى هذه الشريعه،وأما فى عصر الغيبه فتعتقد بوجود صاحب الزمان عجل الله فرجه،وتعتقد باستحقاقه لهذا المقام، وبتصديه للأُمور بنحو فاعل متحرك نشط ولكن خفى سرى.

ص:٧١

المحاضره السابعه:مناقشه مدرسه الهرمونطيقا

اشاره

ص:۷۳

تم بشكل إجمالى مناقشه المدرستين السكولارزم والبلوراليسم،واستعراض بعض أفكارهما،خصوصاً المدرسه الثانيه؛لأنها تعتبر المدرسه الأشهر،وذكرنا الرد عليها بصوره سريعه.

وقلنا أيضاً.إن هذه المدارس تصب فى خدمه الدين لأنها تثبت وصايه السماء للبشريه،وتؤكد إمكانيه وجود شخص مؤهل للاطلاع على الأُصول والأُسس السماويه،وقبل الخوض فى المدرسه الثالثه،وهى المدرسه الهرمونطيقا،وحيث إننى قد عرضت بعض الإشكالات التى طرحها أصحاب المدرسه الثانيه،فمن اللازم أن أرد عليها.

الإشكال الأول:

تأخر القضاء الإسلامى واعتماده على البينه واليمين

الرد:هو أن القضاء الإسلامى لا يعتمد على البينه واليمين كحل منحصر،إنما يعتمد عليهما إذا لم يكن هناك طريق لعلم القاضى،أما إذا أمكن للقاضى العلم بالقضيه عن طريق البراهين والأدله الوجدانيه والتحقيق القضائى فإنه يحكم به،فإذا لم يحصل أى من هذه الأدله والبراهين فحينئذٍ يعتمد القاضى على الشهود واليمين،وهذا

لا ـ يقتصر على القضاء الإسلامى،بل هو العرف القانونى عند غير المسلمين أيضاً، فإذا انسدت الأبواب فى التحقيقات القانونيه والقضائيه تصل النوبه حينئذٍ للحلف، وكل بلد يحلف بالرمز المقدس الذى يعتقد به،سواءً كان هذا الرمز دينياً عند من يؤمنون بالدين،أو رمزاً وطنياً مقدساً عند من لا يؤمنون بالدين،ولو راجعنا قضاء أمير المؤمنين على عليه السلام الباهر للعقول لوجدناه يبحث ويحقق عن أسباب النزاع والأدله والبراهين القضائيه التى توصله إلى الحقيقه،بل إن أكثر أعاجيب قضاء أمير المؤمنين كان بهذه الطريقه وليس بالاعتماد على اليمين والشهود،والذين أثاروا هذا الإشكال لم يطلعوا على القضاء الإسلامى فى مدرسه أهل البيت عليهم السلام بصوره جيده.

الإشكال الثانى:

القبيله والعصبه ودور الإسلام فى المحافظه عليها

نلاحظ أن الدين الإسلامى يدعو للمحافظه على الأُسره وعلى وشائج القرابه، بل هو يحافظ على لحمه السبب بالإضافه إلى لحمه النسب،فما نلاحظه من أن بعض الأشخاص عندما يخرج من بيئته المحافظه إلى بيئه اخرى بعيده عن الرقابه الاجتماعيه ينحرف سلوكه عما كان عليه عندما كان يعيش فى بيئته،ولذلك فمن المفيد الحفاظ على الأعراف التى لا تتعارض مع الدين،لأنها تكون كالمانع والحصن الذى يحمى الناس،وخصوصاً الشباب،من دواعى وأسباب الانحراف،ولهذا لم يقطع النبى صلى الله عليه و آله أوصال شبكه القبائل الموجوده فى ذلك الزمان مع أن الإسلام قد عانى من هذه القبائل ووجهت له ضربات قاسيه،كما حدث ذلك فى معركه الأحزاب حينما تحزبت القبائل لمواجهه النبى صلى الله عليه و آله ودين الإسلام،وكذلك تحزبت لإقصاء الوصى بعد النبى صلى الله عليه و آله ومع ذلك حافظ النبى صلى الله عليه و آله على بناء القبيله لما فيه من إيجابيات، منها.أنها نوع من النظام الاجتماعى الذى يحفظ الإنسان-من خلال الانتماء إليه-عن حاله الانفلات والخروج عن الرقابه الاجتماعيه.

المدرسه الهرمونطيقا (قراءه النص)

هـذه المدرسه التى تحمل فى طياتها فكره التعدديه كما تحمله البلوراليسم،وهى التى تسـمى بمدرسه الألسـنيات التى تهتم بقراءه النص،فالنقـد الأـدبى أخـذ يتوسع بصوره كـبيره،وعلوم اللغه آخـذه فى التوسع فى كـل اللغـات،بشـكل علوم متعـدده،فعلى سبيل المثال.كـانت اللغه العربيه مقتصـره على علم المفردات اللغويه وعلم النحو والصـرف ثم البلاـغه،ومما لاـ يخفى على الجميع فإن المؤسس الحقيقى لعلم النحو هو أمير المؤمنين على عليه السلام كما ذكره السيد حسن الصدر فى كتابه الشريف (تأسيس الشيعه لعلوم الإسـلام)،أما الآن فعلوم اللغه قد توسـعت وأصـبحت تضم فى طياتها فقه اللغه والاشتقاق،وهو علم غير علم الصرف والنحو والنقد وغيرها.

وكـذلك علم البلاـغه فهو ليس مقتصـراً على اللغه العربيه،بـل هو موجود فى اللغـات الاُـخرى،مثل اللغه الإنجليزيه،مع أن العربيه تنتمى إلى اسـره لغويه تختلف عن الاُسـره اللغويه التى تنتمى إليهـا اللغه الإـنجليزيه،وإن كـانت المعـانى فى اللغات واحـده وإنما الاختلاـف فى الألفاظ فقط،فلفظه.(ماء) فى العربيه و (آب) فى الفارسـيه و (واتر) فى الإنجليزيه جميعها تـدل على حقيقه واحـده وهو هذا السائل المعروف،أما كيفيه التركيب والدلاله فهى مشتركه بين اللغات،فالجمله الإسـميه يمكن أن تكون فى كل لغه من اللغـات،وهكـذا الجمله الفعليه والفعـل والفاعـل..،وعليه فهـذا البحث إنما هو بحث بشـرى يعم جميع البشـريه ولا يختص بلغه أو بقوم.

نشأه النقد الأدبى

النقد الادبى لا يقتصـر على لغه معينه،بل هو يشمل كل اللغات،وقد كان فى بداياته يعتمد على تفسير المفردات وبعض التراكيب اللغويه،ثم أخذ بدراسه النص دراسه شامله تحلل فيه كل حيثيات النص الأدبى ودراسه البيئات المحيطه بقائل النص،

ومن هـذا المنطلق اسـتطاع النقـد الأدبى أن يخدم العلوم الاُخرى بصوره واسـعه، واسـتطاع النقد الأدبى أن يكشف بعض جوانب اللاشـعور عنـد الكـاتب أو قائـل النص، وهـذا التحليـل الأـدبى شبيهٌ بالتحقيقـات الجنـائيه التى تحـاول أن تسـتفيد بكل ما يحيط بالجريمه من أجواء،كذلك فإن المحلل الأدبى يحاول أن يستفيد من كل ما يحيط بالنص من أجواء.

التعمق فى النص الأدبى يوازى التأويل فى النص الدينى

هذا النقد الأدبى الذى يعتمد على اسـس وأدله فى الاسـتنتاجات يوازى تأويل النص الدينى،ونرى أن الجميع يحترم النقد الأدبى حتى اولئـك الـذين يتهمون التشـيع بالباطنيه والغنوصـيه والخرافات والأساطير نجـدهم يحترمون هـذا النقـد الأدبى العميق،ونحن فتحنا باب التأويل الذى يعتمد على الموازين الصحيحه لا التأويل القائم على التخرصات والأهواء الملتويه.

تطور علم الفقه

إننا نلاحظ أن الفقه بدأ بصوره بدائيه بسـيطه،ثم ظهرت محاولات فى تبويب الفقه، وبعدها اسـتخرج العلماء القواعد الشـرعيه،ثم أبواب التضارب أو التعارض وعلاجها فى النص الدينى،وتوسـعت الأبواب الفقهيه والتحليلات الإسـتدلاليه،فلم يعد الأمر مقتصـراً على الفقه بل تعـداه إلى اصول الفقه والقواعـد الفقهيه،فكل هـذه الاُمور تبحث فى قراءه النص الـدينى،فكم هو الفارق بين الفقه فى عصوره الاُولى وما عليه الفقه فى زماننا هذا،فلو قارنا بين كتاب فقهى من القرن الرابع وكتاب فقهى لأحد الأعلام المعاصرين نجد أن البون واسع حتى إن نمط الاستدلال بين العلماء المعاصرين وبين العلماء المتقدمين يوجد فيه اختلاف كبير،فسير الفتاوى وأراء الفقهاء فى تحليل القوانين كان بنمط والآن بنمط آخر،ولهذا نرى أن الشهيد الأول والشيخ جعفر

الكـاشف الغطاء وغيرهم كانوا يحاولون قراءه النص الـدينى والاسـتفاده مما وراءه بعـد الاسـتفاده من النص نفسه،وما ذكرناه فى الفقه أيضاً ينطبق على العقائـد والمعارف، ولا زالت جهود الاجتهاد متواصـله للتطور والتجديـد،ولكن تبقى هناك قواعد واُصول لهذا الاجتهاد لا يمكن إغفالها أو تجاوزها.

تعدد القراءات بين القبول والرفض

المـدرسه الهرمونطيقـا الـتى تـذهب إلى القول بتعـدد القراءات،تحكم بعـدم صـحه إلغـاء أيِ قراءه من القراءات التى تفهم النص بصوره معينه وهى تدعو إلى فتح الباب على مصراعيه أمام الاجتهاد فى فهم النص،ونحن نقبل بعض ما تطرحه هذه المدرسه كما أشرنا إلى ذلك سابقاً.

ولكن قبول هذا التعدد لا يفرض علينا المذهب السفسطى وأن نشكك بما قد توصلنا إليه من حقائق على اسس علميه وعقليه،ولا يغلق الباب باب الاحتكام إلى الموازين الثابته بين قراءتنا وقبول القراءات الاُخرى،وهذا ما أثرناه مع مدرسه البلوراليسم،وما قلناه- من أننا نبحث عن الحق المتوزع عنـد هـذا الطرف أو ذاك-فى تلك المـدرسه نقوله هنا أيضاً فى الرد عليها،بحيث إننا نريـد أن نجمع الحقيقه ونحصـل عليها كامله،وهى فى عقيـدتنا توجـد كامله عنـد المعصوم الـذى يسـتطيع قراءه النصوص الـدينيه بشـكل صحيـح،وهو الـذى يمتلـك الحقيقه وإلاـ لمـا وضـعه الله فى هـذا المنصب،حتى الفقيه والمرجع مهما وصل إلى درجه عاليه فإنه يبقى دون المعصوم بمسافات شاسعه غير متناهيه فى عقيدتنا؛لأن المعصوم له قنواته الخاصه التى لا يمتلكها غيره،ولذلك فإن من يعتقد أن الشـيعه عندما فتحوا باب الاجتهاد فهم تنازلوا عن شـرط العصمه والإمامه فهو مخطئ،والصحيح أن دور الفقيه يأتى بعد وجود المعصوم؛لأن دوره ضـرورى،وقـد نص عليه القرآن الكريم بقوله.(فَلَوْ لا نَفَرَ مِنْ كُلِ فِرْقَهٍ مِنْهُمْ طائِفَهٌ لِيَتَفَقَهُوا فِى الـدِينِ وَ لِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَهُمْ

يَحْذَرُونَ) (۱).وهو-بعباره اخرى-مجال التخصص البشرى.

فالفقيه ينهل من الأُسس التى وضعها النبى صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام لأنهم حلقه الوصل بين الأُسس والأُصول التشريعيه وبين البشر،ولذا فهم الذين عبر الله عنهم بأنهم (أُوتُوا الْعِلْمَ) فى قوله تعالى.(بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِناتٌ فِى صُدُورِ الَذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) (۲)،وهذا التعبير لا يشير إلى طلب العلم العادى عند العلماء،وإنما يشير إلى العلم اللدنى الذى عند أهل البيت عليهم السلام.

وأما قوله تعالى.(إِنا أَنْزَلْنَا التَوْراهَ فِيها هُدىً وَ نُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَبِيُونَ الَذِينَ أَسْلَمُوا لِلَذِينَ هادُوا وَ الرَبانِيُونَ وَ الْأَحْبارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتابِ اللهِ وَ كانُوا عَلَيْهِ شُهَداءَ) (۳)،فهو يبين الترتيب الإلهى للذين يتصدون لإقامه التوراه من الشريعه الموسويه فى الناس،وهذا ما يوافق الترتيب عند الإماميه؛لأن الترتب عند الإماميه يكون هكذا.الأنبياء،ثم الأوصياء،ثم العلماء،وهذا ما أشارت إليه هذه الآيه من سوره المائده،فالنبيون هم الأنبياء،والربانيون هم الأوصياء،والأحبار هم العلماء.

ومما تقدم يتضح لنا أنه كما أن جميع المجهولات الرياضيه يمكن حلها بالأُسس الرياضيه الصحيحه،وعدم حل بعض المسائل من قِبل بعض الأشخاص لا يعنى عدم وجود الحل فى الأُسس،فكذلك الكلام ينطبق على تغطيه الشريعه لكل المتغيرات من قِبل الإمام المعصوم عليه السلام،ولذلك عندما يظهر صاحب الزمان وهو الذى يمتلك علم تأويل الكتاب وفهم الشريعه بصوره مطلقه،وهو الذى لديه كنوز العلوم يكشف عن أسرار الشريعه،ويغطى جميع المتغيرات.

وأما قوله.(اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَ رَضِيتُ لَكُمُ

۱- (۱) سوره التوبه.الآيه ۱۲۲.

۲- (۲) سوره العنكبوت.الآيه ۴۹.

۳- (۳) سوره المائده.الآيه ۴۴.

اَلْإِسْلامَ دِيناً) (۱)،فالقرآن الكريم يثبت أن الدين قد كمل وتمت النعمه ورضى الرب به،من خلال إعلان السماء موقفها من خليفه النبى صلى الله عليه و آله،ليكون قادراً على فهم النص الدينى بأعمق معانيه،ويستخرج منه الحلول لكل القضايا،ونحن نعتقد أن الإمام عليه السلام قادر على ذلك،وأن ما تذهب إليه مدرسه أهل البيت عليهم السلام ليس من الخرافه كما يتهمنا البعض،بل هو الحقيقه بعينها،ولهذا فإن الإمام عليه السلام هو الذى يستطيع أن يسد كل الثغرات العلميه والعمليه التى لا زالت كثيره رغم الجهود الجباره التى يبذلها العلماء،والمدارس التى ذكرناها كلها تشير بصوره أو بأُخرى إلى ضروره العلم الجمعى والإحاطه بالحقيقه،وهذا هو هدف البشريه والتى ستصل إليه بواسطه الإمام المهدى (عج).

سوره الفاتحه وبيان صرط الحق

لو رجعنا إلى سوره الفاتحه التى نقرأها صباحاً ومساءً يقول تعالى.(اِهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ صِراطَ الَذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لاَ الضالِينَ (۲)نجد أن الله قد أنعم على بعض الناس بنعمه خاصه جعلهم صراطاً مستقيماً لغيرهم، حيث افترض على العباد مودتهم،وجعله ركناً فى الرساله،وخصهم بولايه الفىء والخمس،واصطفاهم مع حبيبه المصطفى بالطهاره اللدنيه من عنده،واحتج بهم على العالمين فى آيه المباهله،فهؤلاء هم أهل البيت الذين طهرهم دون غيرهم،قال تعالى.(إِنَما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِرَكُمْ تَطْهِيراً) (۳)، وهم الذين جُعلت مودتهم أجراً للرساله (قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَ الْمَوَدَهَ

۱- (۱) سوره المائده.الآيه ۳.

۲- (۲) سوره الفاتحه.الآيتان ۶ و ۷.

۳- (۳) سوره الأحزاب.الآيه ۳۳.

فِی الْقُرْبی) (۱)،وهل هناک عائله أو اسره أو آل أعطاها الله مثلما أعطی آل محمد صلی الله علیه و آله من الفضل والشرف،وهذا لیس توارث قیصری أو کسروی،وإنما هو توارث اصطفائی (إِنَ اللهَ اصْطَفی آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِیمَ وَ آلَ عِمْرانَ عَلَی الْعالَمِینَ*ذُرِیَهً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ) (۲)،فهذه الذریه مؤهله لأن ترتبط بالله،وهذه الذریه واصطفاءها قد ذکرها القرآن فلم یستنکر علینا الجاحدون لهذه الآیات من أن نؤمن بأن الله اصطفی آل محمد صلی الله علیه و آله.

إذن إن الذین أنعم الله علیهم دون غیرهم هم أهل البیت علیهم السلام،وهم الذین ینطبق علیهم قوله تعالی.(غَیْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَیْهِمْ) ،فهذا الوصف ینطبق علی أهل البیت علیهم السلام فهم الذین عُصموا من غضب الله،بینما نجد بعض الصحابه الکبار من البدریین الذین کانوا مع الرسول صلی الله علیه و آله فی بدر قد نزل فیهم قول الله تعالی.(لَوْ لا کِتابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّکُمْ فِیما أَخَذْتُمْ عَذابٌ عَظِیمٌ) (۳).

فلولا أن الله قد أخذ علی نفسه أن لا یعذب المسلمین ورسول الله فیهم لعذبهم (وَ ما کانَ اللهُ لِیُعَذِبَهُمْ وَ أَنْتَ فِیهِمْ وَ ما کانَ اللهُ مُعَذِبَهُمْ وَ هُمْ یَسْتَغْفِرُونَ) (۴)،فإذا کان هذا حال البدریین فما حال سائر المسلمین،والذین کانوا مع رسول الله فی معرکه احد نری أن الله قد لامهم وغضب علیهم فی سوره آل عمران،ثم عفا عنهم لوجود الرسول صلی الله علیه و آله بینهم،أما أهل البیت علیهم السلام فلم یغضبوا الله تعالی بقول أو فعل، ولم یغضب علیهم،وهذه هی العصمه العملیه،وهذا ما تثبته سوره الفاتحه بضمیمه آیه التطهیر وآیه المباهله،وغیرها من الآیات لأهل البیت علیهم السلام ولیس کما یجحدون

۱- (۱) () سوره الشوری.الآیه ۲۳.

۲- (۲) سوره آل عمران.الآیتان ۳۳ و ۳۴.

۳- (۳) سوره الأنفال.الآیه ۸۶.

۴- (۴) سوره الأنفال.الآیه ۳۳.

ذلک ویفترون بأن حقائق هـذه الآیات أتی بها عبـدالله بن سـبأ،وأما (وَ لاَ الضالِینَ) فلا یمکن لنا أن نجعل الضالین قـدوه نهتـدی بهم؛لأـنه کیف نهتـدی بأُناسٍ قـد یضـلون عن الحق ویخرجون من الإیمان إلی الفسق،ولو فی بعض الأُمور،وهؤلاء هم الـذین لا تنطبق علیهم العصـمه،وأمـا المعصومون فهم المنزهون عن الخطـأ وینطبق علیهم (غَیرِ الْمَغْضُوبِ عَلَیْهِمْ وَ لاَ الضالِینَ) ،فاللازم فی التعلیم والهـدی القرآنی لسوره الفـاتحه هو الاقتـداء والائتمـام بالمطهرین من أهل البیت الـذین یمسون الکتاب المکنون کما فی سوره الواقعه.

ویبقی هنالک شـیء لا بد من الإشاره إلیه،وهو أن مسأله معایشه القرآن لا بد أن لا تکون مقتصـره علی الألفاظ،فکم من مدرسه أو مؤسـسه لحفـظ القرآن ولکن تعلـق عملهـا علی حفـظ الألفـاظ دون التعمـق فی المعـانی،فلاـ بـد أن یخالـط القـارئ الألفـاظ والمعانی،وأن یعیش حاله الحب مع القرآن الکریم،کما حصل فی لیله العاشـر من المحرم عندما طلب الإمام الحسین علیه السلام من أعدائه تأجیل القتال إلی صبیحه یوم العاشر،وقال علیه السلام:

«إنی احب القرآن و تلاـوته»،ولـذا قیـل إن فی لیله العاشـر سـمع من معسـکر الحسـین علیه السـلام دویٌ کـدوی النحل من کثره القراءه.

المحاضره الثامنه:المنهج الحضارى عند أهل البيت عليهم السلام

اشاره

ص:۸۵

مقامات أهل البيت عليهم السلام

من الاشكالات التى يطرحها بعض المخالفين،أنه ما هى الآيات القرآنيه التى تدل على مقامات أهل البيت عليهم السلام،والمخصوصين بها من الله دون غيرهم ؟

فنقول.بالإضافه إلى الآيات التى تدل على الولايه،كما فى قوله تعالى.(إِنَما وَلِيُكُمُ اللهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَذِينَ آمَنُوا الَذِينَ يُقِيمُونَ الصَلاهَ وَ يُؤْتُونَ الزَكاهَ وَ هُمْ راكِعُونَ) (۱)،والتى تدل على العصمه،كما فى قوله تعالى.(إِنَما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِرَكُمْ تَطْهِيراً) (۲)،فإن هناك آيات تدل على المقامات العاليه لأهل بيت النبى صلى الله عليه و آله،والمراتب الساميه التى خصَ الله تعالى بها اولئك الأولياء،والتى بينتها زياره عاشوراء فى مقطع من مقاطعها،حيث تقول:

«و لعن الله امه دفعتكم عن مقامكم و أزالتكم عن مراتبكم التى رتبكم الله فيها» (۳)،والظاهر أنه

۱- (۱) سوره المائده.الآيه ۵۵.

۲- (۲) سوره الأحزاب.الآيه ۳۳.

۳- (۳) كامل الزيارات.۹۲،الباب ۷۱.بحار الأنوار.۹۱/۹۸،باب كيفيه زيارته (صلوات الله عليه) يوم عاشوراء،الحديث ۱.

لم يكن المقصود منها مقام الولايه والعصمه؛لأن هذه المقامات لا يمكن للُامه دفع أهل البيت عليهم السلام عنها بصريح قول النبى الأكرم صلى الله عليه و آله:

«ابناى هذان إمامان قائما أو قعدا» (۱)،فقعودهم أو قيامهم لا يؤثر فى مقام الإمامه والعصمه.

إذاً ما هى المقامات التى ذكرت فى زياره عاشوراء،والتى دُفع أهل البيت عليهم السلام عنها ؟ ولغرض بيانها فلا بد من الخوض فى تلك الآيات الكريمه لتوضيح الأمر.

فقد قال تعالى فى سوره الحشر.(ما أَفاءَ اللهُ عَلى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرى فَلِلهِ وَ لِلرَسُولِ وَ لِذِى الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينِ وَ ابْنِ السَبِيلِ كَىْ لا يَكُونَ دُولَهً بَيْنَ الْأَغْنِياءِ مِنْكُمْ) (۲).

فإن أفاء-لغه-بمعنى رجع.

والفىء مصطلح فقهى اريد به الثروات والموارد الطبيعيه الموجوده فى الأرض، وقد أوكل الله تعالى تدبيرها إلى رسوله الأكرم صلى الله عليه و آله وذوى القربى،فما كان تحت أيدى الكفار فهو فى حقيقته داخل فى ضمن تدبيرهم عليهم السلام،ولذلك عبرت الآيه الكريمه عما اخذ من اولئك بالفىء ولم تعده غنيمه،وهو يدل على أن تدبير الأرض برمتها فى أيديهم عليهم السلام،وهم أرباب الأرض،ولا- نعنى بذلك أنهم المالكون لها-خلقه وأُلوهيه - حقيقه،بل ملكها لله تعالى،وإنما هم المالكون لتدبير شؤون امورها.

أضف إلى ذلك فإن الآيه قد ألحقت العناوين الثلاثه الأُولى ب (اللام)،فقالت:

(فَلِلهِ وَ لِلرَسُولِ وَ لِذِى الْقُرْبى) ،بينما خلت الثلاثه الأُخرى منها،فقالت:

(وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينِ وَ ابْنِ السَبِيلِ) ،فاللام هنا تفيد الملكيه،وهو دليل آخر على صحه المدعى،وهو أن ملكيه التصرف هى من الله تعالى لنبيه وذوى القربى،

۱- (۱) الإرشاد.۳۰/۲.المناقب.۱۴۱/۳،إمامه السبطين.بحار الأنوار.۳۰۷/۱۶،الباب ۱۱.

۲- (۲) سوره الحشر.الآيه ۷.

والغرض من ذلك هو إقامه العدل الإلهى فى الأرض،كما صرح بهذا التعليل فى ذيل الآيه المباركه لتؤكد ذلك.(كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِياءِ مِنْكُمْ) ،أى متداولاً بين طبقه الأغنياء،وحرمان الطبقات الأُخرى فى المجتمع،سواء كان الإسلامى منه أم البشرى،وهو ما تطالعنا به بعض التقارير من بعض الدول،كألمانيا،حيث إن جميع الموارد الماليه محصوره بين طبقه صغيره تقدر بنسبه ۴٪من مجموع السكان-أى بيدهم ما يقرب من ۹۰٪من الثروات-ويبقى ۹۶٪منهم من الطبقه الوسطى أو المسحوقه،وكذلك نجد فى أمريكا أن نسبه ۹۰٪تقريباً أيضاً من الثروات محصوره فى ۴٪من سكانها،فأراد الله تعالى وبعلمه الأزلى أن تسود العداله بين أبناء البشر من خلال إداره هذه الثروات من قِبل أهل البيت عليهم السلام،فمعهم تتحقق مقومات العداله الإلهيه فى المجتمعات.

وهذه الإداره والتدبير من قِبل أهل البيت عليهم السلام هى المسماه بولايه التصرف،وهى من المقامات التى تستطيع الأُمه بجهلها أن تدفع أهل البيت عليهم السلام عنها.

الإصلاح عند أهل البيت عليهم السلام

استبشرت الأُمه بمجىء الإسلام-ليرفع عنها كاهل الظلم وعبء القوانين الظالمه التى كانت سائده قبل ذلك،فقانون الغاب هو المعمول به بين أفراد المجتمع،فالقوى يأكل الضعيف،والحرمات تنتهك،وتقتل النفس التى حرم الله قتلها إلابالحق - ليضىء حياه أبنائها بنور الرحمه الإلهيه،المتمثله بالنبى الأكرم صلى الله عليه و آله (وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ) (۱)،وبالتشريعات السماويه (هذا بَصائِرُ مِنْ رَبِكُمْ وَ هُدىً وَ رَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (۲)،لتُبنى اسس العداله الإلهيه فى هذا المجتمع،ويتساوى

۱- (۱) سوره الأنبياء.الآيه ۱۰۷.

۲- (۲) سوره الأعراف.الآيه ۲۰۳.

أفراده إلاما اخذ قيداً فی التشريف والتكريم (إِنَ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ) (۱)، ليصبح الناس سواسيه فی الحقوق والواجبات بين يدی النبی الأكرم صلی الله عليه و آله،ويُمنح العطاء بلا مفاضله بين الجميع،وتقسيم الغنائم بالتسويه-وهذا العدل لم يكن مألوفاً فی المجتمعات الجاهليه السابقه،فللشريف عطاء غير ما يعطی للآخرين-واستمر العدل فی الرعيه مع وجود الرسول صلی الله عليه و آله،ولكن ما أن أغمض عينيه حتی استأثر جماعه بالسلطه فلته لم يوق المسلمين شرها والذی غير مسيره الاُمه-والذی صرح به الثانی بقوله:

«ما هو إلاأن رأيت أسلم فأيقنت بالنصر» (۲)-وبدأت عمليه إرجاع الاُمه إلی جاهليتها،فأخذت الأوصاف والقوميات عناوين فی تفريق العطاء،وازدادت المفاضله هوه فی زمن الثانی،ففرق فی العطاء بين القرشی وغيره،والمهاجر وغيره.

وازداد الفتق اتساعاً عندما تأمر عثمان علی الناس،فقرب من أبعده النبی صلی الله عليه و آله ونفاه،واستأثر بالسلطه من كان من الطلقاء وأبناء الطلقاء،والذين وقفوا فی الصف الأول لمحاربه سيد البشر صلی الله عليه و آله،ليحصلوا علی الغنی والثراء،فملكوا الصفراء والبيضاء،والعقار والبساتين،فلا يجاريهم أحد من المسلمين فی غناهم،وأخذت الناس تتذمر من هذا التصرف الجاهلی حتی وصل إلی حاله الانفجار،وتعالت صيحات الثوار من العراق ومصر وغيرهما من البلدان الإسلاميه-كالعبديين من عبدقيس من هجر والبحرين-للانقضاض علی مركز السلطه والانحراف.

وبدأت الأيادی تشير إلی منبع الحق والعداله،لتتشرف الخلافه بأميرالمؤمنين عليه السلام، ويبدأ بمشروعه الإصلاحی لإعاده القوانين الإسلاميه إلی نصابها،وسرايه الأحكام فی المجتمع،وتطبيقها علی نحو يضمن حقوق الجميع،وينصب ميزان العدل

۱- (۱) سوره الحجرات.الآيه ۱۳.

۲- (۲) تاريخ الطبری.۸۵/۳،ذكر الخبر عما جری بين المهاجرين والأنصار فی أمر الإماره فی سقيفه بنی ساعده.

الإلهی مره اخری علی یدی أخ الرسول ونفسه،ولکن أبت النفوس المریضه أن تری فی الدنیا وجه العداله الحقیقی؛لأنها انغمست بوحل الانحراف الجاهلی،فتحرکت فی جماعات لمعارضه منهج الحق والاستقامه،لتضمن بقاء نفوذها وتمییز مقاماتها، فأجمعوا الجموع وأعدوا العدد،لتقویض سلطه الإمام علیه السلام،ودارت الحروب التی راح ضحیتها اولئک البسطاء المغرورین الذین استمالهم الباطل وترکوا الحق.

وبقی هذا الخط المنحرف إلی زمن الدوله العباسیه،ومن قبلها فی الدوله الأمویه، لیصبح عنواناً للتزلف والتقرب للحاکم،وامتلأت الجماهیر احتقاناً علی السلطه، وبان الاختلاف بینهما،إلاأن قوه السلاح والقهر والاضطهاد کممت أفواه الناس، وکثرت التحدیات للدوله الإسلامیه،وشعر المسلمون بالخطر الذی یهددهم،سواء من الخارج أو الداخل،فاحتاجت الجماهیر إلی المحرک والمنتفض علی الاستبداد السلطوی،فکان هذا فی حقیقته سر من أسرار النهضه الحسینیه الإصلاحیه،والدافع للتغییر الشامل،وقد بینه سید الشهداء علیه السلام بمقولته الخالده:

«لم أخرج أشرا و لا بطرا ولا ظالما و لا مفسدا،و إنما خرجت لطلب الإصلاح فی امه جدی» (۱).

فالإصلاح الحسینی احتاج إلی منهجیه مختلفه،وسلاح قادر علی أن یضع حداً للتهور الأموی،فکان الدم الحسینی الطاهر هو السلاح الذی أزاح الخوف عن الناس، وقوض سلطه الانحراف،لتستبشر القواعد الجماهیریه بالبرکان الثائر،الذی حدد معالم الإشعاع الإصلاحی،والنور الذی أضاء درب الثوار،لیتسامی المنهج الحسینی فی العُلی،ویضع موازین الحق بأُسس العداله الإلهیه،وهو الذی سعی له أهل البیت علیهم السلام فی إعاده الأُمه إلی سابق عهدها،واسترجاعها لکرامتها المسلوبه.

ولذا فإن اتباع أهل البیت علیهم السلام هو الکفیل فی شفاء جمیع جراحات الأُمه،وارتقائها إلی مقامات الشموخ والقوه،ولذلک صرحت الآیه الکریمه.(کَیْ لا یَکُونَ دُولَهً بَیْنَ

۱- (۱) بحار الأنوار.۳۲۹/۴۴ فیما رواه الشیخ المفید رحمه الله فی وقعه الطف.

اَلْأَغْنِياءِ مِنْكُمْ) ،وهو إشاره واضحه إلى أن جميع الاُمور لا يمكن أن تستقيم، ويتحقق فى تطبيقها العداله،إلابرضى الناس بإداره أهل البيت عليهم السلام لشؤونهم دون غيرهم،فكان إخبار القرآن الكريم-أن إكمال الدين وإتمام النعمه ورضى الرب الجليل بالإسلام ديناً،يكمن فى ولايه أهل البيت عليهم السلام من خلال قوله تعالى.(اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً) (۱)-بياناً واضحاً للتقديرات الإلهيه فى منهجيه الإصلاح والعداله التى يتبعها أهل البيت عليهم السلام فى جميع المجالات،ليتحقق معها الوعد الإلهى بيأس الكفار من التلاعب فى الدين (اَلْيَوْمَ يَئِسَ الَذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَ اخْشَوْنِ) (۲)،وهذه فى حقيقتها ملحمه قرآنيه،سلطت الأضواء على أن العز والعداله فى المجتمع الإسلامى، بل فى البشريه جمعاء،لم ولن ولا يتحققان إلابتولى أهل البيت عليهم السلام لإداره الاُمور.

فحاكميه أهل البيت عليهم السلام وطاعتهم هو السبيل الوحيد للتكامل والرقى،فكانت حقاً كربلاء المصحح لمسيره الاُمه،والبانى لمجدها،فهى العنوان الأوضح لمسيره الإصلاح الإنسانى.

العصمه العلميه والعمليه عند أهل البيت عليهم السلام

من المسائل التى نستلهمها من قوله تعالى.(كَيْ لا يَكُونَ دُولَهً بَيْنَ الْأَغْنِياءِ مِنْكُمْ) أن هناك مقام تتضح فيه معالم العداله التى يريدها الله تعالى للناس،وهذا المقام هو وجود العصمه العلميه والعمليه التى انيطت بذوى القربى؛لأن العداله فى جميع مجالاتها لا تتحقق إلاإذا اتصف القائمون على إداره شؤون الناس بالعصمه العلميه والعمليه،فالعادل مهما بلغ فى درجاتها قد يقع فى الخطأ،أو الميل عن الحق ولو جهلاً،مع عدم اتصافه بالعصمه العلميه،وهذا ما تطالعنا به سوره يوسف عليه السلام فى قوله

۱- (۱) و (۲) سوره المائده.الآيه ۳.

۲- (۲)

تعالی.(قالَ اجْعَلْنِی عَلی خَزائِنِ الْأَرْضِ إِنِی حَفِیظٌ عَلِیمٌ) (۱)،فالحفظ-الذی هو دلاله علی الأمانه فی التصرف والعداله فی التقسیم-هو العصمه العملیه التی یحتاجها یوسف علیه السلام فی هذا المجال،ومع ذلک فقد قرنها بالحاجه إلی الدرایه العلمیه-أو قل إلی العصمه العلمیه-التی أشار إلیها بقوله.(عَلِیمٌ) ،فالحفظ لوحده غیر کافٍ إذا لم یکن مستنداً إلی العلم،ولهذا جمعت العصمتان فی قوله.(حَفِیظٌ عَلِیمٌ) ،وقد اسندتا إلی أهل البیت علیهم السلام أیضاً من خلال إسناد الله جل وعلا کل مقدرات إداره الأرض إلیهم علیهم السلام للتصرف فیها،فإذا لم یکن قد اتصفوا بالعصمتین-العلمیه والعملیه-فمن الممکن أن یقع فی تصرفهم الخطأ والجور،وهو ما یکون بعلم الله تعالی-وحاشاهم من ذلک-لأن الله جل وعلا بوضعه هذا التصرف فی أیدیهم،کان فی علمه أنهم یتمتعون بأقصی درجات العدل وإقامه العداله،والمتقومه بالعصمه العلمیه والعملیه، لأنهما رکنان لها،وحصنان مانعان من التخلف عنها.

ولتمتع أهل البیت علیهم السلام بالعصمتین کان حقیقاً وصف الإمام الحجه المنتظر علیه السلام فی خروجه،أنه یملأ الأرض بالعداله المنتظره،کما فی روایات أهل البیت علیهم السلام

«لیملأ الأرض قسطا و عدلا»التی وردت فی کتب الفریقین(۲).

وبهذا یتضح أن المناصب العلیا فی المجتمعات إذا اسندت إلی ذوی القربی تحققت العداله بجمیع مجالاتها،وکان سبباً لکرامه الأُمه وقوتها،وأما إسنادها إلی الظلمه فإنه یحول حیاه الناس إلی جحیم،وتضعف فیها قدرات المجتمع،وتصبح

۱- (۱) سوره یوسف.الآیه ۵۵.

۲- (۲) الأمالی/الصدوق.۷۸،الحدیث ۳/۴۵،المجلس السابع.التوحید.۷۹،باب التوحید ونفی التشبیه،الحدیث ۳۷.الوسائل.۲۴۱/۱۶،الحدیث ۹/۲۱۴۶۱.مسند أحمد.۲۷/۳ (مسند أبی سعید الخدری).سنن أبی داود.۳۰۹/۲،الحدیث ۴۲۸۲ و ۴۲۹۵،کتاب المهدی.مجمع الزوائد.۳۱۳/۷،باب ما جاء فی المهدی.

محلاً للنكبات،بسبب سوء سياسات الظلمه والمتجبرين،ويفقد الإسلام جاذبيته، وقدرته على حفظ التوازن بين الناس،ورفدهم بالقيم العليا-التى تؤثر إيجاباً على غيرهم-لتحقيق الوعد الإلهى الكبير (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِينِ كُلِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) (۱).

فأهل البيت عليهم السلام عنوان ومصداق للجاذبيه التى يتمتع بها الإسلام،لتتسابق الجموع فى الاهتداء بنوره،وتتشرف به سربالاً لها،لتبقى سوره النصر صادعه بنصرها،ومدويه بقولها.(إِذا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَ الْفَتْحُ*وَ رَأَيْتَ الناسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ اللهِ أَفْواجاً) (۲)،لتعلن الفتح الإلهى المتمثل بمنهج أهل الحق والعدل محمد وآله الطاهرين،ليكونوا لنا القاده والأدلاء على سبل العباده،لترتسم كربلاء بعشق الولاء،الواصل إلينا من افق السماء،لتضع لنا معالم الإصلاح والعداله بمنهجيه صلاح الأُمه بصلاح حكامها.

مقومات المدنيه والحضاره

قد يطرح بعضهم إشكالاً متصيداً من بعض المواقف التى حصلت مع أهل البيت عليهم السلام، ليحاول تحليلها على وفق طريقته وبعقليته الضعيفه،مستدلاً بها على نفى منهجيه أهل البيت عليهم السلام،واستحاله الغرض الإصلاحى لهم؛لأنهم كانوا طرفاً فى الصراع الذى دار بين المسلمين،وراح ضحيته الآلاف من القتلى والجرحى،وسبب الفوضى الاجتماعيه،والفساد الاقتصادى الذى هدرت فيه الأموال الطائله،أضف إلى ذلك أنه لو كان غرض أهل البيت عليهم السلام إصلاح الأُمه من خلال السيطره على المراكز العليا فيها، فلماذا رفض الإمام على عليه السلام عرض عبدالرحمن بن عوف-فى مسأله الشورى بعد

۱- (۱) سوره التوبه.الآيه ۳۳.سوره الصف.الآيه ۹.

۲- (۲) سوره النصر.الآيتان ۱ و ۲.

وفاه الخليفه الثانى-باستلام السلطه بشرط اتباع كتاب الله وسنه النبى وسيره الشيخين،فكان الفارق بينه عليه السلام وبين القياده كلمه واحده،إلاأنه رفض العرض بقوله:

«أرجو أن أفعل و أعمل بمبلغ علمى و طاقتى» (۱)،وهذا أكبر دليل على عدم صحه ما ادعيتموه فيهم عليهم السلام.

الجواب.أن هذا الطرح فى حقيقته مبنى على وفق معطيات المصالح السياسيه والعقليه السياسيه ذات الحرص والطمع فى القدره،وهذا من أكبر الأخطاء وأفدحها؛ لأن سيره هؤلاء الأولياء لا يمكن تحليلها وفق القواعد المحاسبيه الوقتيه السياسيه والحكومه السياسيه،بل ان تحليلها إنما يتم على طبق القواعد الحضاريه والحكومه الحضاريه والتمدن،وهنالك فرق كبير بين الحكومتين.

فالحكومه السياسيه افقها ونظراتها مقيده بعمر الحاكم أو ذويه،فكل ما يخططه الحاكم ويضعه فى منهجه-من استلام السلطه وتسليمها إلى ذويه،وإداره الأُمور الماليه،وغير ذلك-فهو خاضع للعامل الزمنى،فمهما طال أو قصر فهو لا يتعدى عمر جيل أو جيلين أو أكثر بقليل.

أما الحكومه الحضاريه فهى تختلف بجميع أبعادها عن الحكومه السابقه-بل إن قياسها معها قياس مع الفارق-فهى لا تكتفى بأُطر العامل الزمنى المقيد،بل تمتد نظرتها إلى عمر البشريه،لأنها تحاول تجذير المنهج الإصلاحى الذى يواكب مسيره البشريه جمعاء،وأن تجعله عرفاً سائداً فى المجتمع،بحيث يكون له القدره المؤثره فى صياغه القانون-المعبر عنه بالمصطلح القانونى بالعرف أو الأعراف-لأن المسير العرفى لأى مجتمع مهما كان هو الذى يحدد صياغه القانون،ويؤثر فى مواده وفقراته،ولا شك أن أعراف المجتمع مستمده من حضارته،ولهذا فهى التى تحكم

۱- (۱) تاريخ الطبرى.۶۰۶/۳.بحار الأنوار.۴۰۲/۳۱،الباب ۲۶ الشورى واحتجاج أميرالمؤمنين.شرح نهج البلاغه/ابن أبى الحديد.۳۶۷/۱۲.

المجتمعات،وإن لم تُقَر فی دستور البلد،فمثلاً-أن الأعراف فی أمریکا وبریطانیا تنص علی أن المناصب السیادیه من نصیب الجنس الأبیض،وإن لم یُذکر ذلک فی فقرات القانون،إلاأنه عرف سارت علیه أجیالهم،وهذا هو الجانب الأهم الذی تنظر إلیه الحکومه الحضاریه لتجذر الأعراف الصحیحه فی المجتمع،لتکون هی المحرک الحقیقی له،وهو ما تبینه سوره الکهف،التی ترسم معالم القانون الحضاری الذی یصنعه أولیاء الله فی کل خطواتهم،لتسیر بخطیً حثیثه مع المسیره البشریه،وإن لم توافق تطلعات الحاکم السیاسی فی ذلک الوقت؛لأنها سوف تصبح عرفاً تتحرک الأجیال علی وفقه،وهذا بعینه ما فعله أمیر المؤمنین علیه السلام فی جمیع مواقفه،بل ان جمیع الأنبیاء والأوصیاء لا یمکن حصر ما قاموا به من أعمال وغیرها بالعامل الزمنی، وإحاطته بالحقبه الزمنیه التی یعیشون فیها؛لأن ما أرادوه کان ناظراً إلی عمر البشریه جمعاء بکل أجیالها إلی یوم القیامه؛لأن السماء هی التی رسمت تصورات الأنبیاء والأوصیاء،ومعها لا یمکن رمیهم بالتقصیر أو الجهل-حاشاهم من ذلک-فی أعمالهم وما یصدر عنهم،وإن لم یوافق تطلعات جیل أو جیلین.

إذاً فالحاکم المدنی والحضاری هو الذی یرسم المنهج والطریقه التی تتواصل مع البشریه-وإن کان هو الأمر الأصعب-لتقوم المسیره الإنسانیه الصحیحه.

وبهذه المنهجیه والطریقه تعامل الخضر علیه السلام مع ذلک الغلام الذی قتله؛لأن إبقائه یعنی قطع نسل سبعین نبیاً(۱)،ولو أخذنا بعین الاعتبار ما هو الأثر السلبی الذی یمکن أن یحصل مع قطع نسل هؤلاء الأنبیاء،لما لهم من التأثیر علی البشریه،لتغیر رفضنا ورفض موسی علیه السلام لقتل الغلام إلی الموافقه والقبول،فالخضر علیه السلام تعامل علی وفق العلم اللدنی الذی زوده الله تعالی به،وهذا یقیناً داخل فی ضمن مقامات الحکومه الحضاریه.هذا کله من جانب.

۱- (۱) راجع الصفحه ۶۵ من هذا الکتاب.

ومن جانب آخر فان الحكومه السياسيه بالإضافه إلى خضوعها للعامل الزمنى، فهى خاضعه أيضاً إلى نزوات الحاكم وشهواته،وما يحققه من منافع له ولأفراد عائلته،لتضمن لهم المستقبل والحياه السعيده،وهذه كلها سياسات وقتيه قابله للزياده والنقصان.

أما الحكومه الحضاريه التى يقودها الأولياء والصالحون،فلا يمكن لها أن تتعامل وفقاً لمقتضيات الغريزه والسمعه،وإن تطلب ذلك التضحيه بالمواقع السياسيه التى فى أيديهم؛لأن هدفهم لم يكن هو تلك المواقع،بل الهدف هو إقامه الحكومه الحضاريه،التى تتخذ من القيم والمبادئ الساميه منهجاً يحكم البشريه بجميع أجيالها،وهذا الذى تبناه أمير المؤمنين عليه السلام والأئمه المعصومين فى كل أفعالهم ومواقفهم،التى تنبأ بالمسيره الإصلاحيه والمنهج القويم،المستوحى من قيم السماء،لتكون المحرك الحقيقى للشعوب فى كل الأوقات.

إذاً فالحكومه الحقيقيه للشعوب-ليست هى القائمه على دفه الحكم وزعامه المؤسسات-هى المؤسسه للقيم والمبادئ العليا فى المجتمع،لتصبح دستوراً واقعياً تتعامل على طبقه الناس،وإن مات أصحابه من زمن بعيد.

ولهذا يمكن القول إن الأنبياء جميعهم والأوصياء لو اجتمعوا فى مكان واحد وزمان واحد لما اختلفوا؛لأن هدفهم واحد،وإن تعاقبوا فى الأوقات والمجتمعات.

وبهذا يتضح أن أعمال أهل البيت عليهم السلام ومواقفهم،داخل ضمن مقومات الحكومه الحضاريه والتمدن.

الإمام الحسين عليه السلام والنداء الحضارى

تقدم سابقاً أن منهج الأنبياء والأوصياء،هو بناء الحكومه الحضاريه القائمه على ترسيخ القيم والمبادئ فى المجتمع،لتصبح عرفاً سائداً تتفاعل معه الأجيال،لتبقى

الحاكميه الحقيقيه فى الاُمه بيدى أصحاب المنهج،وإن فارقوا الدنيا.

لنفهم من خلاله ما أراده الإمام الحسين عليه السلام فى رسالته لمحمد بن الحنفيه ومن بقى معه من بنى هاشم،التى يقول فيها:

«أما بعد،فإن من لحق بى استشهد،و من لم يلحق بى لم يدرك الفتح» (۱)،فقد بينت هذه الكلمات القصيره أمرين مهمين.

أولهما:وهو النتيجه الأوليه لنهضته المباركه التى عبر عنها بالشهاده.

وثانيهما:وهى النتيجه الواقعيه التى تنتظر الأجيال القادمه والتى أشار إليها بالفتح.

إذاً ما هو الفتح الذى كان ينتظره الإمام الحسين عليه السلام من نهضته المباركه،والذى استدعى التضحيه بنفسه وعياله وأنصاره ؟ ففى الحقيقه أن الحسين عليه السلام كان ينظر إلى أن هناك منهجاً انحرافياً اريد أن يتأصل فى المجتمع من قِبل بنى اميه،ليكون بديلاً عن منهج الأنبياء والأوصياء؛لأن السلطه الحاكمه أرادت أن يكون دين الناس هو ما يراه الحاكم ويقرره،ولذا يقال.«إن الناس على دين ملوكهم»(۲)ليصبح هو العرف السائد فى المجتمع-فنجد أن الشامى يصاب بالذهول عندما يسمع أن علياً كان يصلى أو أن هنالك مَن هو أقرب إلى النبى صلى الله عليه و آله من بنى اميه-فكل ذلك انتهى مع أول قطره دم سقت أرض كربلاء،لتعلن الثوره الحقيقيه بوجه هذا المنهج ومن أسسه،لتبقى مقومات المنهج الحضارى هو العرف المتأصل فى المجتمع،والذى تتفاعل معه الأجيال، لتدوى كلمات الإمام عليه السلام آفاق الدنيا،وتحرر الإنسان من عبوديه الطاغوت بسبل الإصلاح الحسينى

«إنما خرجت لطلب الإصلاح فى امه جدى» (۳)،وهذا ما أكده

۱- (۱) مختصر بصائر الدرجات.۶،كتاب الحسين عليه السلام لبنى هاشم.مناقب آل أبى طالب.۲۳۰/۳،باب إمامه أبى عبدالله الحسين عليه السلام.بحار الأنوار.۸۷/۴۵،الحديث ۲۳.

۲- (۲) كشف الخفاء/العجلونى.۳۱۱/۲،الحديث ۲۷۹۰ حرف النون.تذكره الموضوعات/الفتنى.۱۸۳،باب الإمام العادل والظالم.

۳- (۳) راجع الصفحه ۹۱ من هذا الكتاب.

سید الساجدین علیه السلام فی رده علی مقوله إبراهیم بن طلحه بن عبیدالله عندما قال له:

یـا علی بن الحسـین،من غلب ؟ وهو یغطی رأسه،وهو فی المحمـل،فأجـابه الإمـام علیه السـلام قائلاً.«إذا أردت أن تعلم مَن غلب ودخل وقت الصلاه فأذن ثم أقم»(۱)، فالإمام علیه السـلام أراد أن یوضح المقیاس الحقیقی للفوز أو الخساره،ولا یمکن تقویمها بما یحصل فی ساحه المعرکه،بل هو ببقاء القیم والمبادئ-التی من أجلها کانت ثوره الإمام علیه السلام-وعدمه.

فالإمام الحسـین علیه السـلام استطاع بنهضته أن یؤصل مقومات الإسلام الحقیقی فی المجتمع،ولم یستطع یزید أو غیره إزاله هذا المنهج أو إلغاء مقوماته،ولذا نجد أن بطله کربلاء،وأحد عمالقه النهضه الحسـینیه،التی وقفت بوجه الطاغیه یزید،قد أعلنت فشـل المنهج المنحرف،وبقاء القیم الإصلاحیه والمبادئ العلیا،بقولها علیه السلام:

«فاسع سـعیک و ناصب جهـدک ،فوالله لا تمحو ذکرنا،و لا تمیت وحینا» (۲)،ومن ینظر الآن إلی واقع الحسـین ویزید فإنه سوف یعلم من هو الغالب الحقیقی.

۱- (۱) أمالی الطوسی-المجلس السابع والثلاثین.۶۷۷،الحدیث ۱۱/۱۴۳۲.بحار الأنوار:۱۷۷/۴۵،الحدیث ۲۷.

۲- (۲) بحار الأنوار.۱۳۵/۴۵،خطبه زینب فی مجلس یزید.مثیر الأحزان/ابن نما الحلی.۸۱،المقصد الثالث.

المحاضره التاسعه:السنن الإلهيه فى الرثاء الحسينى

اشاره

ص:۱۰۱

تاريخ الرثاء الحسينى

كثيراً ما يطرح هـذا السؤال من قِبل بعض المخالفين،وهو.ما هى المبررات الشـرعيه التى تجيز لكم تجديـد الحزن والرثاء فى كل عام لشهاده السبط فى كربلاء ؟

وقبل الإجابه على هذا السؤال،لا بد أولاً من معرفه تاريخ إقامه الرثاء الحسـينى على وجه المعموره،فإن الرثاء الحسينى ينقسم إلى مرحلتين.

الأُولى:وهى المرحله التى سـبقت فتره النبى الأكرم صلى الله عليه و آله،حيث إن الكتب التاريخيه والحديثيه تنقل لنا الأخبار التى تـدل على أن الأنبياء السابقين عليهم السـلام كانوا يندبون الحسـين فى الكثير من المواقف التى تمرُ بهم(١)،بل إن بعضهم عليهم السـلام ممن تأسـى بالحسـين عليه السلام عندما اصيب بأذى من قومه،فاختار المواساه لسيد الشهداء على معاقبه قومه(٢)،وإن دل ذلـك على شـىء فإنمـا يـدل على أن الرثـاء الحسـينى كـان يقـام فى العهـود السـابقه مـن قِبـل الأنبيـاء السـابقين،وقبـل حصـول الفاجعه،وأنه من سنن الأنبياء عليهم السلام.

١- (١) راجع كامل الزيارات.١۴٢،الباب ٢١.

٢- (٢) راجع كامل الزيارات.١٣٧،الباب ١٩.

الثانیه:وهی الفتره التی عاش فیها نبینا صلی الله علیه و آله،فإن کتب الفریقین قد نقلت لنا الکثیر من الأخبار التی تدل علی أن النبی الأکرم صلی الله علیه و آله أقام مراسیم العزاء والندبه علی ولده سید الشهداء،وبشکل متواصل،وفی أزمنه مختلفه،وأماکن متفرقه،وقد جمع العلامه الأمینی (أعلی الله مقامه) المجالس التی عقدها النبی صلی الله علیه و آله فی کتابه المسمی (سیرتنا وسنتنا وسیره الرسول صلی الله علیه و آله وسنته)،وقد أحصاها-من مصادر العامه،ومع حضور أصحاب النبی صلی الله علیه و آله من المهاجرین والأنصار-فکانت اثنتی عشر مجلساً،وکان أولها مجلس عقد فی یوم ولاده الإمام الحسین علیه السلام،فرثاه النبی صلی الله علیه و آله بطریقه صور فیها الحدث بکل تفاصیله،مما أثارت عواطف الأصحاب،فلم یُرَ منهم إلاالباکی والنادب،وقد ضج المسجد بالبکاء،فکان یوماً عظیماً لم یعلم بمثله من قبل،وکیف لا یکون کذلک والنادب هو سید البشر !

الرثاء الحسینی فی البیت النبوی

لم یکتفِ النبی الأکرم صلی الله علیه و آله بإقامه مجالس العزاء علی ولده الحسین علیه السلام فی المسجد النبوی فقط،بل إنه صلی الله علیه و آله ارتأی أن یقیمها أیضاً فی بیوت أزواجه،لیکن النادبات والنائحات علی ولده الشهید فی طف کربلاء،وقد تکرر هذا الأمر من قِبله صلی الله علیه و آله مرات عدیده،وإن دل ذلک علی شیء فإنما یدل علی أمرین مهمین.

الأول:إن إقامه مثل هذه المجالس تأکیداً لما قاله النبی صلی الله علیه و آله مراراً وتکراراً فی حق الحسین علیه السلام:

«حسین منی و أنا من حسین» (۱)،فقد حاول النبی صلی الله علیه و آله أن یعیش المأساه والشهاده مع ولده الحسین علیه السلام بکل تفاصیلها،وقبل استشهاده علیه السلام؛لأن الحسین علیه السلام کان یمثل الامتداد الحقیقی للرساله المحمدیه التی جاءت لإنقاذ الناس من الغوایه،

۱- (۱) کامل الزیارات.۱۱۷،الباب ۱۴،الحدیث ۱۲/۱۲۷.بحار الأنوار.۳۱۴/۴۵،الباب ۴۶،الحدیث ۱۴.مجمع الزوائد.۱۸۱/۹،باب فیما اشترک فیه الحسن والحسین علیهما السلام.

وإخراجهم من الظلمات إلى نور الهدايه،ليصبح دم الحسين عليه السلام مشعلاً ترفعه الأجيال فى مختلف العصور،وشعار تردده فى وهج الثورات،وهذا ما نراه فى العديد من الثورات التى قامت بعد استشهاده عليه السلام،فكان شعارها الذى ترفعه-وإن كان فى بعضها زيفاً وتزلفاً لاستماله الجماهير-(يا لثارات الحسين)،ليتزود الثوار من كربلاء العزم والإصرار،والتصميم على النصر.

الثانى:إن نفس عقد هذه المجالس من قِبل النبى صلى الله عليه و آله لرثاء وندبه الحسين عليه السلام، سواء كان فى المسجد النبوى أو فى بيوت أزواجه،كان غرضه صلى الله عليه و آله منها شد الناس لهذه الفاجعه،وزياده فى حاله الترقب لها،وما تلم به من مصائب سوف تحل بالأُمه الإسلاميه،ولذلك أتحف النبى الأكرم صلى الله عليه و آله ام سلمه بقاروره فيها قبضه من تراب الشهاده من أرض كربلاء،لتكون جرس الإنذار،وناقوس البدايه لمصائب سوف تحل بالأُمه الإسلاميه،ومتاهات يقع فيها المجتمع الإسلامى.

إذاً فالنبى صلى الله عليه و آله ومن خلال إقامته مجالس العزاء والندبه على ولده الحسين،أراد أن يبين للناس مظلوميه ولده الشهيد،ليصبح الرثاء والندبه على الحسين عليه السلام سنه دأب النبى صلى الله عليه و آله على إقامتها،وربى المسلمين على تجديدها،فهى سنه نبويه ولم تكن-كما يدعى البعض-من اختراعات الشيعه الإماميه،وما يقوم به أتباع مذهب الحق والفرقه الناجيه،من تجديد ذكرى شهاده السبط فى كربلاء ما هو إلاامتثالاً لأمر النبى صلى الله عليه و آله، واتباعاً لسنته صلى الله عليه و آله.

السنن الإلهيه فى رثاء الحسين عليه السلام

لم يقتصر رثاء الحسين عليه السلام على كونه سنه نبويه دأب الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله على إقامتها، لينحصر الدليل فيها على شعيريه تجديد الذكرى من قِبل أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام،بل إن رثاء وندبه الحسين عليه السلام والبكاء عليه إنما هو سنه إلهيه حصلت فى الدنيا،قبل قيامها فى الآخره،وهذا ما سوف يتضح من خلال البحث.

البكاء على الحسين عليه السلام سنه إلهيه تكوينيه

من الأُمور التى تخبرنا بها كتب الفريقين،وهى حصول بعض الظواهر فى الكون المرافقه لبعض الأحداث،فهذا ابن عساكر ينقل لنا،بأسانيد متصله الكثير من الروايات التى تدل على أن السماء بكت دماً عبيطاً،وتغيير لونها حتى أصبح أشدُ حمره ببكائها على الحسين عليه السلام،وأن جدران المدينه،وبيوت العراق كانت تصطبغ باللون الأحمر،وتبقى لشهور تدمى على سيد الشهداء،وما رفع حجر فى أرض فلسطين إلاووجد تحته دماً عبيطاً(١)،فهذه الظواهر تدل بوضوح على أن البكاء والندبه على سيد الشهداء إنما هو سنه إلهيه.وكذلك الطبرى فى تفسيره فى ذيل سوره الدخان عند قوله تعالى.(فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَماءُ وَ الْأَرْضُ وَ ما كانُوا مُنْظَرِينَ) (٢).

فقد شاء الله تعالى أن يستمر منهج الحسين عليه السلام مع جميع الأجيال ما دامت الدنيا باقيه،ليصبح دمه الشريف من المصاديق التى أرادها الله تعالى لحفظ هذا الدين، وإبقاءً لشريعه سيد المرسلين،ليتجلى من دمه الطاهر منهجاً يقوض أركان الانحراف،ويؤسس مقومات الدفاع عن الذكر الحكيم،بوجه أمواج التحريف (إِنا نَحْنُ نَزَلْنَا الذِكْرَ وَ إِنا لَهُ لَحافِظُونَ) (٣)،فالحسين عليه السلام قرآن ناطق،يترجم لنا المفاهيم

١- (١) راجع تاريخ دمشق.٢٢٥/١۴ وما بعدها،الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام.وتفسيرالطبرى فى ذيل الآيه ٢٩ من سوره الدخان،بل قد ذكر المؤرخ البريطانى فى كتابه انكلوساكسون ANGLO SAXON ترجمه« G.N.Garmonsway »ص٣٨-بروفيسور فى الكليه الملكيه فى لندن أنه فى سنه ۶٨۵ الميلاديه -.«أن السماء مطرت دماً فى بريطانيا،وأن الحليب والزبد أيضاً تحولا إلى الدم»،وهى سنه مقاربه لسنه (۶١ه) هجريه سنه استشهاد الإمام الحسين عليه السلام.

٢- (٢) سوره الدخان.الآيه ٢٩.

٣- (٣) سوره الحجر.الآيه ٩.

القرآنیه فی واقعها العملی-لأن العمل من مصادیق الحفظ-فنهضته علیه السلام أرهقت الطغاه والجبابره،وزلزلت عروشهم من تحت أقدامهم،انطلاقاً من مسایره نهج السماء الذی خط بأفق الکمال الحسینی،وبأبهی صوره،لینتقل بعدها من خواء الدنیا إلی نعیم الآخره،وکیف لا تبکی علیه السماء والأرض إذا خط بدمه الشریف المنهج الإلهی القویم للأجیال القادمه !

ولا یلتفت لقول القائل کیف یصح بکاء السماء والأرض علی شخص،لأنهن عدیمات الشعور،وإنما البکاء یختص بمن له هذه الصفه ؟

وکأن هذا القائل قد تجاهل الکثیر من الآیات القرآنیه المبارکه التی تبین لنا أن جمیع الموجودات تحمل شعوراً خاصاً بها،وإن خفی علینا،فیقول تعالی.(وَ إِنْ مِنْ شَیْ ءٍ إِلا یُسَبِحُ بِحَمْدِهِ وَ لکِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِیحَهُمْ) (۱)،فلا یصح وصفها بالتسبیح إذا لم تکن تحمل شعوراً معیناً،فالمقتضی إذاً موجود ولکن المانع موجود أیضاً-وهو عدم القدره البشریه للاطلاع علی هذا التسبیح-وهذا ما تؤکده الروایات الوارده عن بیت العصمه والطهاره،فعن الإمام الصادق علیه السلام یقول:

«إن الأرض تضج إلی الله من بول الأغلف» (۲)،فإذا لم یکن لها شعور فکیف یصح ضجیجها.

وأضف إلی ذلک ما ورد فی سوره الدخان من إمکان حصول البکاء من السماء والأرض کما فی قوله تعالی.(فَما بَکَتْ عَلَیْهِمُ السَماءُ وَ الْأَرْضُ وَ ما کانُوا مُنْظَرِینَ) (۳)،فلو لم یکن البکاء من شأنهما،لا یصح نفیه عنهما؛لأن ذلک یعدُ

۱- (۱) سوره الإسراء.الآیه ۴۴.

۲- (۲) الکافی.۳۵/۶،باب التطهیر،الحدیث ۳.الفقیه.۳۱۱/۳،باب العقیقه والتحنیک...،الحدیث ۱۷.

۳- (۳) سوره الدخان.الآیه ۲۹.

لغواً،فمن غير الصحيح أن تصف الجدار بعدم البصر،أو الحجر بعدم الزواج،لأنهما غير قابلين للاتصاف بهما،إذاً فقوله تعالى.(فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَماءُ وَ الْأَرْضُ) دليل على أن السماء والأرض لهما القابليه على البكاء؛لأن من شأنهما ذلك،ويؤيده ما رواه الفريقان من قول النبى صلى الله عليه و آله لأبى ذر الغفارى:

«إن الأرض لتبكى على المؤمن إذا مات أربعين صباحا» (۱)،فإذا كان بكاؤها على المؤمن فكيف لا تبكى على سيد الشهداء،وإمام المجاهدين الحسين السبط عليه السلام ؟ !

وبهذا يتضح مما تقدم،وما نقله ابن عساكر من أن البكاء على الإمام الحسين عليه السلام إنما هو سنه إلهيه تكوينيه.

الرثاء الحسينى سنه إلهيه تشريعيه

لا شك أن موده أهل البيت عليهم السلام إنما هى فريضه قرآنيه،أوجبها الله تعالى بكتابه الكريم،فقال تعالى.(قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَ الْمَوَدَهَ فِى الْقُرْبى) (۲)،وقد عظمها البارى جل وعلا،وجعلها من مصاف اصول الدين،كما سيتضح ذلك من خلال البحث.

إن الآيه المباركه قد بينت أن الأجر الذى طلبه النبى الأكرم صلى الله عليه و آله إنما هو موده أهل البيت عليهم السلام،ولكن على ما اذا استحق النبى صلى الله عليه و آله هذا الأجر ؟ أى ان الضمير فى (عَلَيْهِ) هل يعود إلى الدين،أو إلى المشقه التى تحملها النبى صلى الله عليه و آله فى تبليغ الرساله وما ناله من الأذى فى سبيلها،فإن كان الضمير راجعاً إلى الأول-الدين - فلا شك أن موده ذوى القربى تكون من مصاف اصول الدين،وأما إذا كان الضمير

۱- (۱) أمالى الطوسى-المجلس التاسع عشر.۵۳۵،الحديث ۱/۱۱۶۲.مكارم الأخلاق.۴۵۵،الفصل الخامس.فى وصيه رسول الله صلى الله عليه و آله لأبى ذر الغفارى رضى الله عنه.الدر المنثور.۳۰/۶،تفسير الآيه.فتح القدير.۵۷۷/۴،تفسير الآيه.

۲- (۲) سوره الشورى.الآيه ۲۳.

راجعاً إلى الثانى-التعب والمشقه والألم-فلا- يمكن جعل الموده فى مصاف الأُصول، ولكن نقول.إن الأمر الثانى أيضاً مرجعه إلى الأمر الأول؛لأن النبى صلى الله عليه و آله إنما تحمل جميع صنوف الألم والتعب والمشقه لأجل الدين نفسه،فإن كل عمل مرهون بنتيجته،فتقييم العمل وتثمينه راجع إلى ما تحصل من نتيجه،فما أراد به النبى صلى الله عليه و آله من جميع ذلك إنما هو لغرض تحصيل الدين،وبذلك يكون الضمير فى (عَلَيْهِ) راجع إلى الدين على كلا الاحتمالين.

وعليه،فالأجر الذى يريده النبى صلى الله عليه و آله فى مقابل الدين هو موده ذوى القربى، فيكون القرآن قد جعل الدين فى كفه وموده أهل البيت عليهم السلام فى كفه اخرى،وبمقتضى الأجر والمؤاجره-وهى المعاوضه-يكون أحدهما عوض للآخر،ولا بد أن توجد موازنه ومعادله بين الدين وبين موده أهل البيت عليهم السلام،وأهم ما فى الدين اصوله الاعتقاديه وأركانه،فتكون الموده فى مصاف اصول الدين،بل هى أصل اعتقادى، ومن الفرائض الإلهيه التى شرعها فى محكم كتابه،وليس كما يدعيه البعض بأنها من غلو الشيعه؛لأن القرآن صريح فى ذلك،وهو معصوم من التحريف والخطأ بنص قوله تعالى.(إِنا نَحْنُ نَزَلْنَا الذِكْرَ وَ إِنا لَهُ لَحافِظُونَ) (۱).

أحكام الموده

إن موده أهل البيت عليهم السلام لم تكن مقتصره على دعوى العلاقه التى يمكن لأى إنسان أن يدعيها،بل إن الموده قائمه على اسس وأحكام ذكرها الله تعالى فى محكم كتابه الكريم،فهنالك الكثير من الآيات التى تخبرنا بجمله من الأحكام المترتبه على الموده،ومن خلالها يمكن التمييز بين مجرد ادعاء الموده وبين الصدق لتلك الدعوى،فإننا نلاحظ أن الكثير من الناس-حتى المخالفين لهم-ممن يدعى الموده

۱- (۱) سوره الحجر.الآيه ۹.

لأهل البيت عليهم السلام،ولكن ما هو المائز لصدق هذه الدعوى وزيفها ؟ ومن هنا كان علينا ذكر الأحكام التى تلازم الموده،والوارده فى الآيات المباركه.

الأول.الاتباع

إن أول أحكام الموده لأهل البيت عليهم السلام هى اتباعهم،والاقتداء بهم،فهنالك ملازمه بين دعوى المحبه والموده وبين الاتباع،وهو ما ورد فى قوله تعالى.(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُونَ اللهَ فَاتَبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللهُ) (۱)،فإن هذه الآيه وإن كانت فى صدد بيان المحبه، إلا إنه وكما تعلمون أن المحبه جنسها الموده،فما يثبت للمحبه فهو ثابت للموده من باب أوْلى،فيكون الاتباع أيضاً من لوازم الموده،وحكم من أحكامها.

الثانى.التطابق بين حالات التابع والمتبوع

وهذا هو الحكم الثانى من أحكام الموده،وهو التطابق بين حالات أهل البيت عليهم السلام وبين من يودونهم،فإن القرآن الكريم ينقل لنا حالات الخلاف بين ما يقع على النبى صلى الله عليه و آله وأهل بيته وبين اولئك المنافقين،فيقول تعالى.(إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَهٌ تَسُؤْهُمْ وَ إِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَهٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنا أَمْرَنا مِنْ قَبْلُ وَ يَتَوَلَوْا وَ هُمْ فَرِحُونَ) (۲)، فإن الأعداء والمبغضين للنبى صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام تراهم مسوده وجوههم،وتسوء أحوالهم إذا أصاب النبى فرح،بينما يفرحون لحزن النبى وآله الأطهار،وبمقتضى مفهوم الآيه المباركه يكون هناك تطابق بين حالات النبى صلى الله عليه و آله وأهل بيته،وبين مَن يودونهم فيفرحون لفرحهم عليهم السلام ويحزنون لحزنهم عليهم السلام،وهو ما أكده قول الإمام الصادق عليه السلام:

«و اختار لنا شيعه ينصرونا،و يفرحون لفرحنا،و يحزنون لحزننا» (۳)،

۱- (۱) سوره آل عمران.الآيه ۳۱.

۲- (۲) سوره التوبه.الآيه ۵۰.

۳- (۳) الخصال.۶۳۵/۲،الحديث ۱۰،علم أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه فى مجلس واحد ل لا أربعمائه باب.بحار الأنوار.۱۱۴/۱۰،باب ۷.ما علمه صلى الله عليه و آله من أربعمائه باب ما يصلح للمسلم فى دينه ودنياه،الحديث ۱.

فتكون حالات الذين يودون أهل البيت عليهم السلام موافقه لحالاتهم عليهم السلام.

وهنالك أحكام اخرى للموده أعرضنا عن ذكرها لاقتصارنا على قدر الحاجه.

خلاصه القول

تبين مما تقدم أن المبرر الشرعى لتجديد ذكرى سيد الشهداء،وإقامه المآتم للرثاء والندبه فى كل عام،إنما هو مستمد من الوجوه التاليه.

الأول:إن تجديد ذكرى سيد الشهداء،وتجديد الحزن والندبه،إنما هو سنه نبويه قد سنها الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله من خلال إقامته لمآتم العزاء على ولده الشهيد،سواء كان فى المسجد النبوى أم فى بيت أزواجه.

الثانى:إن ما تناقلته كتب الفريقين من ذكر بكاء السماء والأرض دماً على سيد الشهداء،وما رفع حجر إلاووجد تحته دماً عبيطاً،هو عباره عن كون البكاء على الحسين عليه السلام إنما هو سنه إلهيه تكوينيه.

الثالث:من خلال الاستشهاد بالآيات الكريمه،اتضح لنا إن من أحكام الموده هو الاتباع،والتطابق بين حالات التابع والمتبوع،من الحزن والفرح،فيكون الحزن على سيد الشهداء والبكاء والتفجع على مصابه سنه إلهيه تشريعيه،قد فرضها الله فى كتابه الكريم.

وهناك وجه رابع يمكن أن يضاف إلى الوجوه المتقدمه،وهو أن الرثاء والندبه على سيد الشهداء،إنما هو سنه قرآنيه،قد امتدحها القرآن الكريم فى الكثير من الآيات المباركه،فإن القرآن فى تعرضه للأحداث التى حصلت فى الأُمم السابقه،نجده

يصورها لنا بنحو يكون مهيجاً للمشاعر والأحاسيس،فينقل فی تصویره بین تفاصیل الحدث،وجامعاً لمقدماته،فیذکر تاره النتیجه النهائیه للحدث،واُخری یوضح فیها ساحه المعرکه،وأداه الجریمه،حیث إنه یرسمها لنا بصورتها الواقعیه التی تکون أکثر تأثیراً لدی السامع،لغرض ربطه بالمبادئ والأهداف التی یضعها النادب،وهذا هو أرقی أنواع الأدب القرآنی،ولکننا نتأسف لإغفال المفسرین الذین تعرضوا لهذه الآیات،من التطرق لهذا الأدب القرآنی البدیع،فهم بذلک یتجاهلون علماً من العلوم القرآنیه،وهو أدب الرثاء القرآنی.

أدب الرثاء فی القرآن الکریم

من الابداعات التی یرفدنا بها القرآن الکریم،هی تصویره للأحداث التی حصلت فی الاُمم السابقه خیر تصویر،ملتزم بأرقی أسالیب الرثاء والندبه،فها هی سوره البروج، وما تبدیه من تقییم لأحداث الصراع الذی حصل بین جماعه الحق وهم ثله من المؤمنین،واُولئک الکفار وعبده الهوی،الذین تسلطوا علی رقاب الناس بالقوه والقهر،فترسم لنا صوره الظلم الذی تعرض له أصحاب الاُخدود،فهی فی واقعها عاشوراء مصغره،ارتسمت فی سماء التاریخ بأرقی المعانی،لتضع اللمسات الإلهیه فی حنایا صبر المؤمنین،وتبین معالم الظلم الذی وقع علی البشریه فی تلک الفتره العصیبه،فتأکیداً لواقعیه الحدث وصدقه ابتدأت السوره بأیمان ثلاثه،فقالت:

(وَ السَماءِ ذاتِ الْبُرُوجِ*وَ الْیَوْمِ الْمَوْعُودِ*وَ شاهِدٍ وَ مَشْهُودٍ) (۱)،ثم تتوالی فی ذکر الحدث موضحه نتیجته النهائیه،ووصف ساحه الحدث فی قوله تعالی.(قُتِلَ أَصْحابُ الْأُخْدُودِ*اَلنارِ ذاتِ الْوَقُودِ) (۲)،فإن بیان هذه التفاصیل مع ذکر أداه

۱- (۱) سوره البروج.الآیات ۱-۳.

۲- (۲) السوره المتقدمه.الآیتان ۴ و ۵.

الجريمه لهو أرقى أنواع أدب الرثـاء،خصوصاً مع كون الحـدث من البشاعه ما لا يمكن وصـفه،فإن فيه تهييـج للمشاعر وتحريك للعواطف،فهو تصوير حى للجريمه بأكملها،وبهذا البيان وصف شاعر أهل البيت عليهم السلام فاجعه كربلاء:

أفاطمُ لَو خلتِ الحسينَ مُجدلاًوقد ماتَ عَطشاناً بشطِ فُراتِ (۱)

فالتصوير القرآنى لأدب الرثاء والنـدبه الذى ذكر فى سوره البروج خير دليل على أن الندبه والرثاء هو سـنه قرآنيه راجحه،أضـف إلى ذلك كله،فإن أساتذه التجويد - الجدد-قد وضعوا اسلوباً خاصاً لقراءه آيات الأحداث،بحيث تُهيج عواطف السامعين.

وأصـدق مورداً لمـا ذكرنـاه،هو قراءه سوره يوسف،فإنهـا أكثر السور تـأثيراً فى المسـتمع،لأنها تحمل معالم المأساه الحقيقيه التى تعرض لها أحـد أنبياء الله-وهو النبى يوسف عليه السـلام-ومن أقرب الناس إليه-وهـم إخوته-فتصور لنا تسـلسل الأحداث بجميع مقدماتها،وبأُسلوب شجى،فيُفتَتح ملف الجريمه مبتدءً من قوله تعالى:

(لَقَدْ كانَ فِي يُوسُفَ وَ إِخْوَتِهِ آياتٌ لِلسائِلِينَ) (۲)،ثم فى بيان رائع يتدرج بذكر خطوات الجريمه متوالياً،فيقول.(إِذْ قالُوا لَيُوسُفُ وَ أَخُوهُ أَحَبُ إِلى أَبِينا مِنا وَ نَحْنُ عُصْبَهٌ إِنَ أَبانا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ*اُقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ) (۳).

ومـا عرضه القرآن إلى الآـن إنمـا هو مخطـط الجريمه النظرى،ولكن يبقى تصويره لخطوات التنفيـذ،والـذى ينم عن إحاطه دقيقه بجميع تفاصيلها،فيقول تعالى واصفاً

۱- (۱) بحار الأنوار.۲۵۷/۴۵،قصه دعبل ودخوله على مولانا الإمام الرضا عليه السلام.

۲- (۲) سوره يوسف.الآيه ۷.

۳- (۳) السوره المتقدمه.الآيتان ۸ و ۹.

بدایات التنفیذ.(قالُوا یا أَبانا ما لَکَ لا تَأْمَنا عَلی یُوسُفَ وَ إِنا لَهُ لَناصِحُونَ*أَرْسِلْهُ مَعَنا غَداً یَرْتَعْ وَ یَلْعَبْ وَ إِنا لَهُ لَحافِظُونَ) (۱)؛لأن إخراجه بعیداً عن نظر والده یعد الخطوه الأهم فی الجریمه،وتبقی الخطوات الأُخری هی الأسهل فی التنفیذ.

ثم یتدرج القرآن فی بیان موقع الجریمه فیقول تعالی.(فَلَما ذَهَبُوا بِهِ وَ أَجْمَعُوا أَنْ یَجْعَلُوهُ فِی غَیابَتِ الْجُبِ) (۲)،وهذا فی حقیقته هو الموقف الأصعب؛لأن المجنی علیه-وهو نبی الله یوسف علیه السلام-کان یعلم بما سوف یحصل له،ویتقبلها ویصبر علیها؛لأن العنایه الإلهیه کانت تصاحب ذلک الصغیر فی بدنه،والکبیر فی حقیقته،فینبأهم بفعلهم هذا من خلال أروع تصویر فی قوله تعالی.(وَ أَوْحَیْنا إِلَیْهِ لَتُنَبِئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هذا وَ هُمْ لا یَشْعُرُونَ) (۳)،وإن صبر یوسف علیه السلام لما یراه من إخوته إنما هو لأمر أهم،ومنزله عظیمه لا یمکنه علیه السلام أن یصل إلیها،إلامن خلال هذا الابتلاء والافتراق عن الأحبه-وهذا شبیه بقول الرسول صلی الله علیه و آله لولده الحسین علیه السلام فی الرؤیا:

«و إن لک فی الجنه درجات لا تنالها إلابالشهاده» (۴)-.

ثم ینتقل بنا إلی حزن الأحبه بفراق یوسف واصفاً إیاهم بقوله تعالی.(وَ تَوَلی عَنْهُمْ وَ قالَ یا أَسَفی عَلی یُوسُفَ وَ ابْیَضَّتْ عَیْناهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ کَظِیمٌ) (۵)،فهذا الأب والنبی الذی تأثر بفراق ولده،وحبیب قلبه،أخذ یندبه ویبکی علیه،حتی فقد بصره من شده الحزن،بینما نجد مرتکبی هذه الجریمه لم یُرق لهم هذا الحزن من الوالد علی ولده،فاعترضوا علیه بقولهم الذی یحکیه الرب الجلیل بقوله تعالی:

۱- (۱) سوره یوسف.الآیتان ۱۱ و ۱۲.

۲- (۲) السوره المتقدمه.الآیه ۱۵.

۳- (۳) السوره المتقدمه.الآیه ۱۵

۴- (۴) أمالی الصدوق-المجلس الثلاثون.۲۱۷،الحدیث ۱/۲۳۹.بحار الأنوار.۳۱۳/۴۴،کتاب عتبه إلی یزید وکتابه إلیه فی أمر الحسین علیه السلام.

۵- (۵) سوره یوسف.الآیه ۸۴.

(قالُوا تَاللهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهالِكِينَ) (۱)-وهو فی قوه من اعترض علی بکاء الزهراء علیها السلام،لفقد والدها النبی الأکرم صلی الله علیه و آله،فقالوا لها.«قد آذیتنا بکثره بکائک»(۲)-فیأتی جواب یعقوب علیه السلام علی المعترضین (قالَ إِنَما أَشْكُوا بَثِی وَ حُزْنِی إِلَی اللهِ) (۳)،ولیس هذا من باب الاعتراض علی قضاء الله تعالی وقدره-کما یتصوره البعض-بل هو تسلیم بهما؛لأن هناک فرق بین شکایه الله تعالی والشکوی إلی الله،والاعتراض والتندید بالظالمین،فالأول اعتراض علیه تعالی،بخلاف الثانی، فإنه تسلیم وإقرار بما قدره الله وقضاه،ومقارعه وإدانه للظالمین وتظاهره احتجاجیه علیهم،وهو ما تصوره لنا بطله کربلاء العقیله زینب علیها السلام عندما خاطبها عبیدالله بن زیاد بقوله.کیف رأیت صنع الله بأهلک بیتک،فقالت.ما رأیت إلاجمیلاً»(۴)،وهو أرقی مراتب التسلیم بقضاء الله وقدره.

إذاً فالقرآن الکریم ومن خلال تصویره الرائع لأحداث الماضی وندبته الأولیاء والصالحین،یکشف لنا عن حقیقه الرثاء والندبه،وأنها تضامن مع المظلومین وتندید وإدانه واستنکار للظالمین،وأن هناک حث علیها من قِبله،وتأکید وإصرار فی إقامه مجالس الرثاء والندبه فی کل قراءه وختمه للآیات والسور والقرآنیه،وبهذا یتضح لنا أن ندبه الحسین علیه السلام إنما هو سنه قرآنیه حث علیها القرآن وأبدع فی تصویرها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمین

وصلی الله علی محمد وآله الطیبین الطاهرین

۱- (۱) سوره یوسف.الآیه ۸۵.

۲- (۲) () أمالی الصدوق-المجلس التاسع والعشرون.۲۰۴،الحدیث ۵/۲۲۱.وسائل الشیعه:۲۸۱/۳،باب جواز البکاء علی المیت،الحدیث ۷/۳۶۵۵.

۳- (۳) () سوره یوسف.الآیه ۸۶.

۴- (۴) ()بحار الأنوار.۱۱۶/۴۵.مثیر الأحزان/ابن نما الحلی.۷۰،المقصد الثالث.

العولمه...أسبابها و مقوماتها

اشاره

تقريراً لأبحاث آيه الله الشيخ محمد السند

بقلم.الشيخ على الأسدى

ص:١١٧

المحاضره الاُولی:الموقف من أحداث التاریخ وشخصیاته

اشاره

ص:۱۱۹

التاريخ فى نطاق المحاكمه

من الأُمور التى تثير الآخرين ويكثرون التساؤل عنها هى أن أتباع أهل البيت عليهم السلام يصرون على التنقيب فى التاريخ وعلى القضاء التاريخى،أى يتخذون مواقف قضائيه تجاه الأحداث التاريخيه التى عصفت بالأُمه والأخطاء الفادحه التى حملها التاريخ وتبين المواقف منها،فاستذكارها يعنى إعاده فتح الملفات القديمه التى اسدل الستار عليها بلا رجعه،وكل ذلك لأن الشيعه هم كبش الفداء فى تلك الأزمنه،ولهذا فهم يعترضون على الشيعه بحجه أن ذلك يوجب الشحناء والبغضاء فى صفوف الأُمه الإسلاميه،وإثاره النعرات الطائفيه فى وقت نحن أحوج ما نكون فيه إلى تأليف القلوب وتوحيد الصفوف أمام التحديات الراهنه.

سوف نبحث هذا الموضوع خلال الآيات القرآنيه الشريفه والسنه المطهره والأدله المتفق عليها بين الفريقين والدليل العقلى والقانون البشرى،لأن كل هذه الأُمور تحث الإنسان على نبش التاريخ والتنقيب عنه،واتخاذ مواقف من ما حدث فى التاريخ.

سنه الرثاء فى القرآن الكريم

قد تكلمت فى المحاضرات السابقه عن سنه قرآنيه عظيمه ولم أقف على من ذكر هذه

السنه القرآنیه-فی حدود استقصائی-لم أقف علی من أثار هذه الدلاله القرآنیه من علمائنا،فضلاً عن علماء المذاهب الاُخری،ألا وهی استعراض القرآن الکریم للظلامات التاریخیه ابتداءً من قصه هابیل وقابیل مروراً بأصحاب الاُخدود وقتل الأنبیاء،ومظلومیه النبی یوسف علیه السلام وأصحاب الکهف الذین وحدوا الله بفطرتهم، ولم یکونوا ینتسبون إلی دین من الأدیان (کما هو فی أحد الآراء التفسیریه)،وللأسف لم أسمع أحداً من الاُدباء من أتباع الإمامیه من طرق هذا الباب،وهذا السبق سبق وکنز أدبی،وسبق وکنز قرآنی،بل سبق وکنز تربوی،واجتماعی،وأیضاً وسبق ومنبع اعتقادی،وهو وجود أدب الرثاء والندبه والعزاء فی القرآن الکریم،وللأسف لم یثر مفسرو الإمامیه هذا الباب،وهو باب أدب الرثاء مع أن القرآن الکریم یحمل الاُسلوب الرثائی بطریقه عاطفیه جیاشه،وهذا الباب-أدب الرثاء-یقف إلی جانب أدب الحکم والمواعظ والأمثال والوعید والبشاره.

والرثاء فی القرآن الکریم بأُسلوب عاطفی جیاش یهدف إلی إیصال المستمع عن طریق القرآن إلی التضامن مع المظلوم والتندید بالظلم والظالمین،ولو حللنا سوره البروج فی موضوع أصحاب الاُخدود،وحللنا قصه هابیل وقابیل لرأینا أن الآیات المبارکه فی استعراضها تلک القصص کانت فی منتهی الإثاره العاطفیه للقارئ،وهذا لیس أدب رثاء فقط،بل هو استذکار للماضی،وکل ختمه نختمها من القرآن الکریم تنطوی علی العدید من المراثی والندب لسلسله الظلامات والمظلومین فی أعماق التاریخ البشری والأدیانی والذی یعیدنا إلی الآلام والمحن التی مرت بها الاُمم السابقه،وکل ذلک لأجل فتح الملفات التاریخیه،ومن الملفات التی فتحها القرآن الکریم الملفات التاریخیه المتعلقه بالأحداث فی عصر النبی صلی الله علیه و آله وأحوال الصحابه، فنری أن القرآن الکریم یفتح هذه الملفات ویصنف المحیطین بالنبی صلی الله علیه و آله،ویصفهم بأوصاف إیجابیه وسلبیه بدرجات مختلفه،فیصف بعضهم بالمنافقین والمرجفین فی المدینه والمعوقین والمبطئین والمتخلفین،ویصف البعض الآخر بأوصاف

إیجابیه بأنهم أشداء علی الکفار رحماء ربینهم،تراهم رکعاً سجداً یبتغون فضلاً من ربهم.

البدریون فی نظر القرآن الکریم

فی هـذا العام زرت مکان معرکه بدر الکبری،والذی یبعد ۱۵۰ کم عن المدینه المنوره ببرکات النبی محمد صـلی الله علیه و آله وأئمه البقیع والبضـعه الطاهره فاطمه الزهراء سلام الله علیها، وهناک رأینا أحد المشایخ وقال لی.هل جئتم هنا إلی زیاره القبور ؟ فقلت.له.لا وإنما أتیت هنا لأری مسـرح المعرکه التی انتصـر فیها المسلمون وکان لعلی علیه السلام دوراً أساسیاً ومحوریاً فی هذا النصـر،ونحن هنـاک فتحنـا القرآن وحاولنـا معرفه مکـان العـدوه الـدنیا والعـدوه القصوی،ومکان الرکب الموصوف فی الآیه ب (أَسْفَلَ مِنْکُمْ) (۱)،حیث کان الإمام الصادق علیه السلام یوصی معاویه بن عمار ویقول:

«لا تدع إتیان المشاهد کلها، مسجد قبا...» (۲)،وفی بعض الروایات(۳):

«فصـلی فیه رکعتین»،هنـاک ونحن ننظر إلی سـاحه المعرکه فتحنا القرآن وإذا بسوره الأنفال،وقرأنا هـذه الآیه أمام الشـیخ الـذی أنکر علینـا زیاره القبور (إِذْ یَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَ هؤُلاءِ دِینُهُمْ وَ مَنْ یَتَوَکَلْ عَلَی اللهِ فَإِنَ اللهَ عَزِیزٌ حَکِیمٌ) (۴).

وبینت لنـا الآیه الکریمه أن هنالـک فئتـان یـذمهما القرآن من بین البـدریین أنفسـهم، فضـلاً عن جمیع الصـحابه،وهاتـان الفئتان هما.المنافقون،والذین فی قلوبهم مرض،وعندما واجهنا ذلک الشیخ بهذه الآیه قال.«إن بدر لم تکن مدینه مسکونه»،

۱- (۱) سوره الأنفال.الآیه ۴۲.

۲- (۲) الوسائل ۱۴.۳۵۳،الباب ۱۲ من أبواب المزار،الحدیث ۱/۹۳۷۳.

۳- (۳) الوسائل ۱۴.۳۵۵،الباب المتقدم،الحدیث ۵/۹۳۷۷.

۴- (۴) سوره الأنفال.الآیه ۴۹.

فقلت له.«إن القرآن لا يتكلم عن سكان بدر،وإنما يتكلم عن بعض الصحابه الذين كانوا مع النبى يحاربون ولكنهم كانوا منافقين».

وعندها قال الشيخ.«إنى مرتبط بعمل وأُريد الانصراف».

فقلنا له.«انصرف».

ومن الواضح أن المراد بالمنافقين فى البدريين هم الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر،أما الذين فى قلوبهم مرض فهم أيضاً ممن يظهر الإسلام ويبطن المرض،وقد أشار إليهم القرآن فى رابع سوره نزلت على الرسول صلى الله عليه و آله فى أوائل البعثه فى سوره المدثر،وتابعهم القرآن الكريم فى عده مواضع متابعه دقيقه،حيث أن السور ترسم خطه حركتهم للتسلط على مقاليد الأُمور بعد رسول الله صلى الله عليه و آله،وأن مرضهم هو الضغينه والعداوه للنبى صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام،وسبب قول هاتان الفئتان -بأن المؤمنين مع النبى فى غرور-هو عدم توفر الإيمان فى قلوبهم،والحال أن الأسباب الظاهريه هى فى كفه قريش المشركه.

فالقرآن الكريم يندد ببعض البدريين كما هو واضح وصريح فى الآيه المذكوره، ومع ذلك نرى بعض المسلمين يعتقدون أن كل أهل بدر مغفور لهم حتى لو ارتكبوا ما ارتكبوا،ويروون وينسبون إليه صلى الله عليه و آله أنه قال.الله نظر نظره إلى أهل بدر وقال.اعملوا ما شئتم،فإنى قد عفوت عنكم لعظمه موقف بدر،والسيد الطباطبائى قد عقد بحثاً فى الرد على هذه الروايه لأنها تخالف صريح القرآن الذى ندد ببعض البدريين وغيرها من الآيات.

مفهوم اللعن فى القرآن الكريم

نحن نركز على القرآن فضلاً عن كتب التاريخ والسِّير والمراجع التى يعتمد عليها الفريقان،فالقرآن يعلمنا أن نبش التاريخ ومحاكمه الشخصيات التاريخيه واتخاذ

المواقف منها له فوائد كثيره،وهو بهذا يصرح علانيه شرعيه اللعن المتمثل بالبراءه من الظالم والوقوف مع المظلوم،واللعن ليس مفهوماً شيعياً عصبياً خرافياً اسطورياً ناشئاً من العقد النفسيه كما يصفه البعض،وإنما هو مفهوم قرآنى إسلامى أصيل، وحتى فى العرف القانونى الحديث نجد أن اللعن قد سُمى بتسميات اخرى،مثل الاستنكار والشجب والإدانه والمقاطعه والتحريم والمنع والنفره والإبعاد،وفى مقابلها التضامن والمسانده والتأييد والدعم،وهذا هو التبرى والتولى ولكن بمصطلحات حديثه فى القانون الدوليه الحديث ليس إلا.

ولو رجعنا إلى القرآن الكريم نجده لا يدعو إلى نصره المظلومين والمصلحين الشرفاء فحسب،بل يدعو أيضاً إلى شجب وإدانه واستنكار ولعن الظالمين الذين لوثوا التاريخ البشرى وتعدوا على حق البشريه حتى لو صاروا رفاتاً وتراباً، والاستنكار من صميم الوجدان البشرى ومن فطره الإنسان.

والبعض حتى من المثقفين يستوحشون من اللعن،والمشكله لا تكمن فى حروف اللعن (ل ع ن)،وإنما فى مضمون اللعن ومستحقيه واتخاذ الموقف المضاد للظالمين،ولهذا فاللعن الوارد فى زياره عاشوراء ينطلق من هذا المنطلق،وهو منطق القرآن الكريم.

الأحداث التاريخيه بين المحاكمه والتحليل

ذكرنا سابقاً من أن القرآن هو كتاب رثاء وندبه،واُضيف إليه أيضاً أن القرآن الكريم يدعو إلى اتخاذ المواقف ومحاكمه الأحداث التاريخيه وشخصياتها،ونضيف وجهاً ثانياً.أنه من الضرورات الفقهيه المتسالم عليها بين الفريقين هى إنكار المنكر، ويشمل مفهوم إنكار المنكر إنكار المنكر التاريخى الذى مر عليه زمان طويل،ومن المعروف أن مراتب إنكار المنكر تتحقق فى ثلاث هى.القلب ثم اللسان ثم اليد، وحيث أننا لا نتمكن من إنكار المنكر التاريخى باليد واللسان،إلاأن ذلك لا يمنع

من إنکاره بالقلب،بل بالید واللسان بلحاظ الکتابه والأقوال والحدیث عنه ومقاومه نشره فی أبناء الجیل المعاصر،وإذا رجعنا إلی الأحداث التاریخیه وما جری فیها نری أن لها موضوعاً قائماً،وعلی کل التقادیر،فیجب إنکاره إنکاراً قلبیاً،نحن نقول:

یجب،ولا نقول.یجوز؛لأن اتخاذ المواقف من المنکر التاریخی ممکن بالقلب،بل اللسان والید بلحاظ بیان الصوره الحقیقیه علی واقعها لیتربی الجیل الناشئ علی الصراط القویم،وهذا هو الوجه الثالث.

وإذا أمعنا النظر فی الآیات المبارکه نجد وجهاً رابعاً.أن القرآن الکریم یعاتب ویؤنب ویندد بالیهود المعاصرین للنبی محمد صلی الله علیه و آله بما فعله أجدادهم قبل قرون عدیده؛کما نبه أهل البیت علیهم السلام إلی هذه السنه القرآنیه فی روایاتهم،ولا عجب فی ذلک؛لأن الذی یرضی بعمل قوم یُشرک فیه حتی وإن مرت علیه السنون؛لأنهم متعاطفون مع أجدادهم،والقرآن الکریم لا یخاطبهم مخاطبه المتعاطف مع الظالم، وإنما یخاطبهم مخاطبه الظالم والمرتکب للجریمه،وله شواهد عدیده منها قوله تعالی.(اَلَذِینَ قالُوا إِنَ اللهَ عَهِدَ إِلَیْنا أَلا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتی یَأْتِینا بِقُرْبانٍ تَأْکُلُهُ النارُ قُلْ قَدْ جاءَکُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِی بِالْبَیِناتِ وَ بِالَذِی قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ) (۱)، فمع ملاحظه هذه الآیه الکریمه نجد أنها تصف الیهود بأنهم قتله الأنبیاء،مع أن الیهود المعاصرین للنبی صلی الله علیه و آله لم یقتلوا رسل الله ولکن الله خاطبهم بهذا الخطاب؛لأن هؤلاء من الذین رضوا بفعلهم ولم ینکروا علیهم.

وکذلک قوله تعالی.(وَ إِذْ واعَدْنا مُوسی أَرْبَعِینَ لَیْلَهً ثُمَ اتَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَنْتُمْ ظالِمُونَ) (۲)،وهذه الآیه أیضاً تصفهم بعبده العجل،مع أن الیهود المعاصرین للنبی صلی الله علیه و آله لیسوا هم الذین عبدوا العجل.

۱- (۱) سوره آل عمران.الآیه ۱۸۳.

۲- (۲) سوره البقره.الآیه ۵۱.

ومما تقدم يتبين أنه لا إشكال فى ما ورد فى أخبار تؤكد محاربه الإمام المهدى (عج) أتباع بنى اميه باعتبار أنهم رضوا بقتل الحسين عليه السلام،وهذا ما فعله القرآن الكريم مع بنى إسرائيل المعاصرين للنبى صلى الله عليه و آله وحملهم مسؤوليه ما فعله أسلافهم.

وهناك قاعده مستخلصه من الحديث النبوى الذى رواه الفريقان.«من أحب قوماً حشر معهم»(۱)،فإن الذى يحب اولئك الظلمه فإنه سوف يُحشر معهم،فهل نرضى نحن أن نُحشر مع الظالمين من أمثال قابيل وقارون وفرعون وغيرهم ؟ !

بل إن هناك وجهاً خامساً،وهو الدليل العقلى متسالم عليه،والذى تحكم به الفطره أيضاً،وهو أن يحسن الحسن ويقبح القبيح،فكيف نحارب فطرتنا ونطمسها ؟

الأحداث التاريخيه بين القبول والرفض

قد سجل لنا التاريخ الكثير من علامات الاستفهام التى توجب التوقف،سواء كان فى الماضى أو فى الحاضر،فمثلاً فى مطلع هذا العام الميلادى زار الرئيس اليابانى قبور الجنرالات اليابانيين الذين شاركوا فى الحرب العالميه،فثارت ثائره الصين وكوريا الجنوبيه،وكان اعتراضهم أن ذلك سوف يسترجع الذكريات المؤلمه التى عصفت بالعالم،وأزهقت فيها أرواح الأبرياء،وكل هذا يؤدى إلى نبش التاريخ من جديد، وإعاده تلك الظلامات؛ولذلك فإن الصين تقول.إن هؤلاء الجنرالات قد قاموا بجرائم فى حق الإنسانيه،ويجب اتخاذ موقف سلبى منهم،والبراءه منهم،ومن غير المناسب زياره قبورهم،بل طالب الصينيون والكوريون من الرئيس اليابانى الاعتذار من هذا الفعل الذى يعد مسانده للمجرمين الذين تطاولوا على حق الإنسانيه،وأن هذا

۱- (۱) مستدرک الوسائل.۱۰۸/۱۲،باب تحريم الرضا بالظلم والمعونه للظالم،الحديث۲/۱۳۶۴۸.

الفعل له مردودات سلبيه،فقد يربى الشعب اليابانى على الإجرام،ويرسخ التجاوزات التى يقوم بها المجرمون فى الأجيال القادمه،بل أنه يهدد أمن إقليم شرق آسيا.

إذن،فمراجعه التاريخ سوف يؤثر فى النفوس ويصهرها فى القالب الثقافى الذى يطبعه فيها؛لأن التاريخ هو عباره عن مجموعه من العلوم التى يمكن تطبيقها فى الواقع،بل إن التاريخ أبلغ تأثيراً فى صياغه الأفكار والعواطف للمجتمع البشرى من غيره.

وإذا تساوى عند الإنسان الظلم والعدل،ولم يتخذ المواقف المناسبه منهما،فإن ذلك سيؤدى إلى ظهور الظلم فيه بصوره تلقائيه،وبالتالى سيتحول فاعله إلى ظالم من حيث لا يشعر،ولذلك يرفض الفكر البشرى المعاصر النازيين والفاشيين وتُرفض الإشاده بهتلر وموسيلينى؛لأنهم من النماذج التى جلبت الدمار للعالم،والتضامن مع مثل هذه النماذج السيئه يسبب أزمه فى المجتمع البشرى بتربيه الجيل الحاضر على تلك المناهج الهدامه المدمره الموجبه لتفشى الفساد والعدوان.

ولهذا يركز القرآن على الأحداث والسنن التاريخيه؛لأن باستذكارها تحصل الاستفاده منها فى الكثير من المجالات،كالتاريخ وعلم السيره وتراجم الشخصيات، ولا يمكن القول إن هذا تاريخ قد مضى؛لأنه حى ينبض فى قلب وفكر وثقافه وهويه المجتمع،وهو عقيده وعبره وعظه وقراءه دينيه،وعدم الاعتبار من التاريخ يسبب تكرار الخطأ الذى قام به الأولون؛لأن هويه أى مجتمع هى حصيله تراكمات معجونه من مراحله التاريخيه السابقه،إذن الإنسان الحضارى هو الذى يعتبر من التاريخ ويستفيد منه،فى جو هادئ،وفى جو الحوار العلمى الموضوعى،ومن الجهل والحماقه إغماض العينين عما جرى فى التاريخ،الذى ينتج عنه تكرار الأخطاء، وتكرار الأخطاء قد يعطى انطباعاً عند البعض أنها ليست أخطاء؛لأن الناس يتفاعلون معها بشكل طبيعى ويعتادون عليها ولا ينظرون إلى الجانب السلبى منها.

المحاضره الثانيه:إشكالات حول الشعائر الحسينيه

اشاره

ص:۱۲۹

إشكالات حول إحياء الشعائر الحسينيه

الإشكال الأول.

إذا كانت الشعائر الحسينيه عادات وتقاليداً وتمثل موروثاً بشرياً،ومن المعروف أن العادات والتقاليد قد تتغير أو تلغى بحسب ما يمليه التطور البشرى؛لأن العادات والتقاليد تتأثر بالبيئه وبالحضارات الأخرى،والذين يطرحون هذه الإشكالات يطرحون بعض الشعائر الحسينيه ويربطونها ببعض الطقوس التى كانت تمارسها الأُمم الأُخرى والحضارات الدينيه السابقه أو الحضارات التى لا ترتبط بدين.

الإشكال الثانى.

البعض يرى أن الشعائر الحسينيه تعتبر مجموعات اسطوريه ترسمها وتشكلها وتنتجها وتخلقها المخيله الإنسانيه المثاليه أو النزعه فى الإنسان التى تنزع نحو حب البطل المثالى أو الشخصيه النموذجيه المثاليه التى تجذب الجمهور إليها.

وهم عندما يطرحون هذا الإشكال لا يطرحونه باعتباره أمراً سلبياً محضاً،وإنما يطرحونه باعتباره يحمل بعض الإيجابيات التى يتربى من خلالها الجمهور على سلوكيات مستمده من سلوكيات هذه الشخصيه المثاليه الأُسطوريه ويتعلم منها النبل

والشجاعه والإيثار...الخ.

الإشكال الثالث.

ومن الإشكالات التى تطرحها مدارس علم النفس الحديث،هى ظاهره الحزن والبكاء واللطم وبقيه المظاهر فى الشعائر الحسينيه،حيث تقول إن هذه الشعائر ظاهره سلبيه على المستوى الفكرى والنفسى والاجتماعى؛لأنها تكبت المجتمع، وتسبب العقد النفسيه،وتشل حيويه ونشاط النفس،وتقتل روح الأمل،وتشيع حاله اليأس والقنوط والإحباط فى المجتمع،ولها آثار سلبيه على مستوى الروح ومستوى العقل.

الإشكال الرابع.

نحن لدينا رساله مقدسه وهى نشر الإسلام ونشر مذهب ومعارف أهل البيت عليهم السلام، فإذا كان الخطاب الحسينى يستخدم لغه المنابر،فإن هذه اللغه لغه غير موصله لمعارف أهل البيت عليهم السلام،بل هى لغه مشوهه وغير مقبوله ولا يمكن أن يتفاعل معها الآخرون،بل وأكثر من ذلك إنهم ينفرون منها ويستوحشون،فينبغى البحث عن وسائل ناجحه لنشر الإسلام ومعارف أهل البيت عليهم السلام،وإجراء إصلاحات فى الخطاب الدينى وخطاب مدرسه أهل البيت عليهم السلام.

الإشكال الخامس.

هذه الطقوس تعتبر نوع من العقوبه التى يوقعها الإنسان على نفسه-على نحو التكفير عن الذنب-لأن أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام يشعرون بالتقصير فى نصره الحسين عليه السلام وتخاذلهم فى الوقوف معه؛ولذلك فهم يوقعون بأنفسهم العقوبات البدنيه والنفسيه المتمثله فى إحياء الشعائر الحسينيه،ويستشهدون على ذلك بثوره التوابين بقياده سليمان بن صرد الخزاعى.

الإشكال السادس.

إن الشعائر الحسينيه لا تواكب الزمان ولا تناسب العصر،ولماذا لا يتم تجديد الطقوس،ونبذ الأساليب القديمه ودفنها فى مقابر التاريخ،وقد يطرح بعض أبنائنا هذا الإشكال.

وهناك إشكالات اخرى،ولكننا سنقتصر على هذا المقدار خوفاً من الإطاله.

وإذا دققنا فى هذه الإشكالات والتساؤلات نجد أنها ليست مطروحه على الشعائر الحسينيه فحسب،بل هى مطروحه على عموم الشعائر الدينيه،والآن يناقشها المفكرون فى إطار حوار الحضارات،وفى قضايا العولمه،ولذلك اخترت هذه الإشكالات لتوطئه بحث العولمه،والكلام ليس فى العادات والتقاليد؛لأن العادات والتقاليد آليات،ولكن المهم هو الفكره التى تتضمنها العادات والتقاليد.

العولمه وتباين الثقافات

من أهم ما يعترض مسأله العولمه هى قضيه اختلاف العادات والتقاليد،والهويات القوميه،واختلاف اللغه اللسانيه،واللغه غير اللسانيه المتمثله بالأفعال التى تحمل معانٍ معينه؛لأن الإنسان يحمل العديد من اللغات،وكل تصرف يعمله يعتبر لغةً توصل مفهوماً معيناً.فمثلاً.القيام للشخص الآخر يدل على الاحترام،مع أن القيام فعل وليس كلاماً،واختلاف الأعراف فى المجتمعات المختلفه قد يصل الى حد النقيض،فيكون الفعل حسناً عند امه،بينما يكون هذا الفعل نفسه قبيحاً عند امه اخرى،ولا يمكن تذويب اللغات المختلفه فى لغه واحده،وتذويب الآداب المختلفه فى أدب واحد،وحمل الهويات المختلفه على هويه واحده،وقد واجه هذا الطرح العديد من الاعتراضات من قِبل الأُمم التى تخشى على هويتها وعلى عاداتها وتقاليدها.

ولـذلك فإن طرح العولمه بمفهومها المتعارف يهدد هويتنا الوطنيه والقوميه والدينيه والمذهبيه والفكريه والروحيه؛ولأن لكل امه عاداتها وتقاليدها،بغض النظر عن إيجابيه هذه العادات والتقاليد أو سلبيتها،إلاأنها موجوده عند كل امه من الأُمم، وتعتبر جزءاً من هويتها،ومن المستحيل أن تعيش امه من دون عادات وتقاليد، ولا توجد امه من الأُمم لم تتأثر بأُمم اخرى.

التقليد بين السلب والإيجاب

إذا أردنا التـدقيق فى مسأله التقليـد فمن غير الصـحيح أن نحكم عليه بأنه أمر سـلبى فى كل الأحوال،فكما يكون سـلبياً فى بعض الأحوال،فهو أيضاً إيجابياً فى بعضـها الآخر، بل قـد يكون ضـرورياً ولازماً فى أحوالٍ اخرى،كما فى تقليد أهل التخصـص؛لأنه لا بد من توزيع التخصـصات والمهمات وفق رؤيه علميه صـحيحه بحيث يسـتطيع الإنسان أن يركن إليها؛وذلك لأن الكائن البشرى لا يستطيع أن يكون خبيراً فى كل شىء.

وكلامنا هـذا لا يقتصـر على التقليـد الفقهى،وإنما يعم جميع التخصـصات؛لأن التقليد منهج علمى شـريطه أن يخضع لرؤيه علميه سليمه وموازين صحيحه تعتمد على كفاءه المقلَد فى تخصصه،وأن لا تدخل المحسوبيات فى تقييم الشخصيات المقلَده.

والـذى يرفض التقليد بشـكل تام لا يمكن لنا أن نؤيده؛لأن ذلك سـيؤدى إلى سد الطريق أمام العلم لكى لا يتخذ مجراه بشـكل صحيـح،والقرآن إنما ذم التقليـد الـذى لا يكون مبنياً على العلم،فقال تعالى.(وَ كَذلِكَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ فِى قَرْيَهٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلا قالَ مُتْرَفُوها إِنا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَهٍ وَ إِنا عَلى آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ) (۱).

۱- (۱) سوره الزخرف.الآيه ۲۲.

والنزوع إلى التقليد أمر فطرى،ولهذا نجد أن الإنسان يقلد مئات المرات يومياً، سواء فى اموره الحياتيه أو غيرها،ولا يوجب ذلك أن نستنكر التقليد.

وأخذ الشيعه لبعض الآليات والأساليب من الأُمم الأُخرى للتعبير عن حزنهم على سيد الشهداء وأهل البيت عليهم السلام،لا يعدُ عيباً مادامت تلك الآليه صحيحه وسليمه، وهذا يقع فى سياق التبادل الثقافى والحضارى بين الأُمم.

إذن ليست المشكله فى أن هذه الأساليب الحسينيه مأخوذه من امم اخرى أم أنها مبتكره من أبناء الطائفه،وإنما المناط هو صحه الأُسلوب وعدم صحته،فكون هذا الطقس مأخوذ من الأتراك،أو من الهنود،أو من غيرهم،لا يوجب الطعن فيه؛ولأن الأُمم تتأثر بالأُمم الأُخرى فى أساليبها،ولكن المهم هو أن تبقى المعانى والمثل والقيم والمبادئ وإن اختلفت الأساليب.

فلسفه البكاء والحزن

أما الإشكال القائل بأن الحزن ظاهره هدامه للمجتمع،وتفقده الحيويه والنشاط والهمم،وتسبب له الكبت والتراجع النفسى والفكرى والاجتماعى،إضافه إلى أنها تعتبر عقده تكفير الذنب.

فإن الجواب عنه،خصوصاً إذا كان هذا الإشكال يطرحه بعض أبناء المسلمين من المذاهب الأُخرى فإننا نقول لهم كما قلنا فى المحاضرات السابقه.إن ظاهره الحزن والبكاء ظاهره قرآنيه يحث عليها القرآن،كما بينا فى سوره البروج،وسوره يوسف، وفى قصه قابيل وهابيل،بل إن القرآن الكريم يحث على البكاء،ويمتدح النفس اللوامه كما فى سوره القيامه المباركه،ويذم الفرح،حتى اعتقد البعض أن الفرح مذموم بصوره مطلقه،وإن كان هذا غير صحيح؛لأن القرآن يرفض الفرح فى بعض الحالات كتلك التى تؤدى إلى بطر الإنسان ونسيانه للآخره،فالفرح مذموم ولكن بهذه الصوره وليس بصوره مطلقه،وكذلك قد ذكرنا سابقاً من أن للبكاء دوراً كبيراً فى

تهـذيب النفوس وإصـلاحها،وبالتالى تؤدى إلى تكامل المجتمع وبنائه بناءاً صـحيحاً، إضافه إلى أن وجود المجتمع المتدين يحد من الجريمه نتيجه وجود الحساب الـداخلى والرقابه الذاتيه وتهذيب شـراسه الشـهوات والغرائز،وهذا الأمر يعتمد على التوازن بين الخوف والرجاء فى النفس الإنسانيه.

إذن من الخطأ رفض ظاهره الحزن بشـكل مطلق،بل إننا فى أمس الحاجه لها بالمقـدار المطلوب وبشـكل متوازن،ومن المعروف أن الطائفه الشـيعيه الإثنى عشـريه لـديها محطات أفراح تتمثل فى إحياء مواليـد الأئمه،ونحن نفرح فى هذه المحطات، ويتم تعليق الزينه،ونشر مظاهر السرور فى مقابل الأحزان المتمثله بالبكاء والحزن فى أيام شهاداتهم عليهم السلام.

ولا يخفى على السامع من أن الشـعائر الـدينيه إنما تمثل الإعلام الدينى،وهناك فرق بين الإعلام الدينى وغير الدينى؛لأن الإعلام الدينى هو إعلام مبدئى.

وإننى أدعو أبناءنـا للتخصـص فى المجال الإعلامى؛لأنه يشـهد افتقاراً كبيراً من حيث الطاقه البشـريه،سواء فى مجال الصـحافه أو الأدب أو القصه أو الروايه أو المسرح وغيرها،ولا يخفى عليكم أن الإعلام هو السلطه الرابعه،بل قد يكون هو السلطه الأُولى،التى تقرر الحرب والسلم فى كثير من الأحيان.

وإذا أردنـا أن نلاحظ ما حـدث فى العراق فى ذكرى الأربعين السابقه-بتوفيق من الله،وببركات الأئمه-فى التجمع المليونى الكبير الذى أقل ما يقال عنه أنه يضم ثلاثه إلى خمسه ملايين شخص جاءوا لزياره سيد الشهداء عليه السلام،وقد اجتمعت فيه كل سبل النجاح بالرغم من غياب السـلطه،والدوله،والشـرطه،والكهرباء،والخدمات المدنيه،وقد مرت هذه المناسبه-بحمد الله وفضله-بدون حـادث يُـذكر،أى حوادث قتل،أو سـرقه،أو تـدافع،وقـد تعجبت المحطات الفضائيه من التنظيم العجيب لزوار سـيد الشـهداء عليه السلام،وإلى أنه مع هذا الحشد المليونى ومن دون قوات أمن لغياب الدوله

بعد سقوط طاغيه العراق،ومن دون جهات تموين غذائى حكوميه ولا غيرها من المرافق،مع كل ذلك لم تضبط أيه حادثه ولم ترصد أى إرباك يعكر صفو أجواء هذه المراسم الدينيه العظيمه رغم أن العديد من الفضائيات الأجنبيه،بل العربيه،كانت تتعمد المراقبه بمسح شامل للوقوف على حادثه تشين من معالم هذه المراسم ليطلبوا ويهولوا من حجمها،ولكن يأسوا من ذلك،رغم تغطيه زياره سيد الشهداء والاجتماع فى المدينه الفاضله التى يحلم البشر فى مشاهدتها،فمن هذا الذى يضبط هذا العدد الحاشد من البشر من دون أيه حادثه تذكر،هل انقلب هؤلاء البشر الزوار إلى ملائكه.

إن الكهرباء تنطفئ فى بعض المدن الأمريكيه أو المدن الأوربيه الغربيه لفترات قصيره يسجل خلالها آلاف السرقات والحوادث،فكيف فى كربلاء ثلاثه إلى أربعه أيام لم تسجل أيه حادثه،ومن دون مرافق حكوميه تنظم المرور والحركه وغيرها من الشؤون الخدميه البلديه.هذا الطابع المثالى لمراسم الأربعين حقاً سطر امثوله للبشريه عن مدرسه أهل البيت عليهم السلام.

وهذا هو أحد السبل التى يتم من خلالها نشر الإسلام عن طريق نشر مبادئ وأهداف ثوره سيد الشهداء الحسين بن على عليهما السلام.

إذاً لا بد من التركيز على بناء وسائل الإعلام وتقويتها،أى أن يكون لنا إعلام قوى نستطيع من خلاله إيصال أفكارنا،وكذلك الرد على إشكالات المخالفين بصوره ناجحه ومؤثره.

المحاضره الثالثه:الحسین علیه السلام والخطاب العولمی

اشاره

ص:۱۳۹

الشعائر الحسينيه فى دائره العولمه

إذا أردنا أن ندرس الشعائر الحسينيه دراسه شامله لا بد أن ندرسها فى إطار بحث العولمه؛وذلك بسبب وجود حاله الانفتاح والحوار بين الأُمم،ويمكننا أن ندرس الخطاب الحسينى فى إطار العولمه باعتبار أن الإمام الحسين عليه السلام إمام معصوم،وهو القرآن الناطق.

وإذا أردنا أن نستخلص خطاباً حسينياً عولمياً يعطى حلولاً للبشريه ككل فى شتى المجالات،فلا بد من جعل الكلمات الحسينيه والخطب الحسينيه خطابات عالميه تتضمن الصفه العولميه،والتى تضع الحلول لجميع المشاكل التى يمر بها العالم.

أهداف الشعائر الحسينيه

واستكمالاً للحديث السابق فى الرد على الإشكال الذى يقول.إن الشعائر الحسينيه شعائر تتضمن عقده الذنب،وإيقاع العقوبه على النفس من أجل التكفير عن الذنب، وأنها نتيجه الفشل واليأس والتقهقر والانتكاس الذى يعيشه الشيعه،ومر علينا أنه لا بد أن ندرس الشعائر الحسينيه من حيث المضامين التى تنطوى عليها هذه الشعائر من الفداء والتضحيه والإباء والتغيير الإيجابى ورفض الظلم،وتحشيد الطاقات من أجل

النهوض بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد وعدم الركون للدنيا وزخرفها وزبرجها والثبات والصمود والاستبسال.

إضافه لما للإعلام الحسينى من دور كبير فى توضيح معالم الدين،فالبرغم من أنه ينطوى على الحزن والجزع إلاأنه يضخ فى وجدان الأُمه وفكرها وروحها أرقى حالات الاستعداد والتفاعل،بل إنه يعمل على تعبئه النفوس بمفاهيم التضحيه والفداء،وهذا ما لا يتناسب مع الكسل والخمول والفشل والتراجع واليأس والتقهقر كما يطرحه هذا الإشكال،وحاله تعبئه الأُمه بالحماس،وبحب الوطن حاله متعارفه عند إراده المقاومه والصمود.

زياره الحسين عليه السلام وتحدى الطغاه

لا شك فى أن زياره الحسين عليه السلام من المستحبات المؤكده التى ورد الحث عليها، ولذلك فإننا نلاحظ أن الحسينيين-على مر التاريخ-يتميزون بالتفانى،واسترخاص النفس،وبذل الغالى والنفيس من أجل زياره سيد الشهداء عليه السلام،بل إن هناك العديد من الفقهاء الذين يفتون بجواز زياره الحسين عليه السلام حتى مع وجود المخاطر والظروف الأمنيه الصعبه،إضافه إلى وجود روايات مستفيضه تحث على زياره الحسين عليه السلام، وهنالك العديد من شواهد التاريخ أيضاً على ذلك،ففى روايه يسأل فيها الإمام الصادق عليه السلام أحد أصحابه:

«أتزور الحسين ؟».

فقال.إنى أخاف من عيون السلطان ؟

فقال الصادق عليه السلام:

«ما أجفاكم بالحسين عليه السلام» (1).

وغيرها من الروايات الكثيره التى تؤدى هذا المضمون،فمن أراد الرجوع إلى

١- (١) مستدرك الوسائل.٣٠٧/١٠،باب استحباب التسليم على الحسين عليه السلام،والصلاه عليه،الحديث ٣/١٢٠٦٤،مع اختلاف يسير.

معرفتها يجدها فى كتاب الوسائل فى نهايه كتاب الحج (۱)،كذلك الحث الشديد على زياره سيد الشهداء من قِبل الائمه عليهم السلام فى ظل تشديد الدوله آنذاك على الأئمه عليهم السلام، حتى أن الإمام الهادى والإمام العسكرى قد سجنا فى سجن عسكرى،ومن المعروف أن السجن العسكرى خاضع لمراقبه أكثر صرامه من السجن المدنى؛لأن سامراء تعتبر قاعده عسكريه للجيش،ولو دققنا فى الأمر لوجدنا أن الإمامين العسكريين بالرغم من سجنهما العسكرى فى سامراء،إلاأنهما لم يتركا حث الأصحاب على زياره الحسين عليه السلام وكذلك الإمام موسى الكاظم عليه السلام بالرغم من أنه قد سجن فى سجون مدنيه،مع أنها كانت رديئه ومعاملتهم معه سيئه،إلاأن السجن العسكرى للإمامين العسكريين يدل على توتر الأجواء الأمنيه،واستنفار الدوله العباسيه،وإلا لما سجن هذان الإمامان فى أكبر قاعده عسكريه لأكبر دوله عظمى آنذاك،وهذا يدل على ترقب الدوله العباسيه لظهور الإمام المهدى عليه السلام.

ولم يكتفِ الأئمه عليهم السلام بذلك،بل إنهم حثوا أصحابهم على زياره الحسين عليه السلام بالرغم من صعوبه الموقف،ولهذا فإن التاريخ يحدثنا عن مرض الإمام الهادى فى سامراء،ولم تكن سامراء مدينه كما نراها الآن،بل كانت قاعده عسكريه مدججه بالسلاح والجنود،وقد انتدب الإمام الهادى عليه السلام داود (أبا هاشم الجعفرى)،وهو من كبار تلامذه الإمام،وفقيه من الفقهاء الكبار،والذى كان من نسل جعفر الطيار،وكان من تلامذه الإمام الرضا والإمام الجواد والإمام الهادى عليهم السلام أيضاً،وهذا الشخص بالرغم من مقامه العالى عند الأئمه عليهم السلام وكونه شخصاً عزيزاً لا يفرط به مع ذلك انتدبه الإمام الهادى عليه السلام للدعاء له تحت قبه الحسين عليه السلام،وكان ذلك فى زمن المتوكل المعروف ببغضه للحسين وأهل البيت عليهم السلام،وفتكه بشيعتهم،حتى أنه كان يقطع أيدى زوار الحسين عليه السلام.

۱- (۱) وسائل الشيعه.۴۲۸/۱۴،باب كراهه ترك زياره الحسين عليه السلام،فراجع.

فإرسال الإمام الهادى عليه السلام لأبى هاشم الجعفرى فى هذا الجو الخطر،رغم مقامه العلمى الشامخ،يدل على اهتمام الإمام البالغ بزياره الإمام الحسين عليه السلام،وعندما استغرب أبوهاشم الجعفرى من هذا الطلب من الإمام المعصوم المستجاب الدعوه قال له الإمام الهادى عليه السلام:

«إن لله تبارك و تعالى بقاعا يحب أن يدعى فيها» (۱)،ويعنى بذلك قبر الحسين عليه السلام.

العولمه فى نهج الأنبياء عليهم السلام

إذا نظرنا إلى العولمه بمفهومها العام نجدها تنطوى على معنى التوحيد فى الرؤيه، والتجاره،والقانون،والاتصال،والسياسه،والأمن،والحاكميه،والثقافه، والفكر،وهى مضاد للتفرقه والاختلاف والتمييز.

وقد مرت البشريه فى الأزمنه السابقه بأدوار عديده مع وجود الرسل الذين كانوا يتميزون بوحده الهدف،ويحملون نفس المشروع الإصلاحى الإلهى على الأرض الذى وجد لخدمه الناس وهدايتهم،فكان هذا المشروع بين الرفض والقبول،وقد تكبدت البشريه التى رفضت هذه الرسالات السماويه خسائر فادحه نتيجه عدم الاستجابه للأنبياء،فعانت من التفرقه والتمييز والعنصريه،فما ترفع شعاره الدول اليوم-وإن كانت بنوايا مخالفه لتلك الشعارات-لنشر مشروع العولمه فى أرجاء المعموره قد سبقهم الأنبياء فى ذلك،وإن اختلف فى مضمون المشروع.

۱- (۱) مستدرك الوسائل.۳۴۷/۱۰،باب استحباب الإكثار من الدعاء وطلب الحوائج عند قبرالحسين عليه السلام،الحديث ۳/۱۲۱۵۱.تحف العقول.۳۵۶،ما روى عن الإمام أبى الحسن على بن محمد عليهما السلام-قصار المعانى،بتفاوت يسير.بحار الأنوار.۱۱۴/۹۸، باب ۲۳-الحاير،وفضله،ومقدار ما يؤخذ من التربه،الحديث ۳۴ و.۲۵۷/۹۹، باب ۱۱-الزياره بالنيابه عن الأئمه عليهم السلام،الحديث ۴،ولكن ورد.«إن لله مواطن يحب أن يدعى فيها فيجيب».

إذن الأنبياء يحملون مشروع العولمه الإلهيه لجميع البشر فيضمن لهم السعاده والنظام والعدل.

نزعه البشريه نحو التفرقه والاجتماع

لو نظرنا إلى الإنسان نظره تفحص وتدقيق نجد أن له نزعتان.إحداهما للوحده، والأخرى للاختلاف والتكتل والتحزب والتفرق،ومن مظاهر النزوع للاختلاف نظام الحكم الملكى،والنظام السلطانى،ونظام القبائل،ونظام التميز العرقى المنتشر فى افريقيا،وكذلك فى الحضارات الغربيه فنسمع عن النازيه فى ألمانيا-على سبيل المثال-ودورها فى توظيف العالم لخدمتهم،وكذلك النظام القومى الذى برز فى تركيا،ودور أتاتورك فيها،وإيران والقوميه الفارسيه،ودور شاه ايران فيها، والقوميون العرب وهناك النظام الوطنى،فكل هذه أنظمه وإن كانت تضمن التوحد فى الإطار الضيق المتمثل فى الوطن والعرق والقوميه،ولكنها تمثل تفرقاً على مستوى المجموع البشرى والعالم،فهى توحد من جانب،وتفرق من جانب آخر.وكذلك نرى هذه التفرقه على مستوى الطرح الرأسمالى التى تتجلى فيه التفرقه بين طبقات المجتمع بصوره واضحه.

لو ألقينا نظره على الأُمم المتحده التى بدأت بعد الحرب العالميه الثانيه،نجدها أحد مصاديق الوحده التى تنشدها المجتمعات الحره،ولم تكن هذه تعمل فى ضمن محور واحد،بل كانت تعمل على عده محاور،منها.محور الثقافه والتعليم المتمثل فى اليونيسكو،وعلى محور القضاء المتمثل بمحكمه لاهاى الدوليه،وعلى المحور الاقتصادى المتمثل فى البنك الدولى،وكذلك الوحده فى الأمن المتمثل فى مجلس الأمن والوحده فى القانون مثل الجمعيه العموميه وقوانين الأُمم المتحده العامه وقانون الفيتو.

ولو عدنا إلى ما قبل تأسيس الأُمم المتحده أو عصبه الأُمم نجد أن هنالك تحالفات

سياسيه وعسكريه كانت تمثل حاله التوحد النسبى،أى إنها توحد من جهه ضيقه، وتفرق من جهه اخرى،وهى الجهه التى تمثل التوحد العالمى.

وقد ترقت مظاهر الوحده هذه إلى أن تجسدت فى الأُمم المتحده مع أنها تعترف بأن لكل دوله قانونها الخاص بها.

فالنزوع الى الوحده فى البشريه مطلب بشرى عام يعد نزوع بشرى فطرى نحو المهدويه وإرهاصات الظهور،وسوف يتحقق هذا المطلب فى حكومه عالميه يقودها الإمام المهدى المنتظر الذى سيقيم حكومه عالميه-باتفاق المسلمين،بغض النظر عن بعض الفروقات الجانبيه-تكون فى توحدها أرقى من نظام الأُمم المتحده الذى يتعرض إلى الكثير من الانتقادات من هذه الجهه أو تلك؛وذلك لما تتمتع به حكومه الإمام المهدى عليه السلام بقياده معصومه تستمد نهجها من الخط الإلهى والنظره الإلهيه للكون والإنسان.

مجالات العولمه

لم يقتصر تطبيق نظام العولمه على مجال خاص محدد،بل إن تطبيقها عام وشامل لكل المجالات،فمثلاً.يمكن تطبيقها فى النظام العالمى الواحد المتمثل فى النظام السياسى الذى يحكم العالم،وكذلك النظام العقائدى الذى يوحد العالم فى عقيدته، والبحث عن القواسم المشتركه بين المذاهب يصب فى هذا المجال،باعتبار أن الحوار بين المذاهب مقدمه للحوار بين الأديان،وأيضاً يمكن تطبيقه على الوحده التجاريه والاقتصاديه والماليه،بل أن هناك عولمه جغرافيه وعولمه لغويه تجعل اللغات لغه واحده تسود جميع البشر باعتبارها اللغه الأقوى،وكذلك العولمه فى الإعلام ووحده مشهد الحدث،حيث ينظر الجميع إلى مشهد واحد من خلال وسائل الإعلام،بل وحتى وحده الأزياء والملابس والعادات والتقاليد،إلاأن المستكبرين قد وضعوا جل جهدهم لأجل عولمه الثقافه والسيطره على كل وسائلها،وخصوصاً

الجانب الإعلامی؛لما یتمتع هذا الجانب بالأهمیه القصوی،حیث من خلاله یمکن السیطره علی الجوانب والمجالات الاُخری التی تساعدهم فی فرض السیطره علی العالم؛لأن الإعلام له دور کبیر حتی فی إشعال فتیل الحروب،بل أن له دور فی إحراز الهیمنه العسکریه،لا یقل أهمیه عن الجوانب الاُخری،وکذلک فی کسب الأطراف المؤیده،وفی بیان أحقیه الفئه التی تستخدم هذه الوسائل الإعلامیه فی صالحها؛لأن الإعلام یعتمد علی الفکر،والفکر هو الذی یؤثر فی صنع الرأی العام،بل وفی اتخاذ الموقف العسکری المناسب.

وکذلک للإعلام دور فی السعی لحاکمیه النظام العالمی الموحد،وتذویب الأنظمه الصغیره وجعلها خاضعه إلی النظام العالمی الکبیر.

العولمه فی العصور السابقه

لم تقتصر العولمه علی الأزمنه الحاضره فقط،بل إنها قد طبقت فی الأزمنه السابقه،فعلی الصعید الإسلامی نری أن نهضه سید المرسلین صلی الله علیه و آله وتبلیغه لرساله الإسلام نوع من أنواع العولمه أو عالمیه الإسلام.

وقد عاشت البشریه عده نماذج للعولمه منها دوله الاسکندر أو ذی القرنین،کما یعبر عنه القرآن الکریم،وقد سمی ذو القرنین لأنه حکم المشرق والمغرب،وقد اختلف المفسرون فی أن الاسکندر هو ذو القرنین أم غیره،وقد أسس ذو القرنین عولمه فی جمیع المجالات،وعلی مساحه واسعه من بقاع الأرض،وکذلک فإن النبی سلیمان علیه السلام قد مارس نظام العولمه فی العصور السابقه،حیث ورد فی الروایات عن أهل البیت علیهم السلام أنه لم یملک الدنیا إلاأربعه(۱)،وعد منهم النبی سلیمان الذی ورد

۱- (۱) الخصال.۲۵۵،باب الأربعه،ملک الأرض کلها أربعه.مؤمنان وکافران،الحدیث ۱۳۰.بحار الأنوار.۵۶/۱۱،باب معنی النبوه وعله بعثه الأنبیاء،الحدیث ۵۷.

فی القرآن الکریم.

(وَ شَدَدْنا مُلْکَهُ وَ آتَیْناهُ الْحِکْمَهَ وَ فَصْلَ الْخِطابِ) (۱).

(قالَ رَبِ اغْفِرْ لِی وَ هَبْ لِی مُلْکاً لا یَنْبَغِی لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِی إِنَکَ أَنْتَ الْوَهابُ) (۲).

وإذا عدنا إلی الاُمم المتحده التی تمثل أحد مصادیق العولمه فی الوقت الحاضر، کما ذکرنا ذلک سابقاً،فإننا نجدها قد أغفلت العولمه التی حدثت فی العصور السابقه؛ لأنهم یعتمدون علی العلوم الحدیثه فقط مما یجعل طرحهم ناقصاً.

ونحن نعتقد أن الجانب الوحید من جوانب العولمه الذی یکون قادراً علی التوحید الکامل هو ما کان علی الصعید العقائدی.

الاُمم المتحده ومفهوم العولمه

بدأت المحافل الدولیه فی تناول مفهوم العولمه فی جلساتها بشکل واضح وظاهر للعیان وذلک عندما اقر بأن هذا النظام هو الأفضل علی صعید الأنظمه القائمه فی الوقت الحاضر،حیث أخذت تلک المحافل بوضع تعریف للعولمه،فعلی صعید المنظمه الدولیه-مثلاً-حیث أخذت بتداول هذا المفهوم،ووضعت له تعریفاً خاصاً وذلک فی عام ۱۹۹۵م،وهو.«مزج الاقتصاد والسیاسه ونظم الاجتماع والثقافه والسلوک بإلغاء الحدود الجغرافیه والإجراءات الحکومیه)،ولکن یبقی الکلام فی موافقتنا کمسلمین علی هذا التعریف،وما هو رد فعل مدرسه أهل البیت وکلمات سید الشهداء من هذا التعریف،هذا ما سنتعرض له لاحقاً إن شاء الله.

۱- (۱) سوره ص.الآیه ۲۰.

۲- (۲) سوره ص.الآیه ۳۵.

المحاضره الرابعه:الوحده الثقافيه أولاً

اشاره

ص:۱۴۹

آليه تطبيق العولمه

ذكرنا أن تعريف الأُمم المتحده للعولمه هو.«مزج الاقتصاد والسياسه ونظم الاجتماع والثقافه والسلوك».

ولغرض تطبيق هذا التعريف على أرض الواقع فإنه يحتاج إلى آليه لذلك،وقد ذكروا إن الآليه التى تؤدى إلى تطبيق هذه العولمه هى (إلغاء الحدود،وتفكيك الحلقات الوطنيه)،والمقصود بالحلقات.الحلقه الأمنيه،والحلقه الثقافيه،والحلقه السياسيه،والحلقه الاقتصاديه.إذن العولمه تزيل الحدود،وتذيب الحاجز القائم بين قوميات الأُمم المختلفه.

العولمه فى الغرب بين النظريه والتطبيق

إذا أردنا دراسه العولمه فتاره تكون على صعيد النظريه،وأُخرى على صعيد التطبيق.

فأما على صعيد النظريه.فإن التنظير للعولمه قائم على قدم وساق بمطارحات متجاذبه ومتدافعه،ولكن يبقى الإشكال فى مجال التطبيق لهذا التنظير،وقد ضرب المفكرون الغربيون مثالاً على مسأله تطبيق العولمه على أرض الواقع،وهو الاتحاد الفيدرالى القائم فى الولايات المتحده،الذى يضم ما يقارب من خمسين ولايه،قائم على

وحده سياسيه وأمنيه،وكذلك الاتحاد الأوروبى الذى يشكل وحده قائمه على الوحده الاقتصاديه،وإن كان البعض يرى أن الوحده القائمه فى اوروبا ليست قائمه على أساس اقتصادى،وإنما على أساس دينى مسيحى،ولذلك رفض الاتحاد انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبى باعتبار أنها بلد مسلم.

ولو دققنا أكثر فى هذا الموضوع نجد أن العولمه فى مجال التطبيق عند الأوربيين لم تصل إلى حاله التكامل الواقعى،ولهذا ذهب البعض من منظرى العولمه عند الغربيين إلى القول بإمكان تأسيس وحده متكامله قائمه على أساس أمنى أو اقتصادى،وإن كانت الأمم المتحده قد تشكل البذره الأولى فى تكوين الوحده فى النظام السياسى والأمنى،إلاأن ذلك لا يمنع من إقامه نظام أكثر تكاملاً وأوسع شمولاً،ولذا فقد حاول البعض إقامه نظام عالمى موحد باعتبار أن الأمم المتحده لا تمثل نظاماً عالمياً موحداً، وكذلك الإشكالات التى ترد على هذه المنظمه الدوليه.

أما الوحده الاقتصاديه،حيث تمثل منظمه الجات الاقتصاديه نموذجاً لهذه الوحده،والبعض يرى أن الوحده الأساس فى كل شىء إنما هى الوحده الثقافيه؛إذ لا يمكن لجميع الوحدات أن تتحقق إلاإذا تحققت الوحده الثقافيه؛وذلك لأن التوحد يحتاج إلى قانون،والقانون يندرج تحت مظله الثقافه.

إذا نظرنا إلى السلطات فى الدوله الحديثه نجدها تتكون من.السلطه القضائيه، والسلطه التشريعيه،والسلطه التنفيذيه،وهذه جميعها داخله سواء فى بناء القانون أو تنفيذه،والقانون ملف ثقافى وليس ملفاً اقتصادياً ولا سياسياً،ولهذا فإن الفكر هو الذى يتحكم فى شؤون الإنسان وفى غرائزه وميوله،وهذا ما ينطبق على المجتمع حيث يستطيع الفكر أن يوحده أو يجعل الفرقه هى السائده فيه،ولذلك يرى المفكرون أن الوحده الموجوده عند المجتمع الإسلامى رغم كل المعوقات والمصاعب ورغم التمزق السياسى والأمنى والاقتصادى إنما هى وحده ثقافيه،

حيث أن هـذه الوحـده تعتبر وحـده قويه جـداً تسـتطيع أن تجمع المسـلمين فى مشـارق الأـرض ومغاربها لأنها قائمه على أساس فكرى.

ولـذا فإن فلسـفه القانون،وعلم النفس،وعلم الاجتماع،والبحث العقلى الفلسـفى جميعها تؤكد أن الوحده الثقافيه-بالمعنى الشامل للثقـافه،الـذى يضـم العقائـد والأخلاـق والآـداب والقـانون-هى الوحـده الـتى تـؤثر على الجـانب السياسـى والأـمنى والعسـكرى والاقتصادى باعتبار أن كل هذه الجوانب تتأثر بالثقافه،لا سيما بالجانب القانونى من الثقافه.

بـل إن هـذه الجوانب لاـ يمكن لهـا أن تتحقق إلاـبتحقق الجـانب الثقـافى،وإذا تحققت بـالقوه والضـغط فإنهـا سـرعان ما تتبـدل وتزول،ولـذلك نرى-مثلاً-الإرهاب العسـكرى قـد يقهر الجانب الضـعيف،إلاأنه لا يبقى بل يزول بمجرد زوال القوه العسـكريه، وكـذلك فى الجانب الاقتصادى وما يعصف بالمجتمعات من الأزمات الماليه وغيرها، حيث تفرض بعض الـدول الـدائنه شـروطاً تعجيزيه على هـذه الـدول،وهذا ما نراه متمثلاً فى الشـروط التى يمليها صـندوق النقد الدولى،حيث نرى أن الدول التى تمر بهذه الأزمات قد تسـتجيب إلى هذه الضـغوط طمعاً فى المال أو خوفاً من الأزمات الماليه،ولكن هذه الأُمور لا تتحرك فى دائره قناعه تلك الدوله بل تتحرك بتلك الشروط التى أملاها صندوق النقد الدولى.

مفهوم الطاعه عند أهل البيت عليهم السلام

إذا أردنا معرفه مفهوم الطاعه فلا بـد من الرجوع إلى تراث أهل البيت عليهم السـلام،حيث نرى أن الطاعه لها عده أنحاء،فتاره قد تكون ناتجه عن الحب،وأُخرى عن الطمع،وثالثه عن الخوف،والطاعه التى تبنى على الحب والاقتناع هى الطاعه المثاليه والعليا،أما الطاعه التى تنتج عن الطمع فهى غير مضمونه،شأنها شأن الطاعه المبنيه على الخوف.

وما ذكرناه يمكن تطبيقه على تعامل العبد مع باقى الناس ولكن إذا أردنا أن نتكلم عن طاعه العبد لربه فالكلام مختلف؛لأنه يتحدث عن علاقه الحبيب مع حبيبه،حيث يقول الإمام على عليه السلام:

«ما عبدتك خوفا من عقابك ،و لا طمعا فى ثوابك،و لكن وجدتك أهلا للعباده فعبدتك»(۱)،وعباره.«وجدتك أهلاً للعباده فعبدتك»تدل على الحب والاقتناع المبنى على الفكر والعلم والوجدان.

وهذا ما نراه فى دعاء كميل:«صبرت على عذابك فكيف أصبر على فراقك ؟ و هبنى صبرت على حر نارك ،فكيف أصبر عن النظر إلى كرامتك ؟ أم كيف أسكن فى النار و رجائى عفوك ؟»(۲)،فالخوف من انقطاع العلاقه مع الله أشد عندهم.من نار جهنم.

وهذا ما يرسمه لنا الإمام زين العابدين عند خروجه فى منتصف الليالى فيسأله البعض عن سبب خروجه فى مثل هذا الوقت المتأخر،فقيل له.إلى أين يا بن رسول الله صلى الله عليه و آله ؟ فقال:

«إلى مسجد جدى رسول الله صلى الله عليه و آله أخطب الحور العين إلى الله عز و جل » (۳).وكان يعنى بذلك التهجد وطاعه الله.

وأهل البيت عليهم السلام عند بيانهم للطاعه المبنيه على الحب ليسوا بصدد نكران الطاعه

۱- (۱) بحار الأنوار.۱۸۶/۶۷،الباب ۵۳-النيه وشرائطها ومراتبها وكمالها،الحديث ۱،و.۲۳۴،الباب ۵۴-الإخلاص ومعنى قربه تعالى،الحديث ۶.عوالى اللآلى.۴۰۴/۱،الباب الأول-المسلك الثالث.فى أحاديث رواها الشيخ محمد بن مكى فى بعض مصنفاته،بتفاوت يسير،الحديث ۶۳.

۲- (۲) مصباح المتهجد/الطوسى.۸۴۷،۲۵/۹۱۰،دعاء آخر وهو دعاء الخضر عليه السلام،دعاء أميرالمؤمنين عليه السلام فى ليله النصف من شعبان.

۳- (۳) راجع الكافى.۵۳۰/۶،باب الغاليه،الحديث ۳.وسائل الشيعه.۲۲۸/۵،باب استحباب التطيب ولبس الثياب الفاخره عند التوجه إلى المسجد،الحديث ۱/۶۴۰۷.بحار الأنوار.۵،۵۹/۴۶-باب مكارم أخلاقه وعلمه عليه السلام،الحديث ۱۳.

المبنيه على الخوف من الله أو التقليل من شأن الاشتياق إلى الجنه،وإنما كانوا بصـدد بيان درجات الطاعه،وأن جميع هـذه الأنواع من العبادات هى عبادات منجيه،وأنه لا بد للنفس البشريه أن تحفز على جاذبيه الجنه ونورانيتها ولطافتها الأثيريه المتلألئه وبهجتها وبهائها وسنائها ونعيمها،كما لا بد من الخوف من النار وعقاربها وزفيرها وشهيقها أن يكون له نصيبه.

إذن فجهه الحب،وجهه الخوف،وجهه الطمع كـل هـذه الجهات مطلوبه للإنسان فى هـذا الأمر،وإن كان بينها تفاوت؛لأن الإنسان له ثلاثه أبعاد،فالفكر يسبح فى عالم المعانى،ولا يناسبه جمال البـدن كما لا يناسبه لسع النار،فلا بد أن يكون الداعى للفكر فى عبادته هو الحب الإلهى وجماله،وأما البعد السبعى الغضبى فى الإنسان، فهذا لا يناسبه إلاالتخويف من النار لكى نستطيع ترويض هذا الجانب،وأما غريزه حب التملك وجانب الشهوه الموجود عند الإنسان،فلا يناسبها إلاالتشويق بالجنه.

وعلى هـذا فإن تعبير أهل البيت عن الـذين يعبدون الله خوفاً بأنها عباده العبيد إنما يريدون بها أن لا يقتصـر الإنسان فى عبادته لله على دافع الخوف ويترك جـانب الطمع والحب؛لأن هـذه أدنى مراتب العباده،إذن فأهل البيت ليسوا فى مقام ذم العباده خوفاً من النـار،وإنما كانوا بصـدد بيان أن هناك مرتبه تفوق هـذه المراتب،ولـذلك نرى الكثير من النصوص الشـرعيه ومن آيات القرآن الكريم وفى أدعيه أهل البيت عليهم السلام تحتوى على كلمات مؤثره فى التخويف من النار.

فأهل البيت عليهم السلام فى بيانهم لمراتب الطاعه إنما أرادوا فتح الأُفق أمام الإنسان لكى يطلع على أنواع العباده الراقيه ويطبقها جميعـاً فى حيـاته،ومـا قلناه فى عباده العبيـد خوفاً من النار ينطبق أيضاً على عباده التجار والطمع فى الجنه،ولكن الأعلى مرتبه هو الـذى لاـ تكون عبادته شوقاً إلى الجنه ولا خوفاً من النار وإنما للوله والحب الإلهى الـذى يمثل عباده الأحرار،فتتكامل عبادته فى جوانبها الثلاثه.

ص:١٥٥

المعرفه والاقتناع ودورهما فى الطاعه والاتباع

ذكرنا سابقاً إن النظام العالمى الموحد لا يستطيع أن يفرض نفسه بالقوه العسكريه والأساطيل والجيوش،ولا يستطيع أن يفرض نفسه عن طريق الضغط بالقوه الاقتصاديه وبشروط بنك النقد الدولى؛لأن الطرف المقابل مهما وصلت به الحاله من الخضوع والخنوع إلاأن فيه قوه الحياه والحريه،ولهذا فإنه سيتمرد بمجرد انتهاء هذه القوه؛لأنه لا ينطلق مع تلك الضغوط من قناعات،وإنما انطلاقه كان بسبب الظروف التى مرت به.

وكشاهد على ما نقول فإن الرئيس الأمريكى-ولعله بوش الأب-عندما انتهت الحرب البعثيه ضد الجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه،والتى دامت ثمان سنوات-قال حينها.«لقد أخطأنا فى حربنا هذه؛لأنه بالعمل العسكرى زاد عدونا قوه،وأنفقنا الكثير،واستهلكت طاقاتنا،ولم نصل إلى النتائج المرجوه»،وكان يطرح فى خطابه السنوى بديلاً عن الحرب فقال.«سوف ندخل لهم عن طريق الثقافه،وتغيير الفكر الثقافى،وهى وسيله أقل تكلفه،وأسلم وأنجع وأنفع وأجدى وأكثر تأثيراً».

وهذا ما يؤكد أن الثقافه هى المقدمه على الجوانب العسكريه والأمنيه والاقتصاديه والماليه.إذن فالجانب الثقافى هو أهم الجوانب قاطبه؛لأنه مرتبط بالفكر،فالفكر هو الذى يؤسس ويغير،ونحن نمتلك الفكر،إلاأننا نفتقد وسائل الإعلام التى تنشر هذا الفكر،أما أعدائنا فيمتلكون الإعلام ويفتقدون الفكر القوى.

ومن هنا نحن نؤكد على الإعلام الذى هو أداه فتاكه حيث نفتقدها ويتمتع بها عدونا،وهو أهم وسيله آليه فى العولمه،هو آليه تطبيقيه تنجز الوحده الثقافيه،ولهذا يمكن أن يقال إن السلاح الثقافى اليوم هو الإعلام.

فالمفكرون الغربيون رغم أنهم يمتلكون آله إعلاميه فتاكه إلاأن فكرهم معرض للاختراق،ولا يستطيع الصمود أمام الفكر الإسلامى،وفى المقابل فإن الفكر

الإسلامی رغم أنه یفتقد الوسائل الإعلامیه المناسبه لمقابله العدو إلاأنه یتمتع بقوه وقدره علی معالجه المشاکل الاجتماعیه والثقافیه والفکریه والاقتصادیه،والخوض فی شتی الجوانب والمجالات.

الثقافه بین الغزو والحوار

إذا نظرنا إلی الجانب التطبیقی للعولمه فی المجال الثقافی،فإننا لا نری أن هنالک حوار بین الأُمم فی هذا الجانب،بل الموجود هو الغزو الثقافی،والإمام الحسین علیه السلام حینما حاول فتح حوار مع أعداءه أراد أن یبین أن الحوار هو أفضل وسیله لحل المشاکل،إلاأن أعدائه کانوا یغلقون هذا الباب ویفتحون باب الحرب والسهام والسیوف؛لأنهم یعرفون أنهم لن یصمدوا أمام حوار الحسین علیه السلام،وکما قال الشاعر فی هذا الموقف:

لم أنسه إذ قام فیهم خاطباًفإذا همُ لا یملکون خطابا

یدعو ألستُ أنا ابن بنت نبیکمولاذکم إن صرف دهرٍ نابا

هل جئتُ فی دین النبی ببدعهٍ أم کنت فی أحکامهِ مرتابا

فغدوا حیاری لا یرونَ لوعظهِ إلا الأسنهَ والسهام جوابا

وهذا هو دیدن الأئمه،فالإمام علی فی صفین وفی باقی حروبه لم یبدأ بالحرب، بل إن الحرب بدأها الطرف المعادی له علیه السلام،وکان یقول علیه السلام:

«لا یبدأن أحد منکم بقتال حتی آمرکم»(۱) ،وکانت جمیع الحروب فی زمانه علیه السلام حروب مفروضه علیه؛

۱- (۱) بحار الأنوار.۱۸۶/۳۲،الباب الثالث.باب ورود البصره ووقعه الجمل،وما وقع فیها من الاحتجاج،الحدیث ۱۳۶.وقوله علیه السلام لمالک الأشتر:«إِیاکَ أَنْ تَبْدَأَ الْقَوْمَ بِقتالٍ إِلَا أَنْ یَبْدَؤُکَ»-بحار الأنوار.۴۱۴/۳۲،الباب الثانی.باب جمل ما وقع فی صفین،الحدیث ۳۷۴.تاریخ الطبری.ل لا ۲۷۱/۴،ما أمر به علی بن أبی طالب من عمل الجسر علی الفرات.ووردت أیضاً:«أَکْرَهُ أَنْ أَبْدَأَهُمْ بِالْقِتالِ»من الإمام الحسین علیه السلام فی طف کربلاء-راجع مستدرک الوسائل.۸۰/۱۱،باب استحباب إمساک أهل الحق عن الحرب حتی یبدأهم به أهل البغی،الحدیث ۱/۱۲۴۷۱.

لأن الطرف المعادى لا يمتلك قوه الحوار والاقناع العلمى.

إن ما يوجد الآن ليس حواراً،بل هو صراع ونزاع؛لأن الحوار يعتمد على طرح الآراء من الطرفين بالتساوى والتوازى والإنصاف،لا أن يفرض الطرف الآخر رأيه عليك يهرج ويشوه الحقائق ويزيف الواقعيه باعتبار أنه الطرف القوى وأنت الطرف الضعيف،وهذا يسمى الغزو الثقافى باعتبار أن الإسلاميين،الذين يمثلون الجانب الضعيف فى هذه المعادله،لا يمتلكون الآليات الإعلاميه الكافيه لبيان آراءهم.

وهناك اعتراض على طرح العولمه الذى يسمح لأمريكا أن تفرض آراءها على الآخرين حتى من قِبل الدول الأُوروبيه التى تخشى الغزو الثقافى الأمريكى؛وذلك لعدم وجود قناعات وآليات متساويه بين الأطراف،وكذلك تفتقد هذه العولمه إلى العداله والمساواه بين الأطراف.

ومن المعروف أن اليهود يمتلكون الكثير من النفوذ فى أمريكا،ولهم اليد الطولى فى قضيه العولمه،ولهم أهداف ومآرب.

ومن آثار هذه العولمه هو نشر جنون الجنس وجنون الإثاره والهستيريا الجنسيه وليس الجنس هو السلاح الوحيد الذى يمتلكونه،بل أن هناك وسائل وأسلحه اخرى يقومون باستخدامها،خصوصاً ضد المجتمعات الإسلاميه،ولهذا فإن الآباء والأُمهات والإخوان والأخوات مدعوون لمواجهه هذه الهجمه الشرسه فى ظل غياب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

المحاضره الخامسه:الإسلام يعترف بالشعوب والقبائل ولكن لا يجعلها أساساً للمفاضله

اشاره

ص:۱۵۹

الإمام الحسين عليه السلام وخطاب العولمه

من ضمن خطابات سيد الشهداء عليه السلام،والتى سندرسها فى ظل خطاب العولمه قوله عليه السلام:

«فلعمرى ما الإمام إلاالعامل بالكتاب و الآخذ بالقسط،و الدائن بالحق ،والحابس نفسه على ذات الله» (۱)،والإمام هو تعبير عن رئاسه البشريه المنصبه من قِبل الله تعالى.

وقال عليه السلام:

«و أنا أدعوكم إلى كتاب الله و سنه نبيه ،فإن السنه قد اميتت ،و إن البدعه قد احييت» (۲).

وقال عليه السلام:

«إنا أهل بيت النبوه ،و معدن الرساله ،و مختلف الملائكه ،بنا فتح الله ، وبنا ختم الله ،و يزيد رجل فاسق ،شارب الخمر،قاتل النفس المحرمه ،معلن بالفسق ،و مثلى لا يبايع مثله» (۳).

۱- (۱) تاريخ الطبرى.۵۶۱/۴،ذكر الخبر عن مراسله الكوفيين الحسين عليه السلام.مثير الأحزان/ابن نما الحلى.۱۶،المقصد الأول.

۲- (۲) تاريخ الطبرى.۵۶۴/۴،يزيد يضم المصرين إلى ابن زياد.البدايه والنهايه/ابن الأثير.۱۷۰/۸،قصه الحسين بن على،وسبب خروجه من مكه فى طلب الإماره،وكيفيه مقتله.

۳- (۳) بحار الأنوار.۳۲۵/۴، الباب ۳۷-باب ما جرى عليه بعد بيعه الناس ليزيد إلى شهادته،الحديث ۲.اللهوف فى قتلى الطفوف.۱۷،أخذ بيعه الحسين عليه السلام ليزيد.

فالإمام الحسين عليه السلام يؤسس محاور النظام الاجتماعى والسياسى للمسلمين وللبشريه،حيث يقوم هذا النظام على كتاب الله وسنه نبيه صلى الله عليه و آله والعدل والقسط و...، وهو متمسك بهذه المبادئ فى صراعه مع بنى اميه.وسنرى أن هذه الأُسس لا بد منها فى إرساء الوحده البشريه والسلم والأمن المنشود.

منابع الوحده والتفرقه عند الإنسان

لا شك أن غريزه التفرقه عند الإنسان إنما تتمثل بالقوه الغضبيه،والقوه الشهويه، وحب التملك،والانتماء إلى العائله والقبيله والقوميات والأعراق،وهذا الانتماء يحث الإنسان على التفرقه والنظر بعين مختلفه إلى الآخر،وهناك أيضاً منابع لغريزه الوحده والتوحد مع الآخرين عند الإنسان المتمثله بروح الإنسان،فلا يمكن تمييز روح عن روح،ولا يمكن وصف الروح بأنها فى ذاتها روح عربيه أو أعجميه،سوداء أو بيضاء،شرقيه أو غربيه،شماليه أو جنوبيه،روح أفريقيه أو آسيويه،وهذه الوحده الروحيه تشمل الذكر والأُنثى،فكلها روح إنسان.

إذن التفرقه من الأرض،ومن الطين،ومن الجغرافيا،ومن الإنسان نفسه الذى يكبل نفسه بأنواع من القيود والتفرقات،وأما النزوع نحو التوحد والوحده فهو كامن فى أصل خلق الروح الواحده التى خلقها الله تعالى فى النوع البشرى.

نزعات الإنسان فى القرآن الكريم

قال تعالى.(فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطانُ عَنْها فَأَخْرَجَهُما مِما كانا فِيهِ وَ قُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌ وَ لَكُمْ فِى الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌ وَ مَتاعٌ إِلى حِينٍ) (1).

وقال تعالى.(قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْها جَمِيعاً فَإِما يَأْتِيَنَكُمْ مِنِى هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُداىَ

۱- (۱) سوره البقره.الآيه ۳۶.

فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ) (۱).

فالقرآن الكريم يشير إلى أن الإنسان فى داخله يحمل نزعتين.النزعه الأُولى تتمثل فى نزعه العداوه المصاحبه للهبوط إلى الأرض،وقال المفسرون.إن العداوه مترتبه على التعب والنصب والكدح التى تحتاج إليها الحياه الدنيا،فيحتاج الإنسان إلى القوه الغضبيه لكى يحمى نفسه،ويحتاج إلى القوه الشهويه لكى يأكل ويشرب وينكح ويتكاثر.

وهذه القوى عندما تنظم تخدم الإنسان،ولكن عندما تنفلت فإنها تسبب الكوارث،والحروب،والاعتداءات،وانتهاك الأعراض،وسفك الدماء،والفساد فى الأرض،وغصب الأموال،ونشر الظلم.

والنزعه الثانيه هى قابليه الإنسان للرقى والتكامل،والتنزه عن الانحطاط،وتقبل الهدايه الإلهيه،ولهذا فالآيه الكريمه تشير إلى أن هدى الله هو الضمان وصمام الآمان للإنسان لكى يحافظ على السلام والحب والعدل وخدمه البشر،والاستقرار النفسى والروحى والسيطره على الغرائز والشهوات.

فالدين الإسلامى لا يتنكر لنزعات التفرقه،ولا يدعو إلى هدمها،بل يعتبرها من حكمه الله،ولكنه يحاول ترشيدها وتهذيبها ويحذر من الإفراط فيها،أو التمادى؛ لأنه قد يسبب الحروب والكوارث والظلم،وهذا ما جعل الملائكه فى مقام الاعتراض على استخلاف الإنسان،فقد قال تعالى.(وَ إِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَهِ إِنِى جاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَهً قالُوا أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَ يَسْفِكُ الدِماءَ وَ نَحْنُ نُسَبِحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِسُ لَكَ قالَ إِنِى أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ) (۲).

۱- (۱) () سوره البقره.الآيه ۳۸.

۲- (۲) سوره البقره.الآيه ۳۰.

الوطنيه والقوميه فى نظر الإسلام

قد يطرح سؤال فى البين هو.هل أن الإسلام يعترف بالقوميه والوطنيه والعنصر والهويه أم أنه ينفيها تماماً ؟

فآيات القرآن الكريم،وكذلك الأحاديث الشريفه،نجدها لا تنكر ولا تنفى ولا تدعو إلى إزاله الهويات والانتماء إلى الوطن أو العرق أو القوم.

ونحن نعتقد بخطأ الرأى القائل.إن الإسلام لا يعترف بالمواطنه والقوميه والهويه التى يتصف بها الإنسان،بل أنه لا بد من بحث المسأله بين جانبى الإفراط والتفريط.

فذهب البعض إلى الإفراط فى هذه المسأله،بينما ذهب البعض الآخر إلى التفريط فيها،إذن فالإسلام موقفه واضح وتبينه آيات سوره البقره التى توازن بين الإفراط والتفريط فى هذه المسأله.فالإسلام يعترف بالمواطنه والهويه القوميه والعرقيه، ولكنه يوازنها مع الوحده المتمثل فى الجانب الروحى الذى يتحرك فى أجواء الهدايه التى تطرحها الآيات المذكوره،والتقوى التى هى أساس التفاضل.وأما القوميات والوطنيات والعنصريات والأعراق المختلفه إنما هى آليات للمعيشه وليست اسساً للتقييم،فلا يمكن تقييم الإنسان وتفضيله بموطنه أو قوميته أو عنصره أو عرقه.

التمايز القبلى فى القرآن وحكمته

لا شك أن القرآن الكريم يعترف بالتمايز القبلى بين الناس،حيث أن التصريح فى آياته بهذا التمايز يدل على عدم رفضه،كما فى قوله تعالى.(يا أَيُهَا الناسُ إِنا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثى وَ جَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ إِنَ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (١).

١- (١) سوره الحجرات.الآيه ١٣.

ولبيان الأمر جلياً نرى أن فى هذه الآيه عده ملاحظات.

الملاحظه الأُولى:هى أنها خاطبت الناس جميعاً.

والملاحظه الثانيه:أنها ساوت بين جميع البشر من خلال رجوعهم جميعاً إلى آدم وحواء،فالمصدر واحد ولا تفاضل بين هذا وذاك.

والملاحظه الثالثه:أن الآيه قالت.(شُعُوباً) وهى جمع شعب،إذن الآيه تعترف بتعدد الشعوب،وكذلك (قَبائِلَ) فهو اعتراف واضح بتعدد القبائل،بل أن هناك آيات اخرى تؤكد تعدد الأوطان،وتعدد فى الأنساب،كما فى قوله تعالى:

(اُدْعُوهُمْ لِآبائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ) (١).

وبعد أن اعترفت الآيه بكل هذه النزعات التى تميز البشر ذكرت أن الحكمه من خلق الإنسان فى مجموعات تمثلها الشعوب والقبائل،هو.(لِتَعارَفُوا) ،حيث ذهب بعض المفسرين إلى بيان معنى التعارف،وهو المعرفه الشخصيه،أى يعرف كل منا صاحبه،فلو كان كل البشر بنفس اللون ونفس القالب ونفس الشكل فسيستحيل معه النظام الاجتماعى،ويزول الأمن البشرى،ويختل النظام الاجتماعى فلا تعرف حينها مع من تعاملت،وإلى مَن أحسنت،وإلى من أسئت،وممن تزوجت،وممن اشتريت،وممن بعت...الخ.

وذهب البعض الآخر من المفسرين إلى أن التعارف بمعنى التبادل،أى يتبادل بعضكم بعضاً الخبرات والتجارب،وهذه هى العولمه،فالقرآن الكريم بحث موضوع العولمه المبنيه على الحوار وتبادل الاستفاده بين جميع الشعوب والقبائل.

وللأسف الكبير فإن الكثير من الشباب الجامعيين والمثقفين يسمعون بأبحاث الغرب الجديده واكتشافاتهم،ويدعون أن الدين لم يصل إلى هذه المرحله من التطور

١- (١) سوره الأحزاب.الآيه ٥.

- نظراً لعدم اطلاعهم الكافى-فيصيبهم الإحباط والتراجع عن الفكر الدينى والانبهار بالغرب وما يطرحه من أفكار.

ولكن على هؤلاء الشباب أن يعرفوا المصطلحات اللغويه الحديثه وما يرادفها من مصطلحات فى القرآن وألفاظ الشريعه،حيث نجد أن الكثير من المصطلحات الحديثه كانت موجوده فى القرآن الكريم ولكن بألفاظ مرادفه لها،والشواهد على ذلك كثيره.

إذن فهناك جوانب ثابته وجوانب متغيره فى الإنسان،فالبيئه والوطن والعرق جوانب متغيره،أما جانب الروح وكمالات الروح والأُمور التى تصلح الروح وتفسدها والقيم الأخلاقيه هذه امور ثابته وليست متغيره.

فغريزه الأكل والشرب والغضب والشهوه والعقل كل هذه الأُمور ثابته فى كل زمان ومكان.نعم،قد تتغير المصطلحات والألفاظ ولكن المعانى هى هى لم تتغير،ولهذا فهناك معالجات عديده يطرحها القرآن الكريم ولكن بلغته وبمصطلحاته.

كما ذكرنا فى المحاضرات السابقه-على سبيل المثال-مصطلح اللعن ومرادفاته الحديثه المتمثله فى الشجب والاستنكار والرفض والبراءه من الطرف الظالم.

دعوه أهل الاختصاص لخدمه الدين

فى بدايه الأمر نوجه عتبنا على النخب المتخصصه؛لأنه بإمكانهم المساهمه فى خدمه الدين من خلال تخصصاتهم المختلفه،فالأطباء مدعوون لبحث الطب الدينى، وكذلك علماء النفس،فهم مدعوون إلى الاطلاع على التراث الدينى وأحاديث أهل البيت عليهم السلام فى معالجه المشاكل النفسيه،والاقتصاديون مدعوون إلى الاطلاع على توصيات الدين فى الجانب الاقتصادى؛لأنهم بذلك يستطيعون خدمه الفقهاء فى مجال تخصصهم،وهكذا بالنسبه للسياسيين والإداريين مدعوون لدراسه عهد الإمام

على عليه السلام لمالك الأشتر،إذ نلاحظ أن كوفى عنان الأمين العام للُامم المتحده،ذلك المسيحى الذى لا صله له بعلى عليه السلام لا فى اللغه ولا فى القوم ولا فى الدين،قد طالب بأن تكون مقوله الإمام على عليه السلام لمالك الأشتر:

«الناس إما أخ لك فى الدين،و إما نظير لك فى الخلق» (۱)شعار لجميع المنظمات الحقوقيه فى العالم،وطالب أن تصوت دول العالم على أن يكون عهد على عليه السلام لمالك الأشتر مصدراً من مصادر الُامم المتحده،وفعلاً صوتوا على ذلك،فأين نحن من هذا التراث وماذا قدمنا له ؟ وقد ذكرت بعض التقارير الصادره من بعض مكاتب منظمه الُامم المتحده أن المنظمه تعتمد على تراث الإمام على عليه السلام فى بعض تشريعاتها،ونحن مطالبون بإقامه مؤتمر أو حفل لتعظيم هذا الحدث الذى يعد بيعه غدير عالميه جديده.

ولذا فنحن نرجو من الاخوه الأعزاء من الأساتذه والمثقفين أن يسعوا إلى تحقيق أعلى مراتب العلم والوصول إلى النجوميه العلميه فى كل المجالات لكى نرسم صوره مشرفه لديننا ومذهبنا ووطننا.

المناط الحقيقى لتقييم الإنسان

لو نظرنا إلى مكونات الإنسان نجد أنه يتكون من البدن الذى يمثل الجانب المادى، والروح التى تمثل الجانب المجرد،وبطبيعه الحال فإن المجرد أشرف من المادى، ولا يمكن تقييم الإنسان ببدنه وعنصره المادى؛لأن جوهر الإنسان هو فى روحه، فيكون تقييم الإنسان بما تحصل عليه الروح من الكمالات والرقى،وكذلك قيمه الإنسان فى تقواه،كما أشارت الآيه الكريمه المتقدمه من سوره الحجرات،فالقرآن الكريم بخطاباته يهذب وجود التعدد ويطالب بعولمه الهدايه والتقوى واعتبارها

۱- (۱) نهج البلاغه.۴۲۶-رسائل أمير المؤمنين عليه السلام،الرساله ۵۳،كتاب له عليه السلام كتبه للأشترالنخعى لما ولاه مصر وأعمالها.تحف العقول.۹۰،عهده إلى الأشتر حين ولاه مصر وأعمالها.

أساساً للتفاضل؛لأنها تمثل الجانب الأرقى والأشرف؛ولأن موضوعها يكون الروح والعقل.ولهذا نجد أن القرآن يطلق كلمه (القرى) على المدن التى لا تتمتع بالعنايه الروحيه،بينما يطلق كلمه (المدينه) على القريه التى تعتنى بالروح وتهذب النفس كما فى سوره يس؛لأن القرآن الكريم ينظر إلى المدنيه الروحيه ويعطيها الجانب المتقدم على المدنيه الماديه.

فكل ما يحصل من حضاره للبدن أو الصناعه وإن كانت مطلوبه،ولكنها لا تستطيع أن تسمو بالإنسان إلى الدرجات العاليه والقرب من الله،بل إن كل هذا يحصل بالتكامل الروحى،ولذلك فإن التخلف قد يكون تخلفاً روحياً،وقد يكون تخلفاً مادياً،وهناك عده شواهد على أن الحضاره الغربيه رغم ما توصلت إليه من مستوىً راقٍ فى الجانب المادى إلاأنها تعيش فى صحراء روحيه قاتله.

ومن الشواهد التى ينقلها لنا التأريخ،والتى تؤيد ما ذكرناه من أن التقييم إنما يتم بالروح وليس بالبدن والشكل هو ما حصل مع لقمان الحكيم،حيث كان حبشياً أسوداً،وكان من أقبح الناس وجهاً،وقد خيره الله بين النبوه والحكمه،فاختار الحكمه،ومع ذلك كان النبى داود عليه السلام يستأنس به مع أن النبى داود عليه السلام كان بهى المظهر،وله السؤدد على بنى إسرائيل والملك العظيم،كان يأنس بلقمان ويجالسه ويستمع الحكمه منه.

إذن فالمظهر ليس كل شىء،بل هو لا يمثل شىء إذا لم يستند إلى الجمال الروحى،ولذلك فالآيات السابقه على الآيه التى ذكرناها فى سوره الحجرات قالت:

(يا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَ لا نِساءٌ مِنْ نِساءٍ عَسى أَنْ يَكُنَ خَيْراً مِنْهُنَ وَ لا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَ لا تَنابَزُوا بِالْأَلْقابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمانِ وَ مَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولئِكَ هُمُ الظالِمُونَ) (1).

۱- (۱) سوره الحجرات.الآيه ۱۱.

فالآيه المباركه فى مقام النهى عن الاستهزاء والسخريه؛ذلك لأن المظهر قد يكون مظهراً بسيطاً،بينما نجد الجوهر عظيماً،ولذلك نهت الروايات عن الاستهزاء بشخص ما،فقد يكون هذا الشخص عبداً مقرباً من الله ووليّاً من أوليائه فيغضب الله له.

فالقرآن الكريم يشير إلى نظريه بالغه الأهميه فى الحضاره والثقافه،وهى نظريه التكافؤ الخلقى بين الناس،ونحن نعيش تحدياتها فى الوقت الحاضر،بل وفقدانها، وقد أشار القرآن الكريم إلى أن الأُمم أو الأقوام أو الدول تعيش حاله التحقير، والاستنقاص،والسخريه،والاستهزاء،والتوهين،والإهانه،والتناكر،والتهكم،
والتنفر،والتقبيح،والطعن،والتذمر،والنبز،والغمز،واللمز،وفاقده لمقابله من:

التحسين،والمعاضده،والتعارف،والاحترام،والتجميل،والاستصلاح، والانجذاب،والمعاضده،والتوقير،والتبجيل،والميل.

ص:۱۶۹

المحاضره السادسه:نتائج اهتمام المجتمع بقيمه،ونتائج إهمالها

اشاره

ص:۱۷۱

شعر منسوب إلى الحسين عليه السلام

من الأشعار التى تؤثر عن سيد الشهداء ظهر عاشوراء قوله عليه السلام:

أنا ابن على الخير من آل هاشمكفانى بهذا مفخراً حين أفخر

وجدى رسول الله أكرم خلقهونحن سراج الله فى الأرض يزهر

وفاطم امى من سلاله أحمدوعمى يدعى ذا الجناحين جعفر

ونحن ولاه الحوض نسقى ولينابكأس رسول الله ما ليس ينكر

وشيعتنا فى الناس أكرم شيعهومبغضنا يوم القيامه يخسر (۱)

فلا يعتبر الفخر من الإمام عليه السلام نوع من أنواع التعصب للحسب والنسب ؟بل هو فخر بالدين والقرب من رب العالمين ومن رسول الله صلى الله عليه و آله،وما أعطاه الله لأهل البيت يوم القيامه.

وقد قلنا.إن الدين لا يلغى النسب والقبيله والانتماء إلى الوطن،ولكنه يرفض أن

۱- (۱) راجع مناقب آل أبى طالب.۸۸/۴،باب فى إمامه أبى عبدالله الحسين عليه السلام،فصل فى تواريخه وألقابه.بحار الأنوار.۴۹/۴۵،بقيه الباب ۳۷-سائر ما جرى عليه بعد بيعه الناس ليزيد بن معاويه إلى شهادته،بتفاوت يسير.

تكون هى مناط التفاضل،بل يجعل التقوى هى المناط فى التفاضل بين البشر.

القيم الاجتماعيه بين القبول والرفض

هناك العديد من الأفعال التى يمارسها البشر،سواء كانت الصالحه منها أو الطالحه، تتفشى من خلالها القيم الاجتماعيه الصحيحه أو القيم الخاطئه،ولتوضيح المطلب جيداً نذكر بعض الأفعال الطالحه وما يقابلها من صالح الأعمال.فالتنافر ويقابله التعارف،والتحسين ويقابله التقبيح،والاستنقاص ويقابله الامتداح،والسخريه والاستهزاء والتهكم ويقابلها الاحترام والتوقير والتبجيل،واللمز والغمز والطعن ويقابله الفخر والتعريف والتجميل،النبز ويقابله الاستصلاح،التذمر والتنفر ويقابله الانجذاب والميل،التوهين والإهانه ويقابله المعاضده والمسانده.

فإن هذه الأفعال،سواء كانت الصالحه منها أو الطالحه،عندما يمارسها المجتمع فهى تشير إلى تقبل المجتمع لها،وبالتالى تؤدى إلى تفشى القيم الصحيحه أو الخاطئه فيه،ولكن عندما يقبح المجتمع فعلاً معيناً فإنه دليل على أن هذا الفعل قد سلب منه، إذن القيم قد توجد فى هذا المجتمع وقد تلغى منه،سواءً كانت هذه القيم قيماً ساميه تمثل الفضيله،أم قيماً هابطةً تمثل الرذيله.

فالآيه المذكوره فى سوره الحجرات التى تتكلم عن السخريه والاستهزاء،إنما أرادت أن تبين أن المظاهر الخارجيه ليست عنواناً لتقييم الإنسان،بل إن الجواهر والذاتيات للناس هى عنوان المفاضله،وكذلك أرادت أن تبين أن هناك قيماً عاليه لا بد من نشرها فى المجتمعات؛لأنه كلما كانت هذه القيمه قيمةً حسنةً فإنها تكون عاملاً أساسياً فى تكامل المجتمع،وبالتالى على المجتمع أن يقوم بتثبيتها من خلال احترامها وتبجيلها ومساندتها؛لأن ذلك بحد ذاته أمر حسن وممدوح ويرضى الله تعالى،أما إذا كانت القيم التى احترمها ذلك المجتمع قيمه هابطه ورذيله،فإن هذا الأمر يبعث على غضب الله وفساد الفرد والمجتمع،وستتبدل هويه المجتمع من مجتمع صالح إلى

مجتمع فاسد.وهذا الأمر نفسه كان سبباً رئيسياً فی ثوره سید الشهداء علیه السلام،حیث یقول:

«ألا ترون أن الحق لا یعمل به،و أن الباطل لا ینتهی عنه» (۱).

ولو نظرنا إلی الآیه المبارکه فی قوله تعالی.(لا یَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسی أَنْ یَکُونُوا خَیْراً مِنْهُمْ وَ لا نِساءٌ مِنْ نِساءٍ عَسی أَنْ یَکُنَ خَیْراً مِنْهُنَ) (۲)،لیتسنی طرح هذا السؤال التالی.ما هو معیار الخیریه والشریه،ومعیار الحسن والقبح،وهل هو الفطره والعقل الجماعی أم غیرهما ؟

قراءه النصوص علی ضوء الفطره والعقل

فقد ذهبت المدارس المنطقیه المختلفه التی تعتمد فی تصویب الأمر أو تخطئته-فی أی علم من العلوم،حتی فی العلوم الإنسانیه والاجتماعیه-علی الجانب الفکری فقط،إلی أن ذلک یتم من خلال المعرفه الفکریه لهذه الأُمور،بینما ذهبت مدرسه المنطق التی تنتمی إلی فکر الإسلام وأهل البیت علیهم السلام إلی أن النفس الإنسانیه لیست جانباً فکریاً تجریبیاً فقط،بل إن النفس الإنسانیه تؤثر فیها مجموعه قواها،کما ورد فی الحدیث الشریف عن رسول الله صلی الله علیه و آله:

«حبک للشیء یعمی و یصم » (۳)،فإن حب

۱- (۱) تحف العقول.۱۷۴،ما روی عن الإمام السبط الشهید علیه السلام،قصار هذه المعانی.مناقب آل أبی طالب/ابن شهرآشوب.۷۶/۴،فصل فی مکارم أخلاقه علیه السلام.بحار الأنوار.۱۹۲/۴۴،الباب ۲۶-باب مکارم أخلاقه علیه السلام،الحدیث ۴.

۲- (۲) سوره الحجرات.الآیه ۱۱.

۳- (۳) الفقیه.۲۵۷/۴،باب النوادر-من ألفاظ رسول الله صلی الله علیه و آله الموجزه،الحدیث ۵۷.عوالی اللآلی.۱۲۴/۱،الفصل السابع.فی أحادیث تتضمن مثل هذا...،الحدیث ۵۷.وقد ورد أیضاً.«عین المحب عمیه عن معایب المحبوب،وأُذنه صماء عن قبح مساویه»-غرر الحکم.۴۸۱،الحدیث ۱۱۰۶۱،القسم السادس.الاجتماعی وما فیه،الباب السادس.فی المواعظ الاجتماعیه.

الشیء یعمی الإنسان عن تقبل الحقائق.

ولا یقتصر الأمر علی الحب،بل أن بغض الشیء أیضاً یعمی ویصم،وکذلک تربیه الإنسان فإنها تؤثر فی تفکیره وإدراکه لما هو حسن وما هو قبیح،ولا یمکن أن نطمئن لاستنتاجاتنا إذا کانت نفوسنا لیست طاهره؛لأن البدیهیات والفطره الإنسانیه أیضاً قد تکون محجوبه أو ممسوخه ومقلوبه،وحتی العقل الجماعی فی المجتمع غیر المؤمن یکون عقلاً مقلوبا منکوساً،فحینها تتبدل الأعراف والسیر الإنسانیه، ألا تری إلی قوم لوط وعاد وثمود وأصحاب الأیکه وغیرهم ممن حل علیهم الغضب الإلهی،فإن غالب وجل تلک المجتمعات استحسنت القبائح واستقبحت المحاسن، فانتکست،وعلیه فلا یمکن لنا أن نتقبل القول الذی یقول.«إنه یجب قراءه النص علی وفق العقل الجماعی»؛لأنه کیف نستطیع التعامل مع عقل منکوس ومقلوب وممسوخ ونغیر النص إلی فکر منحرف،وحیث أن المجتمع قد احترم القیم الهابطه فإنه أصبح مجتمعاً هابطاً فاسداً،فلا بد أن یکون تقییمه وعقله وقضاءه وآراءه فاسده، وحینها تکون قراءه النص وفق نظره المجتمع المنحرف انحرافاً،ولا یجدی التبریر بأن الدین یجب أن یواکب العصر والأعراف المختلفه والتغیرات الاجتماعیه؛لأن الدین یواکب المتغیرات إذا لم تصطدم مع ثوابته،ولا یمکنه أن یواکب قیم الانحراف والهبوط الفکری والأخلاقی والرذیله؛لأنه ینهی عن فعلها ویأمر الناس بترکها لترتب الآثار السیئه علیها کما فی الحدیث:

«لتأمرن بالمعروف،و لتنهن عن المنکر،أو لیسلطان الله علیکم شراراکم،ثم تدعون فلا یستجاب لکم» (۱)،بل إن الفطره قد تتأثر أیضاً بالبیئه والتربیه الفاسده کما فی الحدیث:

«کل مولود یولد علی الفطرت و إنما

۱- (۱) الکافی.۵۲/۵،باب الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر،الحدیث ۳،باختلاف یسیر.مجمع الزوائد/الهیثمی.۵۲۶/۷،کتاب الفتن-باب فی الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر،وفیمن لا تأخذه فی الله لومه لائم،الحدیث ۱۲۱۳۴.

أبواه ينصرانه أو يهودانه أو يمجسانه (1)،إذن فالفطره قد تتلوث فتصبح فطره منكوسه،ولا يمكنها بعد ذلك من القيام بما يلزمها ولا تستطيع أن تعكس الحقائق بوضوح؛لأنها تصبح كالمرآه التى يغطيها التراب،فلا يمكنها العمل بالصوره الصحيحه،وبالتالى لا تكون الفطره مجالاً من مجالات قراءه النصوص،وهكذا بالنسبه للعقل الجماعى.

من أبعاد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

لا يقتصر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على الجانب النظرى فقط،بل لا بد أن يكون الجانب العملى له دوره الكبير فى ذلك؛لأن من أبعاد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أن نقبح القبيح عملاً،وأن لا نستحسنه أو نحترمه أو نجمله،حيث أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يقتصر على كلمه نطلقها هنا أو هناك،بل هو تقبيح القبيح والاستهزاء به ونبذه ورفضه ونكرانه والتهكم به والسخريه به وطعنه ولمزه وغمزه-ولكن يبقى ضمن الحدود الشرعيه -.

فالأمر بالمعروف يعنى أنه هناك مجموعه من القيم الساميه الإلهيه يكون المجتمع مسؤول عنها وعن الحفاظ عليها وعن تسليمها للأجيال القادمه بنقائها وصفائها،وأن نفتخر بالمعروف ونعززه فى المجتمع وندعو إليه.

وأما الإستهزاء بالمنكر ورفضه ونبذه فهذا يشكل مصداقاً من مصاديق النهى عن المنكر،وإذا افتقد المجتمع هذه الحاله فإنه يمر فى حاله خطيره جداً تهدد علاقته بالله

١- (١) بحار الأنوار.١٨٧/٥٨، باب ۴۴-حقيقه الرؤيا وتعبيرها،الحديث ۵۲،باختلاف يسير.صحيح البخارى.۴۵٧/١،باب الجنائز،باب إذا أسلم الصبى فمات،الحديث ١٣٥٨ و ١٣٥٩،باختلاف يسير.صحيح مسلم.۴٢۵/١۶،كتاب القدر،الحديث ۶٧٠٠-۴/٢٣ و.۶٧٠٢-۶/٢۴،باب كل مولود يولد على الفطره.

تعالى وبمبادئ الدين وقيمه.وهذا يؤدى إلى الانحطاط والتسافل فى المجتمع، وبالتالى لا يقوم المجتمع فى إيصال رسالته العظيمه.

دعوه القرآن الكريم للإصلاح المبنى على العدل

ذكرنا سابقاً أن العولمه لا تقتصر على مجال معين،بل أنها ممكنه التطبيق فى جميع المجالات؛لصلاحيه ذلك المجال لتطبيقها،وقد حاول القرآن الكريم،وخصوصاً فى الآيات ۶-۱۳ من سوره الحجرات(۱)أن يعالج موضوع العولمه من جهات مختلفه،ويوازن بين جهات الوفاق وجهات الاختلاف.

وكذلك توجد آيات قد تناولت بحث العولمه من جهات اخرى وهى قوله تعالى:

(وَ إِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلَى الْأُخْرى فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتى تَفِيءَ إِلى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما بِالْعَدْلِ وَ أَقْسِطُوا إِنَ

۱- (۱) (يا أَيُهَا الَذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهالَهٍ فَتُصْبِحُوا عَلى ما فَعَلْتُمْ نادِمِينَ وَ اعْلَمُوا أَنَ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَ لكِنَ اللهَ حَبَبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمانَ وَ زَيَنَهُ فِى قُلُوبِكُمْ وَ كَرَهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَ الْفُسُوقَ وَ الْعِصْيانَ أُولئِكَ هُمُ الراشِدُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَ نِعْمَهً وَ اللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ وَ إِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلَى الْأُخْرى فَقاتِلُوا الَتِى تَبْغِى حَتى تَفِيءَ إِلى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما بِالْعَدْلِ وَ أَقْسِطُوا إِنَ اللَهَ يُحِبُ الْمُقْسِطِينَ إِنَمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَهٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَ اتَقُوا اللهَ لَعَلَكُمْ تُرْحَمُونَ يا أَيُهَا الَذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَ لا نِساءٌ مِنْ نِساءٍ عَسى أَنْ يَكُنَ خَيْراً مِنْهُنَ وَ لا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَ لا تَنابَزُوا بِالْأَلْقابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمانِ وَ مَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولئِكَ هُمُ الظالِمُونَ يا أَيُهَا الَذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَنِ إِنَ بَعْضَ الظَنِ إِثْمٌ وَ لا تَجَسَسُوا وَ لا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَ يُحِبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَ اتَقُوا اللهَ إِنَ اللهَ تَوابٌ رَحِيمٌ يا أَيُهَا الناسُ إِنا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثى وَ جَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ إِنَ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ).

اَللَّهَ يُحِبُ الْمُقْسِطِينَ) (۱)،فلو دققنا النظر فی هذه الآیات نجد أن القرآن الکریم قد قید الإصلاح بین الفئتین المتناحرتین بالعدل ؟ وهو یعنی إنهاء القتال والمواجهه العسکریه والتراضی،ولکن لا عن طریق الضغط العسکری أو الضغط الإعلامی،بل عن طریق الإصلاح بینهما،وکذلک القرآن لم یدعُ إلی الصلح بأی طریقه کانت،وإنما دعا إلی الصلح القائم علی العدل والقسط.وهذا الإصلاح یمکن تطبیقه علی جمیع بقاع الأرض،بل حتی بین الأدیان والمعتقدات لیصبح عولمه العدل بین الناس.

العولمه فی مرحله التطبیق الإسلامی

من المهم جداً قراءه التاریخ قراءه صحیحه،وخصوصاً السیره النبویه المشرقه لتتضح الحقائق بصوره جلیه للعیان،وبالأخص ما یتعلق بموضوع العولمه وبدایه نشوئها فی المجتمع الإسلامی،فنجد أن النبی صلی الله علیه و آله فی السنه الثالثه من الهجره قد دعا المقوقس ملک القبط،وهرقل ملک الروم،وکسری ملک الفرس،والنجاشی ملک الحبشه إلی الإسلام،وکان خطاب النبی صلی الله علیه و آله لهم بهذا الشکل(۲).«بسم الله الرحمن الرحیم،من محمد رسول الله إلی هرقل عظیم الروم-مثلاً-أسلم تسلم،إنی أدعوک إلی عباده الله بدلاً من عباده العبید،وإلی ولایه الله بدلاً من ولایه البشر»،وذکر النبی فی رسالته إلی هرقل والمقوقس قوله تعالی.(قُلْ یا أَهْلَ الْکِتابِ تَعالَوْا إِلی کَلِمَهٍ سَواءٍ بَیْنَنا وَ بَیْنَکُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلاَ اللهَ وَ لا نُشْرِکَ بِهِ شَیْئاً وَ لا یَتَخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنا مُسْلِمُونَ) .

فهذه هی العولمه أو العالمیه الإسلامیه التی خاطب بها النبی صلی الله علیه و آله الأُمم الأُخری،

۱- (۱) سوره الحجرات.الآیه ۹.

۲- (۲) بحار الأنوار.۳۸۶/۲۰،باب ۲۱-مراسلاته صلی الله علیه و آله إلی ملوک العجم والروم وغیرهم،الحدیث ۸،باختلاف یسیر.

العولمه المنطلقه من مفاهيم القرآن الكريم القائمه على المساواه والحوار المنطقى (كَلِمَهٍ سَواءٍ) ،شعار رفعه القرآن الكريم فى زمان كانت البشريه ترزح تحت نير العبوديه والتفرقه العنصريه والتخلف العلمى والحضارى،إذن الحوار والعولمه التى رفعها الإسلام لا تقوم على فرض الآراء بالقوه العسكريه أو الاقتصاديه وإنما العولمه المنطلقه من الاقتناع الفكرى والعامل الثقافى لا من الترهيب والترغيب.

وإذا أردنا التدقيق فى هذه الآيه نجدها تشير إلى عده امور.

أولاً:الكلمه السواء.

ثانياً:العبوديه لله.

ثالثاً:رفض التسلط من قِبل بعض البشر على بعض الآخر،ووجود الحريه للبشر،وعدم خضوع بعضهم لبعض.فكل هذه الأُمور تمثل مطالب راقيه،بل هى من أرقى مقومات العولمه الحديثه التى تناشدها الشعوب.

إذن فالقرآن الكريم قد جعل لغه العولمه هى لغه الحوار،وهذا منطق متمدن راقٍ طرحه القرآن فى تلك الأزمنه المتخلفه على صعيد النظريه وعلى صعيد التطبيق، فكان النبى صلى الله عليه و آله يساوى بين بلال الحبشى وصهيب الرومى وسلمان الفارسى وبين غيره من العرب،بل إنه قد فضل سلمان الفارسى فى الكثير من المواطن حيث قال:

«سلمان منا أهل البيت» (1)،وهذا التفضيل لا لعنصره وإنما للمستوى الروحى

١- (١) الاختصاص/المفيد.٣٤١،بعض وصايا لقمان لابنه عليه السلام،فضل سلمان الفارسى رضى الله عنه.بحار الأنوار.١٢٣/١٠،باب ٨-ما تفضل (صلوات الله عليه)به على الناس بقوله.«سلونى قبل أن تفقدونى»،الحديث ٢.المستدرك على الصحيحين.٣٢١/٤،الحديث ٦٦٥٧ و ٦٦٥٩،ذكر سلمان الفارسى رضى الله عنه.مجمع الزوائد.١٨٩/٦،باب غزوه الخندق وقريضه،الحديث ١٠١٣٧.

الذى ملكه وتميز به.

أخلاق النبى صلى الله عليه و آله وأثرها فى العولمه الإسلاميه

لا ـ شك أن للأخلاق دوراً كبيراً فى استقطاب الناس،بل وفى تقبلهم للآراء الأُخرى وميلهم مع صاحب الأخلاق؛لأن للأخلاق تأثير على جانب الروح،وهذا ما أكده المستشرقون الذين باتوا يعترفون أن العامل الأساسى فى نشر الإسلام هو أن أهالى البلدان المفتوحه كانوا يساعدون المسلمين على فتح بلدانهم؛لأنهم كانوا يعانون من أنظمه دكتاتوريه ظالمه تضطهدهم وتذيقهم أنواع الذل والظلم،وأن سيره النبى الأعظم البسيطه،وتواضعه،ومساواته بين المسلمين كان لها الأثر الأكبر فى تقبل الناس لهذا الدين،وكذلك فإن النبى لم يلغ القبائل ولم يحلها،بل أبقى النظام القبلى كآليه للمعيشه،ولكنه لم يجعل الانتماء لهذه القبيله أو تلك معياراً للتفاضل والتفاخر والاستعلاء على الآخرين،وكان هذا عنصراً آخر لتقبل الناس هذا الدين الجديد، وعلى الرغم من أن المنهج الإسلامى الذى أسسه النبى محمد صلى الله عليه و آله سرعان ما تعرض إلى التشويه والانحراف بسبب ممارسه سياسات بعد وفاته صلى الله عليه و آله وبالخصوص من ملوك بنى اميه وبنى العباس-ولهذا اتجه أمير المؤمنين عليه السلام لسياسه الإصلاح الداخلى المركز-،إلاأنه رغم ذلك استطاع أن يحقق الكثير من الانجازات،وأن يجذب النفوس،وأن يستقطب قطاعات واسعه من المجتمعات المختلفه،ولكن تبقى الأعمال التى قام بها من جاء بعد النبى صلى الله عليه و آله-والتى ابتعدت عن المنهج القويم للنبى صلى الله عليه و آله-لها أثرها الواضح فى التأثير السلبى على تقبل الدين الإسلامى.

ولا ـ يختلف الأمر عما كان فى الدوله الأمويه والعباسيه-من حيث الظلم والاضطهاد ومحاربه الرأى الآخر وغيرها-عنه فى الفتره التى حكمها الخلفاء الثلاثه بعد النبى صلى الله عليه و آله حيث أن سيرتهم كانت تخالف سيرته صلى الله عليه و آله،ونحن نطرح هذه الأُمور من باب البحث العلمى لا من باب التعصب المذهبى،منها-على سبيل المثال

لا الحصر -.هو التفرقه فی السیاسه الماليه،حيث فرق فی العطاء بين الموالی والعرب،وبين قريش وغيرهم،ومنع الموالی من دخول المدينه،وأن ولاه الأمصار لا يمكن أن يكونوا من الموالی،حتی أن الشعوب الأُخری غير العربيه صار لديها ردود فعل تجاه العرب،وظهر تيار الشعوبيه المعادی للعرب كرد فعل علی تصرفات قد صدرت من هؤلاء كانت بعيده عن منهج النبی محمد صلی الله عليه و آله.واستمراراً لهذه السياسه فإن المهاجرين والأنصار طالبوا علياً عليه السلام بأن يميزهم بالعطاء،ولكنه قال لهم.إن نصرتهم للنبی محمد صلی الله عليه و آله لها أجرها الأُخروی وليس من حقهم المطالبه بالتميز علی الآخرين فی الدنيا؛ولذلك فإن أمير المؤمنين عليه السلام أول ما فعله هو رفع تلك السياسه الفاسده التی ورثها المجتمع الإسلامی من المتقدمين،ولهذا عندما تسلم دفه الحكم السياسی لم يشأ أن يتوسع فی رقعه البلاد الإسلاميه والداخل الإسلامی يعانی من الخواء والفساد،فتوجه إلی الإصلاح الداخلی،وللأسف فقد واجهه أصحاب الجمل،وواجهته العصبيات القبليه والعصبيات القرشيه والأحزاب التی لم يروق لها عدل علی عليه السلام،وجميع الحروب التی أشعلها الخصوم ضده والتی خاضها أمير المؤمنين علی عليه السلام كانت دوافعها معروفه.

وحده المنهج بين النبی صلی الله عليه و آله والإمام الحسين عليه السلام

ذكرنا أن منهج الرسول صلی الله عليه و آله قد تغير نتيجه للسياسه الخاطئه التی مارسها ممن كان بعده ولم تتجاوب الأُمه بنحو فاعل مع أمير المؤمنين والحسن عليهما السلام لتأصيل هذا المنهج وإلغاء الفساد،وقد ازداد الوضع سوءاً بعد تسلط معاويه علی رقاب الناس،ومن ثم ابنه يزيد،حتی وصل الأمر إلی أن منهج الرسول صلی الله عليه و آله كأنه هو المخالف للشرع، فأصبحت المهمه الكبری فی إقامه الدين هو إعاده منهاج وسنه النبی صلی الله عليه و آله إلی المجتمع مره اخری،ولذا فإن منهج النبی محمد صلی الله عليه و آله نراه عند سبطه الإمام الحسين فی يوم عاشوراء،الذی أخذ علی عاتقه إحياء مبادئ جده محمد المصطفی صلی الله عليه و آله التی تعرضت

للتشويه والانحراف على أيـدى بنى اميه،فنرى أن الحسين بن على عليهما السـلام فى يوم عاشوراء يضع خده تارةً على خد جون ذلك العبـد،واُخرى على خـد ولـده على الأكبر،وهـذا من أعظم أنواع الاحترام عنـد العرب،حيث يساوى فى هذا الفعل الحسـين عليه السـلام بين جون-العبد الأسود-وبين على الأكبر-السـيد المطهر القرشـى-الذى ينتسب لرسول الله صلى الله عليه و آله.وهذا هو المنهج الذى ورثه أهل البيت عليهم السلام من جدهم المصطفى صلى الله عليه و آله.

فمبدأ العدل متجذر فى مذهب أهل البيت الذى يرفض مقوله حرمه الخروج على الحاكم والوالى الذى لا يكون خاضعاً للشروط الإلهيه كما هو فى المذاهب الاُخرى، فالإماميه تضع شـروطاً للإمام أشد مما تنشده البشـريه،فنحن نعتقد أن الإمام لا بد أن يكون معصوماً لكى يتوصل إلى النظام الحقوقى العادل،والنظام المالى العادل، والنظام القضائى العادل،والنظام السياسـى العادل،والسـيره العـادله بـدون أى تفرقه بين مؤمن ومؤمن آخر،وأن الحـاكم ليس الإمام المعصوم أو الرسول،بل الحاكم الأول هو الله،وأن الإمام المعصوم لاـ يشـاء إلامـا يشـاء الله،ولاـ يفعـل مـا لا يرضـى الله تعالى،إذن حاكميه الله تتجلى فى فعل المعصومين الـذين هم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون،وهـذا ليس مغالاه،بل هو التوحيـد فى الحاكميه الـذى يتميز به مـذهب أهل البيت عليهم السلام.

المحاضره السابعه:الحوار الحقيقی یوازن بین نقاط الاختلاف ونقاط الاتفاق

اشاره

ص:۱۸۵

توازن الحوار بين مبادئ الاتفاق والاختلاف

الباحث فى الأديان قد تنتابه وتعتريه نزعه للوحده،وكذلك تنتابه نزعه للخلاف مع هذا الدين أو ذاك.وما يجب أن نؤكد عليه هو حاله التوازن بين هاتين النزعتين عند الباحث؛لأنه فى حاله الميل لنزعه الوحده فإنها ستحاول إلغاء معالم هذا الدين أو ذاك بسبب حاله الدمج مع غيره؛وبالتالى سوف يحصل التنازل عن الثوابت فى الأديان، وسيؤدى ذلك إلى إنكار نقاط الخلاف،إذن الإفراط فى نقاط الاتفاق يعمى عن نقاط الاختلاف،أما إذا حصل الميل لنزعه الفرقه فإن آثاره قد تكون أشد من الحاله الأُولى؛ لأنه ربما اتهمت الدين الآخر بما ليس فيه من أجل إسقاطه وتوهينه،ويكون الإفراط فى نقاط الاختلاف يعمى عن نقاط الاتفاق أيضاً.

وما قلناه فى الخلاف بين الأديان نقوله فى التقريب بين المذاهب.ونحن لسنا بصدد رفض حوار الأديان أو تقريب المذاهب،ولكن يجب أن يكون هذا الحوار وهذا التقريب مبنياً على حاله التوازن والموضوعيه بين الثوابت فى الدين والمتغيرات، فالتعدد فى الآراء والقناعات والمسائل العقليه والعقائديه حسن وإن كان من العوامل المفرقه بين الأديان أو المذاهب؛لأن فى مقابل هذا التعدد هناك نقاط مشتركه بين المذاهب والأديان على الصعيد العملى والسلوكى،وكذلك على الصعيد الإنسانى.

وأيضاً غياب الحوار له آثار سلبيه على البشريه،فعلى سبيل المثال.توتر العلاقات بين المسلمين والمسيحيين فى أكثر من بلد نتيجه وجود خلافات وغياب حاله الحوار التى تحافظ على أرواح وأموال الناس من هاتين الديانتين.

وكل ما يجب أن نفعله هو تفعيل حاله الحوار بين الأديان،وخصوصاً فى المشتركات بينها،ولكن علينا أن لا نفتعل نقاط اشتراك وهى غير موجوده،وذلك لخلق حاله الحوار؛لأنها ليست واقعيه وليست حقيقيه،فيكون الحوار قائماً على أساس هش،ومن الصعب الاستمرار على حوار قائم على أساس غير واقعى،ومن الأُمور الصحيحه أن نعترف بنقاط الاختلاف بصوره واقعيه وجديه،وأن نركز على نقاط الاشتراك الواقعيه والصحيحه لا المختلقه والمصطنعه،ونحن لا ننفى أن المجامله فى الحوار لها ثمره طيبه،وتعمل على إزاله أجواء التوتر وإخماد الفتنه، وتخلق جواً من الود،ولكننا ندعو أن يكون الحوار مبنياً على اسس صحيحه.

الحوار وأثره فى علاج أسباب الفتن

لا شك أن الحوار الناجح هو الذى يبحث عن أسباب الاختلاف ويحاول إطفاء الفتن وبؤر التوترات،فمثلاً.ما يحدث من مجازر فى باكستان ضد المسلمين الشيعه،ومن قبلها أفغانستان،وكذلك سفك دماء أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام فى العراق،وما يحدث من تقاتل بين المسلمين والمسيحيين فى مصر وغيرها من الدول الأفريقيه الأُخرى،والكتب التى تكفر المسلمين وتبيح دماءهم،فكل هذه وغيرها تحصل نتيجه للاختلاف فى الأفكار والمعتقدات،ولا بد من وضع حد لهذه التصرفات.

ونحن لا ندعو إلى الاصطدام بهؤلاء وتصفيتهم،وإنما تركيز الجهود لمنعهم من هذه الأعمال وإيقافهم عند حدهم،فهؤلاء يغضون بصرهم عن الفسق والفساد المنتشر فى الأسواق والمجمعات والجامعات التى تعج وتضج بالسلوكيات الهابطه،ويثيرون الفتن حتى فى المناهج الدراسيه التى تطعن بطائفه مسلمه وتعتبرها طائفه تمارس

البدع،مع أن هذه الطائفه هى الأكثريه فى هذا البلد،وهم الذين ساهموا بشكل فعال وبفضلهم حققت البحرين استقلالها من خلال التصويت على الاستقلال عن إيران فى بدايه السبعينيات من القرن الماضى الذى أقامته الأُمم المتحده،فكيف تحتوى المناهج الدراسيه فى هذا البلد على طعن واضح بهذه الطائفه ومعتقداتها ويعتبر التوسل بالأولياء بدعه،ولا يتم الالتفات إلى هذه المشكله.

فنلاحظ-مثلاً-فى أفغانستان بعد سقوط حكومه طالبان فإن الدستور يعترف بوجود مذهبين فى البلاد هما.المذهب الحنفى والمذهب الجعفرى،مع أن الجعفريين يمثلون الثلث،والأحناف يمثلون الثلثين،ويدرس المذهب الجعفرى هناك إلى جانب المذهب الحنفى،فكيف بنا،ونحن فى البحرين،ونمثل الأكثريه، ومع ذلك فإن المناهج الدراسيه تطعن فينا كشيعه ولا تراعى مذهبنا،وحتى لو لم نتكلم باعتبارنا أكثريه،فيجب على وزاره التربيه والتعليم أن تحترم مذهبنا كما احترمت باقى المذاهب الإسلاميه فى البلاد،وأن لا تسمح للأقلام المدسوسه أن تنخر فى الوحده بين السنه والشيعه فى البحرين،وخصوصاً أن البحرين قد احتضنت مؤخراً مؤتمراً للتقريب بين المذاهب،فهذا السلوك من وزاره التربيه والتعليم لا يناسب هذا التوجه.

شموليه الحوار لجميع الطوائف

لغرض إنجاح حاله الحوار والحصول على ثماره ونتائجه الكبيره لا بد أن يكون الحوار شاملاً لجميع الطوائف من دون استثناء،وما نلاحظه فى مؤتمرات التقريب أنها تستبعد الإسماعيليين مع أن أعدادهم كبيره جداً،وكذلك تستبعد طائفه العلويين وهم يمثلون ثلاثاً وعشرين مليوناً فى تركيا،بل بعض المؤتمرات استبعدت حتى الفرقه الزيديه،والأكثر من ذلك استبعاد قيادات الفرقه الصوفيه التى تمثل عدداً هائلاً جداً من إخواننا السنه الذين ينتشرون فى مصر وتونس والجزائر والسودان

وأندونيسيا وماليزيا والهند،فهذا التغيب سبب فى زياده حاله الفرقه بين المسلمين، فلماذا هذا التغييب لطوائف عديده من المسلمين،فهؤلاء المغيبين يشعرون بأنهم مستبعدون من الصف الإسلامى.

جهات الاتفاق بين المجتمعات الإنسانيه

من النقاط المهمه التى يثيرها القرآن الكريم فى آياته المباركه هى بيان حاله الاشتراك بين الناس جميعاً فى الكثير من الجوانب،فمن هذه الآيات-مثلاً-قوله تعالى:

(وَ لَقَدْ كَرَّمْنا بَنِى آدَمَ وَ حَمَلْناهُمْ فِى الْبَرِ وَ الْبَحْرِ وَ رَزَقْناهُمْ مِنَ الطَيِباتِ وَ فَضَلْناهُمْ عَلى كَثِيرٍ مِمَنْ خَلَقْنا تَفْضِيلاً) (١)،فإن تكريم بنى آدم وتفضيلهم على الكثير من المخلوقات الأُخرى جهه مشتركه بين جميع الناس من دون استثناء،ولهذا نجد أن هناك بعض البحوث فى الحوزه العلميه تعتبر أن هذه الآيه تمثل أصلاً قانونياً من اسس التقنين الإسلامى،وهو أن الأصل فى الإنسان أن يكون محترماً،وأن تكون له حرمه إلا ما أخرجه الدليل،أى الإنسان الذى يرتكب جريمه أو إثماً يكون قد خالف المقررات الشرعيه وتجاوز الحدود الإلهيه،فلا بد من وجود رادع له وعقاب يحدده الشرع.

وكذلك من الآيات التى تبين حاله الاشتراك بين الناس هى آيه الفطره فى قوله تعالى.(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللهِ الَتِى فَطَرَ الناسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذلِكَ الدِينُ الْقَيِمُ وَ لكِنَ أَكْثَرَ الناسِ لا يَعْلَمُونَ) (٢)،فالفطره من الجوانب المشتركه بين جميع الناس؛لأنها مخلوقه فيهم من قِبل الله على حدٍ سواء.

نعم هناك تغيير لهذه الفطره من خلال التربيه أو البيئه أو المجتمع وغيرها من

١- (١) سوره الإسراء.الآيه ٧٠.

٢- (٢) سوره الروم.الآيه ٣٠.

الوسائل المغيبه لها بحيث لا ترى حقائق الأُمور،وإن كانت الكثير من التشريعات عند الأُمم الأُخرى تراعى الفطره الإنسانيه،وقد لا تكون فى تفاصيلها مطابقه للحكم الإسلامى ولكنها مع هذه المراعاه يبقى هناك تغيير للفطره.

الأنبياء بين وحده الدين واختلاف الشرائع

لو نظرنا إلى القرآن الكريم نجد أنه يصرح بوحده الدين بين جميع البشر،وأن جميع الأنبياء قد جاءوا بدين واحد،وإنما الاختلاف قد حصل فى الشرائع التى جاء بها بعض الأنبياء فهى المتغيره من نبى إلى آخر،وهذه الشرائع قد بعث بها اولوا العزم الخمسه وهم.نوح،وإبراهيم،وموسى،وعيسى،ومحمد صلى الله عليه و آله،ولهذا فقد وقع بعض الباحثين فى إشكال وهو.أن النبى آدم لم يبعث بشريعه،أى فلم يبعث بدين، إذن لم يكن آدم نبياً،والمشكله تكمن فى أن هؤلاء لم يفرقوا بين الدين والشريعه، ولذلك وقعوا فى هذا الإشكال،والصحيح أن الأنبياء قد بعثوا بالشرائع المختلفه ولكن يبقى الدين واحداً لا يتعدد،وقد بعث به جميعهم.

وعليه فالدين يمثل اصول الاعتقاد وأركان الفروع،كالصلاه والصوم والحج والزكاه،فمثلاً.آدم عليه السلام صلى وزكى وحج وصام.نعم،قد تختلف تفاصيل الصلاه أو تفاصيل الحج أو الصوم ولكنها فى نفسها ثابته لكل الأنبياء،وكذلك بالنسبه إلى الاعتقادات فهى أيضاً مشتركه بين جميع الشرائع،حيث تسمى بالأُصول المشتركه كالتوحيد والنبوه والمعاد،فهذه مشتركه بين جميع الشرائع وإن اختلفت فى بعض مصاديق هذه الأُصول كالنبوه-مثلاً-ولا يمكن نسخ الاعتقادات؛لأنها مرتبطه بتوحيد الله والعدل والآخره،ولا يمكن أن يبعث نبى بصلاه ولا يبعث نبى آخر بصلاه، وهكذا بالنسبه لأُصول المحرمات والمنكرات،مثل الزنا واللواط والسحاق وتحريم الربا،ولا يمكن أن يحلها نبى ويحرمها نبى آخر،فكل هذه الأُمور امور فطريه، والفطره البشريه ترفض هذه الممارسات التى تحول المجتمع الإنسانى إلى غابه

للإباحه الجنسیه التی تهدم الکیان الإنسانی،وکلما ابتعد الإنسان عن فطرته کلما انتشرت الرذیله والفواحش،وکلما انتشر الرعب والخوف سلب الأمن والاستقرار علی صعید الفرد والمجتمع.فهناک الکثیر من الآیات المبارکه التی تبین اشتراک الشرائع فی مسائل الدین،وکذلک اختلاف هذه الشرائع من حیث الطریقه والمسلک.

فمن آیات الاشتراک قوله تعالی.(شَرَعَ لَکُمْ مِنَ الدِینِ ما وَصی بِهِ نُوحاً وَ الَذِی أَوْحَیْنا إِلَیْکَ وَ ما وَصَّیْنا بِهِ إِبْراهِیمَ وَ مُوسی وَ عِیسی أَنْ أَقِیمُوا الدِینَ وَ لا تَتَفَرَّقُوا فِیهِ) (۱).

وأما الآیات التی تبین اختلاف الشرائع قوله تعالی.(وَ أَنْزَلْنا إِلَیْکَ الْکِتابَ بِالْحَقِ مُصَدِقاً لِما بَیْنَ یَدَیْهِ مِنَ الْکِتابِ وَ مُهَیْمِناً عَلَیْهِ فَاحْکُمْ بَیْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ وَ لا تَتَبِعْ أَهْواءَهُمْ عَما جاءَکَ مِنَ الْحَقِ لِکُلٍ جَعَلْنا مِنْکُمْ شِرْعَهً وَ مِنْهاجاً) (۲).

إذن فقوله تعالی.(إِنَ الدِینَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلامُ) (۳)،أی أن الإسلام هو دین الله من لدن آدم علیه السلام وحتی خاتم الأنبیاء لم یتغیر،وعلیه فإن الإسلام لیس دین محمد صلی الله علیه و آله فقط وإنما هو دین کل الأنبیاء،ومن هذا المنطلق یکون التعبیر عن شریعه سید المرسلین صلی الله علیه و آله بالشریعه المحمدیه صلی الله علیه و آله أدق من التعبیر عنها بالشریعه الإسلامیه؛لأن الإسلام-کما قلنا-هو دین الأنبیاء جمیعاً ولا یختص بسید الأنبیاء صلی الله علیه و آله.

ولذا نری إبراهیم الخلیل علیه السلام ینادی بالإسلام کما فی قوله تعالی.(وَ إِذْ یَرْفَعُ إِبْراهِیمُ الْقَواعِدَ مِنَ الْبَیْتِ وَ إِسْماعِیلُ رَبَنا تَقَبَلْ مِنا إِنَکَ أَنْتَ السَمِیعُ الْعَلِیمُ*رَبَنا وَ اجْعَلْنا مُسْلِمَیْنِ لَکَ وَ مِنْ ذُرِیَتِنا أُمَهً مُسْلِمَهً لَکَ وَ أَرِنا مَناسِکَنا وَ تُبْ عَلَیْنا إِنَکَ أَنْتَ التَوابُ الرَحِیمُ*رَبَنا وَ ابْعَثْ فِیهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیاتِکَ وَ یُعَلِمُهُمُ الْکِتابَ

۱- (۱) سوره الشوری.الآیه ۳.

۲- (۲) سوره المائده.الآیه ۴۸.

۳- (۳) سوره آل عمران.الآیه ۱۹.

وَ الْحِكْمَهَ وَ يُزَكِيهِمْ إِنَكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَ مَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَهِ إِبْراهِيمَ إِلا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَ لَقَدِ اصْطَفَيْناهُ فِى الدُنْيا وَ إِنَهُ فِى الْآخِرَهِ لَمِنَ الصالِحِينَ إِذْ قالَ لَهُ رَبُهُ أَسْلِمْ قالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِ الْعالَمِينَ وَ وَصى بِها إِبْراهِيمُ بَنِيهِ وَ يَعْقُوبُ يا بَنِىَ إِنَ اللهَ اصْطَفى لَكُمُ الدِينَ فَلا تَمُوتُنَ إِلا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (۱).

فهذه الآيات وغيرها من آيات القرآن الكريم تبين بوضوح أن هؤلاء الأنبياء جميعاً مسلمون ودينهم الإسلام،وهم يتحركون فى خط واحد،ويعبدون إلهاً واحداً، ويؤمنون بنبوه سيد الأنبياء.وهذا الدين الذى جُعل لجميع الأنبياء.

وقد رضى الله بالإسلام ديناً بإمامه على عليه السلام فى يوم الغدير،فقال تعالى.(اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً) (۲)،ولذلك فإمامه على عليه السلام جزء من الإسلام،أى من الدين،وليس جزافاً أن تكون الإمامه أصل من اصول الدين حالها حال النبوه،لا يعنى هذا تكفير من لا يقول بإمامته عليه السلام،بل الذين لا يقولون بإمامته جميعاً على ظاهر الإسلام،وإنما هذا يقع فى صدق الإيمان عليهم وعدمه.

إذن مما تقدم تبين أن جميع الأنبياء عليهم السلام على دين واحد،ذلك الدين الذى ارتضاه الله لجميع البشريه،ومن أراد التوسع فى هذا الموضوع فعليه مراجعه ما تقدم سابقاً(۳).

نصره الأنبياء عليهم السلام للنبى محمد صلى الله عليه و آله

لو نظرنا إلى قوله تعالى.(وَ إِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثاقَ النَبِيينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَ حِكْمَهٍ ثُمَ

۱- (۱) سوره البقره.الآيات ۱۲۷-۱۳۲.

۲- (۲) سوره المائده.الآيه ۳.

۳- (۳) راجع الصفحه ۱۵ وما بعدها من مبحث الحداثه فى هذا الكتاب.

جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَهُ قالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلى ذلِكُمْ إِصْرِى قالُوا أَقْرَرْنا قالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشاهِدِينَ (۱)نجد أن هذه الآيه المباركه تبين أن الله قد أخذ على النبيين ميثاقاً الإيمان والنصره سيد المرسلين صلى الله عليه و آله، ولهذا فجميع الأنبياء أنصار لمحمد صلى الله عليه و آله وقد أقروا بذلك،أما بالنسبه للنبى الأكرم صلى الله عليه و آله فجعل مصداقاً وشاهداً على ثبوتهم ولكتبهم،أى يشهد ويوثق ما معهم،فلم يكن التعبير بأنه صلى الله عليه و آله يؤمن بنبوتهم أو مصدق بهم،وذلك لعلو مقامه وإشرافه عليهم، وكونه شاهداً عليهم.

ومن هنا نقول.إنه لا يصح أن ننكر ونرفض كل ما ورد فى التوراه والإنجيل، صحيحٌ أنهما قد تعرضا للتحريف ولا يمكن الاعتماد عليهما كمصدر سليم تماماً؛ إلا أن ذلك لا يمنع أن يكون بعض ما فيه صحيح وهو الذى أيده القرآن الكريم، ولا يصح أن نرفضه كله تماماً ولا نقبل منه شىء،بل لا بد من إخضاعهما للتدقيق والغربله،وأن نعرضه على الأُصول الصحيحه المسلمه لنرى الصحيح من السقيم، والحق من الباطل،وأن يكون ميزان الحسم فى ذلك هو موافقته للقرآن وعدمه.

على سبيل المثال.فهناك الكثير من الأُمور المشتركه بين شريعه النبى محمد صلى الله عليه و آله وما ذكر فى القرآن الكريم،وبين شريعتى موسى وعيسى وما ذكر فى التوراه والإنجيل.

۱- (۱) سوره آل عمران.الآيه ۸۱.

المحاضره الثامنه:الحفاظ على الوحده الإسلاميه مع وجود الخلاف فى الأُصول والفروع

اشاره

ص:١٩٥

آراء فى الخلاف بين المذاهب الإسلاميه

من الاُمور التى نود الإشاره إليها فى اطار التقريب بين المذاهب الإسلاميه،هو أن البعض يقول.إن المذاهب الإسلاميه قائمه على الاجتهادات المحضه المستنده إلى الأدله الظنيه التى قد تكون معتبره عند هذا المجتهد وغير معتبره عند غيره،بينما يذهب البعض الآخر إلى القول بأن الخلاف بين المذاهب خلاف فقهى وليس عقائدى،والبعض يقول.إن اصول الدين عند كل المسلمين واحده ولا خلاف فيها بين المذاهب.

ونحن نعتقد أن هذه الاُمور لا تخدم مسيره التقريب التى نتمنى لها كل التوفيق؛ وذلك لأن هذه الاُمور بعيده عن الواقع والحقيقه،فكل ما يهمنا هو الوحده الإسلاميه وذلك من منطلق أن الإمام الحسين عليه السلام قد أعلن أن الإصلاح فى امه جده هو هدف الثوره الحسينيه ولم يقل الإصلاح فى شيعه أبيه،مما يدل على اهتمام الحسين عليه السلام بعموم الاُمه الإسلاميه.

إذن يجب أن تكون الصراحه والبحث عن الحقيقه وعدم التنكر لها هى مدار الحوار.والآراء الحقيقيه لا تتنافى مع البحث عن المشتركات،ويمكن للحوار أن يشق طريقه بصوره صحيحه وعلى اسس واقعيه إذا اخذت هذه الاُمور بعين الاعتبار،

ولا نريد القفز على الحقيقه لأنه قد يخلق من الطائفتين المتحاورتين طائفه ثالثه تزيد من حده الشقاق والخلاف.

خلاف المذاهب بين الفقه والعقائد

لا ـ يختلف اثنان على أن الطوائف الإسلاميه تعيش حاله الاختلاف فيما بينها،سواء كان ذلك على مستوى الأحكام الشرعيه أو على مستوى الاعتقادات،وهذا مرجعه إلى امور قد ذُكرت فى محلها،ولكن كل هذا لا يؤدى إلى ظهور حاله الخلاف فيما بينهم، وقد ذهب البعض إلى أن هذا الاختلاف سوف يؤدى إلى ظهور حاله الخلاف بين المذاهب الإسلاميه،وبالتالى فإن الطوائف سوف تكفر بعضها البعض الآخر؛لأنها ترى أن ما ذهبت إليه من خلال الأدله القطعيه هو الموافق للإسلام الصحيح دون غيرها،فتكون الطوائف الباقيه مخالفه للإسلام مما يوجب دخولها فيما قابل الإسلام،وبالتالى الحكم بكفرها.

ولأجل التخلص من هذه العقده ذهبوا إلى نفى هذه الحاله بين الطوائف الإسلاميه،وخصوصاً العقائديه منها،ولكننا نرى أن الاختلاف العقائدى موجود بين الطوائف الإسلاميه ولكن مع ذلك لا يستلزم تكفير طائفه لأُخرى.

ولغرض توضيح المطلب أكثر نقول.إن الدين يتضمن مرتبتين.مرتبه الظاهر، وهى الإسلام الذى تتضمن الإقرار بالشهادتين بلسانه،ومرتبه الباطن،وهى الإيمان الذى يكون عباره عن الاعتقاد بالله والرسول صلى الله عليه و آله والمعاد وبعض ضرورات الدين، كموده أهل البيت والصلاه وغيرها من ضرورات الدين،فأما المرتبه الأُولى فمن وصل إليها فله ما للمسلمين وعليه ما عليهم،ويحرم دمه وماله وعرضه،وله حقوق المواطنه الإسلاميه فى الأحوال الشخصيه والمعاملات،وهذا ليس مجرد رأى مدرسه أهل البيت عليهم السلام،بل هذا هو رأى المسلمين جميعاً إذا استثنينا التكفيريين منهم.

ولهذا فإن المنافقين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر يندرجون تحت اسم المسلمين،وإن كانت هذه الفئه قد توعدها الله تعالى بأشد العذاب وأنزل فيهم سوره كامله فى القرآن الكريم،والذين فتحت ملفاتهم فى سوره البراءه التى تتضمن ثلاثه عشر فرقه تناوى النبى صلى الله عليه و آله مع ذلك لم يخرجهم النبى صلى الله عليه و آله من ظاهر الإسلام ومن دائره المسلمين،وهذا الطرح يسانده القرآن الكريم،قال تعالى.(قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا وَ لَما يَدْخُلِ الْإِيمانُ فِي قُلُوبِكُمْ) (۱).

فالقرآن الكريم يفرق بوضوح بين المسلمين والمؤمنين،وهذه حقائق قرآنيه لا يمكن معارضتها،كما لا يوجد أى كتاب كلامى ينكر التفريق بين المسلمين والمؤمنين،وهذا مما أجمعت عليه الأُمه الإسلاميه.

وأما المرتبه الثانيه،وهى المرتبه الأرقى،المعبر عنها بمرتبه الإيمان،فالإيمان إنما هو الإسلام الحقيقى الواقعى فى الظاهر والباطن،وهى المرتبه التى تؤهل الإنسان المؤمن للوصول إلى رضا الله تعالى ودخول الجنه والحصول على ثواب الله تعالى.

الإمامه والعدل من اصول الدين عند أتباع مذهب أهل البيت

ذهب أتباع مدرسه أهل البيت عليهم السلام إلى الاعتقاد بأن العدل والإمامه من اصول الدين، واستندوا فى ذلك إلى أدله قطعيه كما يعتقدون،فمن الأدله التى تثبت أن الإمامه أصل هو قوله تعالى.(اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً) (۲).

فالدين الذى يتضمن التوحيد والعدل والنبوه والمعاد لم يتم إلابعد إثبات إمامه على عليه السلام يوم الغدير،فكيف لا نجعل الإمامه من اصول الدين،والدين لم يكن مرضياً

۱- (۱) سوره الحجرات.الآيه ۱۴.

۲- (۲) سوره المائده.الآيه ۳.

عند الله تعالى إلابالإمامه.

وكذلك آيه الموده فى قوله تعالى.(قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَ الْمَوَدَهَ فِى الْقُرْبى) (۱).

أى أن الـدين فى كفه بمـا يتضـمنه من توحيـد وعـدل ونبوه ومعاد وموده أهل البيت فى كفه اخرى،فمن غير المناسب أن تكون الإمـامه وموده أهل البيت قـد جُعلت من ضـمن فروع الـدين؛لأن الموده التى أرادها الله والنبى صـلى الله عليه و آله إنما هى أجر الرساله،وجهد النبى صلى الله عليه و آله،وهذه حقائق قرآنيه وليست من باب المغالاه كما يتهمنا البعض.

اُصول الدين بين مرتبتى الإيمان والإسلام

ذهبت مـدرسه أهل البيت إلى أن هناك اصول الـدين فى مرتبه الإيمان،وهى تتكون من التوحيد والعدل والنبوه والإمامه والمعاد يوم القيامه،وكذلك اصول الدين فى مرتبه الإسـلام فتتضـمن التوحيد والنبوه والمعاد،وهى الاُمور التى إذا أظهرها الإنسان أصبح مسلماً فى الظاهر.

فاُصول الدين،سواء فى مرتبه الإيمان أو الإسـلام،تتضـمن مفهوم التوحيد، فهناك توحيد فى الذات وتوحيد فى الصـفات،والنبوه إنما هى توحيد فى التشريع، وأما الإمامه فهى توحيد فى الحاكميه السياسيه والقضائيه والتنفيذيه،ونحن نعتقد أن الإمام مرتبط بالله فى كل شىء ابتداءً من الاُمور الجزئيه وانتهاءً بالاُمور الكليه؛لأن الإمام يمثل مشيئه الله فهو لا يعصى الله ما أمره ويفعل ما يؤمر.

ولـذلك فنحـن نرى أن الإمـامه توصـل إلى طـاعه الله فى الاُمـور الـدينيه والشـؤون المـاليه والقضايـا السياسـيه والعسـكريه والتشريعيه،وفى كل الاُمور،كما يستظهر من قوله تعالى.(تَنَزَلُ الْمَلائِكَهُ وَ الرُوحُ فِيها بِإِذْنِ رَبِهِمْ مِنْ كُلِ أَمْرٍ*سَلامٌ هِىَ حَتى

۱- (۱) سوره الشورى.الآيه ۲۳.

مَطْلَعِ الْفَجْرِ) (۱)،ففی کل سنه یتنزل البرنامج السنوی الذی یتضمن کل أمر من الله علی النبی صلی الله علیه و آله فی حیاته ویتنزل بعد وفاته علی الإمام فی لیله القدر.

الإیمان النظری والعملی فی سوره الحمد

سوره الحمد التی نقرائها فی کل صلاه مرتین لو دققنا فیها جیداً نجد أنها تتضمن جزئین من الإیمان.الجزء الأول وهو المعروف بالإیمان النظری،ومراتبه التوحید، سواء فی الصفات أو الذات،والمعاد،والنبوه،کما فی قوله تعالی:

(بِسْمِ اللهِ الرَحْمنِ الرَحِیمِ اَلْحَمْدُ لِلهِ رَبِ الْعالَمِینَ اَلرَحْمنِ الرَحِیمِ مالِکِ یَوْمِ الدِینِ إیاکَ نَعْبُدُ وَ إیاکَ نَسْتَعِینُ) (۲).

أما الجزء الثانی فیتضمن الإیمان العملی،ومراتبه الإمامه،کما فی قوله تعالی.

(اِهْدِنَا الصِراطَ الْمُسْتَقِیمَ صِراطَ الَذِینَ أَنْعَمْتَ عَلَیْهِمْ غَیْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَیْهِمْ وَ لاَ الضالِینَ) (۳).

وهذا الصراط الذی تبینه سوره الحمد إنما هو أهل البیت علیهم السلام؛لأنهم مطهرون ومعصومون فهم الصراط المستقیم،ولا ینحصر اعتبار هذا الصراط بسیره النبی صلی الله علیه و آله؛ لأن الآیه لم تقل.«صراط الذی أنعمت علیه»،وإنما جاء التعبیر بالجمع. (صِراطَ الَذِینَ أَنْعَمْتَ عَلَیْهِمْ) ،فهم أهل البیت علیهم السلام المعصومون الذین لا یصح وصفهم مطلقا بأنهم مغضوب علیهم،أو أنهم ضالین،أما غیر المعصوم فقد یغضب الله علیه إذا عصی،وقد یضل کما یضل الآخرون لأنه لا یتمتع بموانع تقیه وتحجبه عن ذلک،

۱- (۱) سوره القدر.الآیه ۴ و ۵.

۲- (۲) سوره الفاتحه.الآیات ۱-۵.

۳- (۳) سوره الفاتحه.الآیتان ۶ و ۷.

وأهل البيت عليهم السلام فهم الذين باهل بهم النبى صلى الله عليه و آله نصارى نجران،واختارهم من بين جميع الاُمه بما فيها من الصحابه وزوجات النبى صلى الله عليه و آله،ولو تتبعنا تاريخ أهل البيت لما رأينا أنهم ضلوا فى أى جانب من جوانب الحياه،أو أنهم ظلموا أحداً،أو غضب الله عليهم،أو أنهم عبدوا وثناً،أو شربوا خمراً،أو عصوا الله،أو أشركوا به طرفه عين أبداً.وقد شهد القرآن بطهارتهم،وأنهم المطهرون الذين يمسون الكتاب المكنون، كما أنعم الله عليهم بالاصطفاء للطهاره،وبولايه الفىء فى سوره الحشر،وبولايه الخمس فى سوره الأنفال،وأوجب على الاُمه مودتهم.

حديث الفرقه الناجيه ودلالته على المدعى

من الأحاديث التى اتفق عليها المسلمون هو حديث افتراق الاُمه إلى ثلاث وسبعين فرقه،منها فرقه ناجيه،حيث رووا هذا الحديث فى الكثير من كتبهم إن لم يكن كلها(۱).فنفس هذا الحديث يمكن الاستفاده منه على ما ذكرناه من التفريق بين الإسلام والإيمان،فهو لم يخرج غير الناجين من الإسلام؛لأنه اعتبرهم من (امتى)، أى من المسلمين مع كونهم من غير الناجين،ومن غير المعقول أن تكون النجاه التى اعتمدت عليها الفرقه الناجيه هى نجاه تعتمد على فرع من الفروع،وليس على أصل من الاُصول.

۱- (۱) ورد الحديث.«ستفترق امتى على ثلاث وسبعين فرقه،فرقه منها ناجيه،والباقون هالكون»راجع الوسائل.۴۹/۲۷،باب عدم جواز القضاء والحكم بالرأى،الحديث ۳۰/۳۳۱۸۰.الخصال.۵۸۴/۲،أبواب السبعين وما فوقه،من روى أن الاُمه تفترق على ثلاث وسبعين فرقه،الحديث ۱۱،بتفاوت.كمال الدين.۶۰۰،باب فى نوادر الكتاب،الحديث ۳،بتفاوت.سنن ابن ماجه.۱۳۲۲/۲،كتاب الفتن-باب افتراق الاُمم،الحديث ۳۹۹۲،بتفاوت.المستدرك على الصحيحين.۳۳۶/۱،كتاب العلم-الباب ۱۹۳،باب فى البدع والأهواء،باب منه،الحديث ۴۵۴ و ۴۵۵،بتفاوت.

فعلى سبيل المثال.نجد أن إخواننا أهل سنه الجماعه يرون أن من لا يعتقد بفضائل الخلفاء الثلاثه الذين حكموا بعد النبى صلى الله عليه و آله أو فضائل زوجات النبى،بل ومن ينتقدهم وينكر عليهم أفعالهم،فإنه شخص ليس مؤمناً وإنما هو مسلم فقط،وإن كانوا يعتقدون بأن الخلافه من فروع الدين وليست من اصوله،كما ذهب إلى هذا الرأى التفتازانى فى شرح المقاصد والشريف الجرجانى فى شرح المواقف.

إذن فأهل السنه يبنون العقيده على ما حدث بعد النبى صلى الله عليه و آله،وكثير منهم يعتقدون أن فضائل الثلاثه الذين حكموا بعد النبى صلى الله عليه و آله أدلتها قطعيه،وينفون الإيمان عمن لا يعتقد بها ولكنهم لا يقولون بكفره،هذا إذا استثنينا التكفيريين المتعصبين.

وكذلك مذهب أهل البيت فإنه يذهب إلى أن أدله إمامه الأئمه عليهم السلام،واعتبار الإمامه من اصول الدين إنما تستند إلى أدله قطعيه،وأنها من لوازم الإيمان،إلاأنهم لا يكفرون من لا يعتقد بها،بل يعتبرونه مسلماً ولكنه ليس بمؤمن.

وقد فصل فى بيان هذا الأمر كلاً من السيد المرتضى و الشيخ الطوسى والشيخ المفيد حيث قالوا إن النص تاره يكون نصاً جلياً واُخرى يكون نصاً خفياً،فالمنكر للنص الجلى يخرج عن ظاهر الإسلام،أما المنكر للنص الخفى فلا يخرج عن ظاهر الإسلام،لأنه ربما يعذر لعدم فهمه للنص الخفى والنص وإن كان خفياً لكنه مع ذلك يحمل فى طياته دليلاً يقينياً،كما فى مسأله الإمامه.

يبقى هنالك شىء لا بد من الإشاره إليه،وهو أنه قد يرد تعبير بالكفر للبعض، فلا يمكن الأخذ بظاهره؛لأنه لا بد من فهمه جيداً ثم بعد ذلك يحصل الحكم به، ولا يمكن اعتبار ذلك تكفيراً لهم،أو أنه إخراج من الدين الإسلامى؛لأن الكفر على مراتب،فلا بد من معرفه مراتبه جيداً حتى يسهل الحكم بعد ذلك؛لأن من مراتبه كفر النعمه-على سبيل المثال-وقد ورد الكفر فى القرآن الكريم على معانٍ كثيره.

ونحن إذ نشكر رواد الوحده الإسلاميه والتقريب بين المذاهب على جهودهم

المباركه فى نزع فتيل الفتنه فى الاُمه الإسـلاميه نلفت نظرهم إلى هـذه المسائل المتقـدمه المهمه،وأن لا يحكم على طائفه بحكم بمجرد الأخذ بظواهر الألفاظ،بل لا بد من معرفه معناها جيداً والمراد منها.

ففقهاء مذهب أهل البيت وكتبهم شاهده على أنهم يحترمون المسـلمين ويدعون إلى حفظ دمائهم وأموالهم وحقوقهم،وكذلك كتب فقه علماء أهل السـنه يقولون بهذا الرأى،ولكن يجب التصدى لاُولئك المتعصبين الذين يثيرون الفتن الطائفيه فى باكسـتان وأفغانستان والعراق وفى باقى بلاد المسلمين.

ص:٢٠۴

المحاضره التاسعه:الحسين عليه السلام وتهمه شق عصا المسلمين

اشاره

ص:۲۰۵

الإمام الحسين عليه السلام وقرار الخروج

لم يكن خروج الحسين عليه السلام على السلطه الحاكمه مجرد رغبه قائد أو نزوه ونزعه حب وقدره قائد،بل هو خروج مبدأ وإنصاف رعيه وإقامه عدل فى مجتمع قد نُخِرَ إسلامه،وضُيعت الأحكام،وسُلبت الحقوق،فكان الإمام الحسين عليه السلام ينظر تاره إلى ذلك المجتمع الذى ذهب فى سبات عميق،واُخرى ينظر إلى الأوامر والتوصيات التى سمعها من جده المصطفى،حيث كان يقول فيها.

«من رأى منكم سلطانا جائرا،مستحلا لحرم الله،ناكثا لعهد الله،مخالفا لسنه رسول الله يعمل فى عباد الله بالإثم و العدوان،ثم لم يغير عليه بقول و لا فعل كان حقيقا على الله أن يدخله مدخله» (۱).

ثم قال عليه السلام:

«ألا و إن هؤلاء القوم قد لزموا طاعه الشيطان و تولوا عن طاعه الرحمن ،و أظهروا الفساد و عطلوا الحدود و استأثروا بالفىء و أحلوا حرام الله،

۱- (۱) بحار الأنوار.۳۸۱/۴۴،باب ۳۷-ما جرى عليه عليه السلام بعد بيعه الناس ليزيد بن معاويه.تاريخ الطبرى.۶۰۵/۴،ثم دخلت سنه إحدى وستين خطبه الحسين فى أصحابه وأصحاب الحر.

وحرموا حلاله» (۱).

فالإمام الحسين عليه السلام كان يرى أن أعمال هؤلاء القوم لم تمت بصله إلى الإسلام فى شىء،فكان يتبرأ من أعمالهم،وهذا ما يظهر من قوله عليه السلام لوالى يزيد على مكه عمرو بن سعيد الذى قال للإمام الحسين عليه السلام حينما خرج الحسين عليه السلام من مكه فاعترضه رسل عمرو بن سعيد بن العاص،عليهم يحيى بن سعيد ليردوه،فأبى عليهم فتضاربوا بالسياط،ومضى عليه السلام على وجهه فبادروه،وقالوا.يا حسين ألا تتقى الله، تخرج من الجماعه وتفرق هذه الأُمه.

فرد عليه الإمام الحسين عليه السلام:

«لى عملى و لكم عملكم،أنتم بريئون مما أعمل و أنا برى مما تعملون» (۲)فهذا منطق القرآن الذى عبر عنه الإمام عليه السلام الذى هو جزء من آيه فى سوره يونس(۳).

وما يلفت النظر هنا هو قول عمرو للإمام الحسين عليه السلام.«تخرج من الجماعه»، حيث كان التعبير بالجماعه يشير إلى السلطات الأموية الحاكمه واتباعها،وإلى الخلافه المسيطره على امور المسلمين،وكذلك نرى أن عمرو بن الحجاج-الذى كان من أبرز معاونى عمر بن سعد-يستنفر جيوش الظلم الأمويه ضد سيد الشهداء الحسين بن على عليهما السلام ويقول لهم.«إلزموا طاعتكم وجماعتكم،ولا ترتابوا فى قتل

۱- (۱) بحار الأنوار.۳۸۲/۴۴،باب ۳۷-ما جرى عليه عليه السلام بعد بيعه الناس ليزيد بن معاويه..تاريخ الطبرى.۶۰۵/۴،الباب المتقدم.

۲- (۲) راجع بحار الأنوار.۳۶۸/۴۴،الباب المتقدم.مثير الأحزان/ابن نما الحلى.۲۸،المقصدالأول.على سبيل التفصيل للأحوال السابقه لقتال آل الرسول.تاريخ الطبرى.۵۸۹/۴،خروج الحسين عليه السلام إلى الكوفه.

۳- (۳) وَ إِنْ كَذَبُوكَ فَقُلْ لِى عَمَلِى وَ لَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِما أَعْمَلُ وَ أَنَا بَرِىءٌ مِما تَعْمَلُونَ)سوره يونس.الآيه ۴۱.

من مرق من الدين،وخالف الإمام»(۱).

فكان الأمويون يزعمون أن السلطات الحاكمه الظالمه هى التى تمثل (الجماعه) وأن الخروج عليها مروق من الدين،أى أن الجماعه هى جماعه بلاط السلطان.

ومن المؤسف أن الكثير من المصطلحات والمفاهيم قد حُرفت وتغير معناها لتخدم الظلمه،وكذلك سُمى بعض الأشخاص بمسميات وهى منهم براء،كما حصل مع عمران بن حطان الذى كان يسكن فى الشام،وكان ورده سب ولعن على بن أبى طالب عليه السلام فقد عَبر عنه أرباب الجرح والتعديل من أهل سنه جماعه السلطان بأنه (شديد صلب فى السنه)،-ولا ندرى كيف يكون من كان ورده سب علىٍ عليه السلام صلباً فى السنه-ثم إنه رأى رأى الخوارج،فأخذ ينكر على السلطان،وإن لم يعتقد بوجوب الخروج عليه.

فنلاحظ أن تعبير سنه الجماعه كان له جذور تمثل الانتماء والولاء للسلطات الحاكمه والجهات التى تعادى أهل البيت عليهم السلام كما حصل مع عمران بن حطان،ومن أراد أن يعرف هذا الرجل جيداً فليراجع كتب رجال الحديث حول ما كتبته عنه(۲).

مصطلح الجماعه المبدل وبدايه نشوئه

لغرض الوقوف جيداً على مصطلح الجماعه الذى تم تبديله فى الحديث النبوى

۱- (۱) بحار الأنوار.۱۹/۴۵،بقيه الباب ۳۷-سائر ما جرى عليه عليه السلام بعد بيعه الناس ليزيد بن معاويه.تاريخ الطبرى.۶۳۳/۴،استشهاد برير بن خضير.

۲- (۲) الضعفاء الكبير/العقيلى.۲۹۷/۳،التسلسل.۱۳۰۴،ترجمه عمران بن حطان.تهذيب الكمال/المزى.۴۸۲/۵،التسلسل.۵۰۷۶.ميزان الاعتدال/الذهبى.۲۸۵/۳،التسلسل.۶۲۸.لسان الميزان/ابن حجر.۴۵۵/۵،التسلسل.۶۶۰۰،فى ترجمه الفضل بن الحباب بن محمد بن شعيب.

لا بد من معرفه بدايه تكونه،وكذلك وجه التسميه به،فإن مصطلح (الجماعه) قد بدأ ظهوره فى المجتمع الإسلامى بعد وفاه النبى صلى الله عليه و آله،خصوصاً فى الحروب التى كانت تسمى بحروب الرده فى زمن الخليفه الأول،صحيح أنه كانت الرده موجوده فى فئه قليله وكان يقودها مسيلمه الكذاب وغيره،إلاأن الواقع أن معظم من عارض ورفض حكم الخليفه الأول لم يكن مرتداً،فقبائل حضرموت وكنده والبحرين وبنى يربوع قوم مالك بن نويره التميمى وغيرهم لم تكن مرتده عن الدين،ولم تتخلى عن أصل من اصول الدين أو فروعه،إلاأنها امتنعت من إيصال الزكاه للخليفه الأول،لا لأنها تنكر وجوب الزكاه،وإنما رفضت الطاعه للخليفه الأول لأنها لا تعتقد بأحقيته بالخلافه،وهذه الأُمور مذكوره فى مصادر التاريخ ككتاب الفتوح لابن أعثم والمسعودى واليعقوبى(۱)وغيرها من المصادر.وهذا مؤشر تاريخى دامغ أن أول من استعمل اسلوب وحربه التكفير واستباحه دماء المسلمين هو الخليفه الأول لقمع المعارضه،وهذا بخلاف نهج أمير المؤمنين عليه السلام،فإنه لم يكفر معارضيه،كما أنه لم يستبح دماءهم،بل هم بدؤه بالقتال فى الجمل وصفين والنهروان.

ومن الأدله على أنهم لم يرتدوا عن الدين ولم يخرجوا من الإسلام.إن جهاز الخلافه لم يقتل أسرى هذه القبائل،وهذا يؤكد أنهم لم يرتدوا عن الدين،بل كل ما فى الأمر أنهم أبوا طاعه السلطان،ومن المعروف أن حكم المرتد هو القتل.

والذى لا يعتقد بأحقيه خليفه معين من قِبل الناس ليس مرتداً،ولا يخرج عن الدين،وأن هؤلاء الذين رفضوا تسليم الحقوق إلى الخليفه؛لأنهم يرون أن هذه الحقوق لا بد أن تصل إلى الخليفه الحقيقى الذى نصبه الرسول فى غدير خم،ولا ندرى كيف يسوغ أهل سنه الجماعه أن يحكموا بردتهم لأنهم رفضوا حكم الخليفه

۱- (۱) راجع.مروج الذهب.۳۱۹/۲،ذكر خلافه أبى بكر الصديق رضى الله عنه،المتنبئون.تاريخ اليعقوبى.۱۳/۲،أيام أبى بكر.

الأول،ومع أنهم لم يحكموا بالارتداد على من خرج على حكم الإمام على عليه السلام فى الجمل وصفين والنهروان،ولماذا الباء هناك تجر وهنا لا تجر ؟ !

ومن المعروف أن أهل السنه لا يعتقدون-حسب زعمهم فى ظاهر كلامهم-أن الخلافه من اصول الدين فلماذا يحكمون على من لا يعتقد بحكم خليفه ما بأنه مرتد.

ومن هذا الوقت بدأت التسميه ب (الجماعه)،وأن الخارج عن جماعه السلطان مارق من الجماعه.

وأما معنى الجماعه فإنه يطلق على السلطات الحاكمه والجهات المناوئه لأهل البيت عليهم السلام-كما رأينا فى مقاله عمرو بن سعيد وفى ترجمه عمران بن حطان-وكل من وافق السلطه الحاكمه وسار على نهجها،فهو داخل تحت هذا الاسم.

ومن هنا فقد استنكر البعض خروج الحسين عليه السلام على حكم يزيد بن معاويه، وكانوا قد أنكروا من قبل على على بن أبى طالب عليه السلام فى حربه مع معاويه بن أبى سفيان وأصحاب الجمل،وقالوا لِمَ لمْ يساوم الإمام على عليه السلام معاويه ويبقيه فى الحكم-كما هى سنه الثانى والثالث،حيث نصبا معاويه على الشام وعلى مركز منابع الأموال،بل سنه الأول،كذلك حيث نصب يزيد بن أبى سفيان أخى معاويه على ولايه الشام-، ويخضع لأطماع الطامعين،ويتنازل عن مبادئه ولا يطبقها بهذه الحده والشده لكى يوحد الأُمه ويحفظ دماءها ؟

النبى صلى الله عليه و آله فى مواجهه قريش

لو نظرنا إلى النبى صلى الله عليه و آله عندما بدء بحركته التبليغيه فى مكه فإنه كان يواجه قريش التى كانت تتمتع بخصائص عديده،فبالرغم من أنها كانت تعبد الأصنام إلاأن أهلها كانوا ينتسبون إلى مله إبراهيم (الحنيفيه)،ومن نسل إبراهيم وإسماعيل،وهم أهل الكعبه،ولهم حرمه خاصه،فالنبى كان يواجه معادله صعبه فى فرض الإسلام على

هؤلاء بحيث يتحولون من متبوعين إلى تابعين،ومن آمرين إلى مأمورين،وكان هذا فى نظرهم استهانه عظيمه؛لأنهم هم الزعماء وقياده قريش للعرب،بل أن بعض المسلمين كانوا يتخوفون من مواجهه فكريه أو مواجهه عسكريه مع قريش لما تتمتع به من المواصفات والخصائص التى ذكرناها،حتى قال بعضهم-حينما سألهم النبى عن رأيهم قبل واقعه بدر فى حرب قريش -.«إنها قريش وخيلاءها لم تهزم قط،وإنها ما ذلت مذ عزت»(۱).

ولهذا فإن أباسفيان كان يعتبر أن النبى صلى الله عليه و آله جاء بهذا الدين الجديد لكى يخرب الدين الذى تتمسك به قريش،ذلك الدين الذى لا يحمى الضعيف،ويسوده قانون الغاب،وتعمه التصرفات الفاسده-ولا نقصد من هذا الدين هو دين إبراهيم الخليل الصحيح الذى جاء به،بل ما يتمسك به هؤلاء زعماً منهم على أنه دين إبراهيم -.

وقد واجهت النبى صلى الله عليه و آله كل هذه الصعوبات وغيرها مما كان من خارج مكه، فشكلت جميعها نظم قوميه وإقليميه؛لأن مكه كانت مهدده من الحبشه كما دللت على هذا سوره الفيل وقصه أبرهه الحبشى،وكذلك تهديدات كسرى الفرس،ومن قيصر الروم،فى الوقت الذى بقت فيه قريش على دين إبراهيم الحنيف،إذن كان النبى يواجه تهديدات قبليه من قِبل قريش،وإقليميه من قِبل دول اخرى،وتهديدات عسكريه،وتهديدات دينيه من قِبل الديانات الأُخرى،وكانت الوضعيه الجغرافيه لمكه وضعيه تجعلها محاطه بالأعداء الأقوياء؛لأنها كانت تمثل المركز الأقوى فى المنطقه ولما تتمتع به من قداسه دينيه،فكل هذه أصبحت جبهه واحده فى مقابل النبى صلى الله عليه و آله،فكان على النبى صلى الله عليه و آله أن يتخذ التدابير الواقيه،وأن يكون أكثر استعداداً

۱- (۱) وردت.«يا رسول الله،إنها قريش وخيلاؤها،ما آمنت منذ كفرت،ولا ذلت منذ عزت»-راجع تفسير القمى.۲۵۸/۱،تفسير سوره الأنفال.الآيه ۶.مجمع البيان.۴۳۲/۴،تفسير الآيه المتقدمه.بحار الأنوار.۲۱۷/۱۹،الباب ۱۰-غزوه بدر الكبرى.

وقوه لردع هذه المخاطر المحتمله،ولكن مع ذلك فإن النبى صلى الله عليه و آله لم يبدأ بالحروب، وإنما كانت حروبه دفاعيه،وأنه اعتمد لغه الحوار،ولكن الحوار الذى اعتمده النبى صلى الله عليه و آله لا يعنى الذوبان فى الباطل،فدافع النبى صلى الله عليه و آله عن الإسلام بكل ما يملك، وكان النبى صلى الله عليه و آله يعتمد على سيف على عليه السلام،هذا السيف الذى جعل بنى اميه يسلمون فى عام الفتح بالضغط،وإسلامهم كان فى الظاهر،ولكنه بلا روح،ولذلك حاربوا علياً بعد النبى صلى الله عليه و آله،وواجهوا سيفه لأنهم لم يمتلكوا الإيمان الحقيقى.

لأن ذلك السيف الذى شيد بناء الإسلام هو السيف الذى فرض الله عليه أن يشيد الإيمان فى حروبه الثلاثه التى خاضها فى زمن خلافته عليه السلام.وكما أن النبى قد واجه حجج قريش باعتبارهم من أتباع دين إبراهيم الحنيف وأنهم أهل حرم الله،كذلك واجه الإمام على عليه السلام حجج المخالفين له بأن من المخالفين له ام المؤمنين،ووجود كبار الصحابه كطلحه والزبير فى الجيش المناوى له،أما الخوارج فكانت حجتهم:

(لا حكم إلالله)،فهذه كلمه الحق التى اريد بها الباطل واُريد بها نفى الإماره البشريه المنصوبه من الدين،وهى دعوى إلى الهرج والمرج،وكذلك معاويه فإنه رفع شعار الثأر والقصاص لدم عثمان ثالث الصحابه،وأنه والى على الشام على حكم الخلفاء الثلاثه،ومع هذا فليس من الممتنع أن يكون هنالك توحيد فى الحاكميه،حيث نعتقد أن التوحيد فى الحاكميه لا يوجد فى أى مدرسه من المدارس الدينيه والفكريه غير مدرسه أهل البيت عليهم السلام التى تطبق التوحيد فى الحاكميه من خلال أصل الإمامه الذى تعتقد به.

الإمام على عليه السلام فى مواجهه الفتنه الفكريه

إن الذين وقفوا فى وجه النبى صلى الله عليه و آله وأصبحوا جبهه واحده لها تلك الطبقات التى ذكرناها،لا يختلفون عمن وقفوا فى وجه أمير المؤمنين عليه السلام من حيث الخصائص والصفات التى تميز بها هؤلاء وتلك المسميات الكبيره التى سُمى بها هؤلاء شكلت

أكبر فتنه أصابت المجتمع الإسلامی،وأنهكت قواه،سواء الماديه أو العسكريه،هذه الفتنه التی وصف خطرها أمير المؤمنين عليه السلام بقوله.

«فإنی فقأت عين الفتنه،و لم يكن غيری ليجترئ عليها» (۱)،فحارب الإمام علی عليه السلام من كانت تحمل لقب ام المؤمنين،هذا اللقب الذی ورد فی القرآن الكريم، وأصبح له هاله من القدسيه والتعظيم،وتفضيل زوجات النبی صلی الله عليه و آله وإن قرر فی القرآن الكريم؛وأنهن امهات المؤمنين،ولكن بشرط التقوی،ومع سقوط هذا الشرط لا يبقی لهن التفضيل،كما بينه قوله تعالی.(يا نِساءَ النَبِي لَسْتُنَ كَأَحَدٍ مِنَ النِساءِ إِنِ اتَقَيْتُنَ) (۲).

وكانت حرب علی عليه السلام لبعض من يُدعی أنه من العشره المبشرين بالجنه كشفت زيف هذه الفكره وأبطلتها وبثت الوعی فی الأُمه،ليظهر الحق ويُعلم أصحابه وتنكشف أوراق الظلمه،لتنجلی الغبره عن أعين الناس،فتتبع أصحاب الحق ولتكون مع الإمام علی عليه السلام الذی قاتل مع النبی صلی الله عليه و آله علی التنزيل كذلك هو الذی يقاتل الآن علی التأويل.

ومع ذلك تأولوا علی أمير المؤمنين عليه السلام بأنه سفك دم المسلمين،كذلك استباحوا سفك دم الإمام الحسين عليه السلام بأنه شق عصا سلطان يزيد،واعتبر خارجاً عن سنه جماعه السقيفه.

فالإمام الحسين الذی اصطفاه الله للمباهله وكان أحد أفرادها،فبالرغم من صغر سنه اختاره الله دون باقی الصحابه من أصحاب اللحی والعمائم،هذا الاعتبار الذی يحمله الحسين عليه السلام وهذه الشهاده الإلهيه القرآنيه التی برهنت علی أن الله اصطفی هذا

۱- (۱) نهج البلاغه.۱۳۷، الخطبه ۹۳،ولكن ورد فيها.«ليجترئ عليها أحد غيری»-بحارالأنوار.۳۶۶/۳۳، باب ۲۳-قتال الخوارج واحتجاجاته (صلوات الله عليه)،الحديث ۵۹۹.

۲- (۲) سوره الأحزاب.الآيه ۳۲.

الطفل الصغير من دون سائر المسلمين لمباهله النصارى تلك المباهله التى أرغمت انوف أعداء الإسلام بفضل هؤلاء،فاصطفاه الله كما اصطفى عيسى للنبوه وهو فى المهد؛لكى ينقدح فى عقليه الأُمه قدر هذا العملاق،وما يستحق من التكريم والتبجيل الذى هو أحد إمامين قاما أو قعدا(١)،وهو الذى يحمل وسام

«حسين منى وأنا من حسين» (٢).

كربلاء وشرعيه حكم أبناء الطلقاء

لا شك أن كربلاء قد خرجت عن كونها معركه بين جيشين؛لأنها أصبحت المصداق الذى أزال عن حكم الطغاه جميع الصفات الشرعيه التى كان قد أثبتها لحكمه طيله الفتره الماضيه،وقد صدق القول بأن كربلاء نجحت فى فصل الشرعيه عن السلطات الحاكمه آنذاك،والتى كانت تتذرع بسنه الجماعه من أجل اتهام المصلحين بالمروق والخروج عن الدين،وهذا يكشف أيضاً أن هذه الجماعه إنما هى جماعه بلاط السلطان وخلافه السقيفه،وبذلك كشفت دماء الحسين الزكيه زيف هذه الحكومات الطاغوتيه المتجبره،وقد احتج من احتج منهم على خروج الحسين عليه السلام بأنه يسبب الهرج والمرج.

ونحن نقول.إن تربع الفساد الخلقى والإدارى على رأس السلطه هو الذى يوجب ذلك،وإن إزاحه هذا الفساد هو الذى يساهم فى إزاحه الهرج والمرج والقضاء عليه.

١- (١) بحار الأنوار.٢٧٩/٢١، باب ٣٢-المباهله وما ظهر فيها من الدلائل والمعجزات.اعلام الورى/الطبرسى.٤٢١/١،الفصل الثانى.فى ذكر الدلائل على إمامته.

٢- (٢) كامل الزيارات.١١٦،الحديث ١١/١٢٦،الباب ١٤-حب رسول الله صلى الله عليه و آله الحسن والحسين عليهما السلام،والأمر بحبهما،وثواب حبهما.المستدرك على الصحيحين/الحاكم.٣٧٨/٣،أول فضائل أبى عبدالله الحسين بن على رضى الله عنه،الحديث ٤٨٨٣.

وقد كان شعار وهدف الإمام الحسين عليه السلام عند خروجه هو الإصلاح فى امه جده رسول الله صلى الله عليه و آله،والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر،وقد ضرب الحسين مثالاً رائعاً لمعارضه الحكم،هذه المعارضه التى تفرض مراقبتها على السلطات الحاكمه، وتسجل اعتراضاتها للفساد الموجود فى هذه السلطه.

وما حزن اولئك الناس على الإمام الحسين عليه السلام إلاإحياءً لتلك المبادئ،ومواساةً للرسول صلى الله عليه و آله،وليكونوا من مصاديق آيه الموده فى القربى وأما الذين يبتهجون ويفرحون فى هذه الليله-ليله العاشر من المحرم الحرام-فهم مصداق لقوله تعالى:

(إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَ إِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنا أَمْرَنا مِنْ قَبْلُ وَ يَتَوَلَّوْا وَ هُمْ فَرِحُونَ) (1)،فهم يفرحون لحزن رسول الله صلى الله عليه و آله بالفاجعه الأليمه التى ألمت به فى كربلاء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين

۱- (۱) سوره التوبه.الآيه ۵۰.

الارهاب

تقريراً لأبحاث آيه الله الشيخ محمد السند

بقلم.الشيخ على الأسدى

ص:٢١٧

الارهاب...المنشاء و الآثار

المحاضره الأُولى:إحياء الشعائر الحسينيه

اشاره

ص:٢١٩

إحياء الشعائر الحسينيه

إن إحياء الشعائر الحسينيه التى هى من الشعائر الدينيه التى ورد الحث عليها متواتراً من طرق الفريقين أمر لا شك فى مشروعيته كما بينه قوله تعالى.(ذلِكَ وَ مَنْ يُعَظِمْ شَعائِرَ اللهِ فَإِنَها مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ) (۱).

والآيه الكريمه لا تختص بالشعائر التى قد تعبّدنا الله تعالى بها لكونها شعيره؛ وذلك لأن كل عمل ورد فى الشريعه إذا لم يكن موضوعه قد عُين وحُدد من قِبل الشرع فإن المتعارف لدى علماء الفقه والأُصول-كمنشأ قانونى شرعى-أن يحمل على معناه اللغوى.

مصاديق الشعائر الدينيه

إن ملاحظه الآيه الكريمه نجد فيها أنه قد اضيفت كلمه«شعيره»،وجمعها (شعائر) إلى الله تعالى،حيث أن معنى الشعيره العلامه والدلاله،فهذا العنوان الذى أخذ من الآيه اضيف إلى الله تعالى،فكل ما يكون معلماً دينياً بالاتخاذ والتواضع عند المتشرعه

۱- (۱) سوره الحج.الآيه ۳۲.

يؤهله ذلك لأن يكون شعيره دينيه يصح جعله مصداقاً من مصاديق الشعيره،وإلا فالآيه ليست مختصه بشعائر الحج مع أنها وارده فى سوره الحج،وتتكلم عن موضوع يتعلق بالحج.

مقوم عنوان الشعيره راجحيتها

الدعوى فى الشعيره أنها حقيقه شرعيه،ولا بد فيها من التعبد،هو خلاف ما يذهب إليه فقهاء كل الفرق الإسلاميه وعلماء الأُصول،فإن هناك ما يسمى بالحقيقه اللغويه للحقيقه الشرعيه،ومقصودهم من الحقيقه الشرعيه ذلك المعنى الذى أنشأه الشارع بتحديد وترتيب أجزاء معينه فى أمرٍ معين كما فى الصلاه التى لها معنى خاص بها، حدده الشارع وتعبد المكلفين به،وإذا لم يرد التعبد فى أمرٍ معين،ولم يرتب حكماً من الأحكام عليها،فحينئذ يبقى المعنى على حاله،فإذا كان الحال كذلك فأى عمل يتخذ علامه ودلاله متشرعيه على معنى مقدس فى الشريعه بعد أن يكون العمل فى نفسه مباحاً يكون مؤهلاً للدخول فى شعائر الله فإنه يصبح أحد مصاديقها إضافه لتلك المصاديق التى جعلها الله كشعائر،ومن الطبيعى أنه يجب أن تكون هذه الشعيره مباحه أو راجحه شرعاً،وليس من المعقول أن يكون هذا العمل المراد اعتباره شعيره عملاً محرماً شرعاً فى نفسه؛لأن العمل المحرم يرفضه الشرع،ولا يصلح أن يكون علامه للدين باعتبار أن الشعيره علامه.

تطبيق على المولد النبوى

إن التحديد الموضوعى والقانونى لأى مصداق من مصاديق الشعائر أن يكون موضوعاً مباحاً فى نفسه،ولذلك لم يتحرج أحدٌ من فقهاء المذاهب الإسلاميه-عدا الشاذ المريب منهم-من اعتبار إحياء المولد النبوى المبارك أمراً حسناً وإيجابياً رغم أنه لم يرد ما يدل على إحيائه بصوره خاصه دليل من الشرع،إلاأن المذاهب الأربعه

فضلاً عن مذهب الإماميه لم يتركوا الاحتفال بهذه المناسبه الكريمه؛لأن الإحتفال بمولد النبى صلى الله عليه و آله يحمل فى طياته التكريم والتبجيل والتعظيم للنبى محمد صلى الله عليه و آله الذى أدب القرآن الكريم المسلمين على ذلك.وهذا يعتبر تعظيماً للدين،ويكون مولده شعيره من الشعائر الدينيه.

الشعائر الدينيه بين التعبد والحداثه

إذن فى الشعائر الدينيه لا يرد الاعتراض على استحداث أساليب جديده لإحياء الدين باعتبارها بدعه،وكل بدعه ضلاله،بل البدعه إنما تكون فى ما لم يرخص به الشارع المقدس لا بالأمر الخاص ولا بالأمر العام،والشرعيه لا تختص بالأمر الخاص،وإلا لم يقم للدين بناء،بل الشرعيه تعم كلا الأمرين،ولا يتوهم الاختصاص إلاالحشوى المتهم على الدين؛وذلك لأن الشعائر الدينيه لم تكن محدده بمصداق معين بحيث لا تنطبق على غيره.نعم هناك بعض العبادات محدده،كالصلاه،حيث حدد الشارع بدايتها بالتكبير،ونهايتها بالتسليم،وثلثها الركوع،وثلثها السجود،ولها كيفيه معينه،أما إذا لم يحدد الشارع كيفيه معينه فيستساغ إحياء تلك الشعيره أو غيرها الداله على المعنى الدينى بشرط كونها مباحه أو راجحه.

المعنى اللغوى ودوره فى فهم النصوص الشرعيه

لتوضيح المطلب نأخذ مثالاً على ذلك،فمثلاً قوله تعالى.(وَ أَحَلَ اللهُ الْبَيْعَ) (۱)، هذا نص شرعى،ولا يعنى هذا النص أن البيع قد استجد معناه وحمل معنى معيناً،بل معناه هو المعنى اللغوى،أى نحمله على ما يفهمه عرف العقلاء،وأن الشارع لم يردع عن هذا المعنى اللغوى،وهذا دأب حتى اولئك الذين يحكمون بالبدعه على كل ما

۱- (۱) سوره البقره.الآيه ۲۷۵.

استجد من الشعائر الدينيه والطقوس والمراسم الدينيه فى إحياء وتشييد معانٍ دينيه ساميه،فهؤلاء أيضاً يعتمدون فى فهم النص فى أبواب الفقه على المعنى اللغوى الوارد فيه إلاإذا تناقض هذا الفهم اللغوى للنص مع معنى من المعانى التعبديه الشرعيه.

الشعيره معناها العلامه

إن اليافطات والإعلانات الموجوده على بعض المبانى إنما تدل على امورٍ معينه،كما لو رأينا إعلاناً مكتوباً عليه (عياده)،فإن هذا الإعلان دليل على وجود طبيب وأجهزه طبيه تمثل العياده،كذلك الدين له علامات وشعائر،فتاره تكون هذه الشعائر محدده من قِبل الله تعالى،كما قوله تعالى.(إِنَ الصَفا وَ الْمَرْوَهَ مِنْ شَعائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُناحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَوَفَ بِهِما) (۱)،وأُخرى لم تكن محدده،وتحديد الشارع لبعض مصاديق الشعائر لا يعنى رفضه للمصاديق الأُخر التى لم يحددها،بل إطلاقه للفظ الشعيره ترخيص بانطباق الطبيعه العامه على بقيه المصاديق التى تحمل معنى العلاميه والدلاليه.

مصاديق موده أهل البيت عليهم السلام

إن كلامنا هذا لا يعنى أنه لم يرد من الشرع إلاآيه فى الحث على إحياء الشعائر الحسينيه،بل إن هناك الكثير من الأدله التى تدل على استحباب إحياء الشعائر الحسينيه،فالآيه الكريمه التى تقول.(قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَ الْمَوَدَهَ فِى الْقُرْبى) (۲)،فالموده تفيد أن الفرح لفرح المودود الذين هم آل محمد صلى الله عليه و آله،

۱- (۱) سوره البقره.الآيه ۱۵۸.

۲- (۲) سوره الشورى.الآيه ۲۳.

والحزن لحزنهم،أمر لاـ بـد من تحققه،وإلا لم تتحقق هـذه الموده؛وذلك لأن الموده أرقى وأعلى وأشـد من المحبه،ويشترط فى الموده صـدق الحب من المحب للمحبوب،وكذلك الموده تتضـمن موضوع إبراز المحبه وإظهارها،ومن هذا المنطلق نحن نفرح لفرحهم ونحزن لحزنهم لكى نحقق مفهوم الموده.

دلاله تعظيم الله على الرجحان

لو رجعنا إلى نفس هذه الآيه المتقدمه فإنها تدل على أن إحياء ذكرى عاشوراء هى من الشـعائر الدينيه؛لأن هذا الأمر أمراً راجحاً فى الدين،وقد ورد فى كتب العامه متواتراً:

«الحسن و الحسين سيدا شباب أهل الجنه» (۱)،

«و أنهما ريحانتا رسول الله صـلى الله عليه و آله» (۲)، وما حصل عليه أهل البيت من مقامات عاليه قد بُين بعضـها فى القرآن كما هو شـأن آيه المبـاهله،وآيه الموده،وآيه التطهير،وسوره الـدهر،وغيرهـا،فكـل ذلـك يوجب تعظيمهمـا وتبجيلهما؛لأن لهما ذلك المكان العالى الذى لا بد للإنسان المؤمن أن يتعاطى معه بما يليق به.

وقد ورد فى كتب العامه:

«أن مخلوقات الله كالسماء و الأرض و كل حجر و مدر

۱- (۱) المستدرک على الصحيحين.۱۵۶/۴،باب الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنه،الأحاديث.۴۸۳۱،۴۸۳۲،۴۸۳۳.سنن ابن ماجه.۸۴/۱،فضائل على بن أبى طالب،الحديث ۵/۱۱۸.الترمذى.۵۳۰/۳،مناقب أبى محمد الحسن بن على بن أبى طالب والحسين بن على بن أبى طالب رضـى الله عنه،الحديث ۳۵۵۳.الفقيه.۱۲۶/۴،كتاب الوصيه-باب الوصيه من لدن آدم عليه السلام،الحديث ۳.

۲- (۲) كامـل الزيارات/ابن قولويه.۱۱۵،باب ۱۴-حب رسول الله صـلى الله عليه و آله الحسن والحسـين عليهمـا السـلام،والأـمر بحبهما،الحديث ۸ و ۹.بحار الأنوار.۲۷۰/۴۳،باب فضـلهما،ومناقبهما،والنصوص عليهما،الحديث ۳۴.الترمذى.۵۲۶/۳،مناقب أبى محمد الحسن بن على بن أبى طالب والحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه،الحديث ۳۵۴۲.

والملائکه قد بکت علی الحسین علیه السلام» (۱)،وهذا ما لا یترک للمشککین منفذاً للتشکیک فی شرعیه إحیاء ذکری الحسین علیه السلام.وقد ذکر الشیخ جعفر آل کاشف الغطاء أن مشاهدهم وقبورهم قد شُعِرتْ من قِبل الرسول صلی الله علیه و آله،حیث قد ورد عن طرق العامه-فضلاً عن طرق الخاصه-الحث علی زیارتهم وإعمار قبورهم وما شابه ذلک،مما یدل علی رغبه الشارع فی إشاده هذا البنیان کمعلم للدین.إذن کون هذه الشعیره من الشعائر العظیمه للدین أمر مسلَّمٌ به.

ثمار الشعائر الحسینیه ومصادیقها

قد بین أهل البیت علیهم السلام بعض الأسالیب والمصادیق فی إحیاء الشعائر الحسینیه،إلاأن تبیینهم علیهم السلام لتلک الأسالیب لا یدل علی الحصر وأن غیرها من الأسالیب والمصادیق مرفوضه فی الشرع.

ولنا أن نتساءل عن کیفیه اختیار الشعائر المناسبه ؟

ذکرنا أن الشرط الأول فی الشعائر الدینیه-فضلاً عن الشعائر الحسینیه-أن تکون هذه الشعائر عملاً مباحاً،وهذا أمرٌ جلیٌ واضحٌ.وقد مر علینا أن الشعائر تعنی العلامات لمعنی دینی معین،ونحن نری أن الشعائر الحسینیه تُؤتی ثمارها إلی یومنا هذا لیس علی صعید مذهب أهل البیت علیهم السلام فحسب،وإنما علی صعید المذاهب الإسلامیه الأُخری أیضاً،فنلاحظ مثلاً شباب الانتفاضه الفلسطینیه الذین اتخذوا من شباب المقاومه فی جنوب لبنان نموذجاً لمحاربه إسرائیل،والجنوبیون اتخذوا

۱- (۱) تفسیر القرطبی.۱۹۹/۱۰،تفسیر سوره الإسراء.الآیه ۷.تفسیر ابن کثیر.۲۳۴/۷،تفسیرسوره الدخان،الآیه ۲۴.تفسیر الدر المنثور.۳۵۸/۷.تفسیر الآیه المتقدمه.کفایه الطالب/الکنجی الشافعی.۴۴۳ و ۴۴۴،قاعده فی ذکر المعقبین من أولاد أمیر المؤمنین علیه السلام،الثانی أمیر المؤمنین الحسین بن علی علیه السلام.

الحسين عليه السلام مناراً فى حربهم وتحريرهم لبلادهم من رجس العدو الصهيونى.فكل ذلك كان بفضل الروح الثوريه التى كانت عند الحسين عليه السلام الرافضه للذل والهوان.

ولو رجعنا إلى روايات أهل البيت عليهم السلام نجدها قد حددت المعنى الذى يجب أن تكون الشعائر الحسينيه داله عليه،وقد جمع الحر العاملى فى كتاب وسائل الشيعه (فى نهايه كتاب الحج) روايات تتحدث عن الزياره،مبوبه فى ما يربو على المائه باب وجميعها تحث على الزياره،وخصوصاً زياره الحسين عليه السلام،فمن الباب الثامن والثلاثين إلى ما بعد الباب السبعين قد خصها صاحب الوسائل للشعائر الحسينيه.

وهذا دليل على محبوبيتها عند المولى واستحباب فعلها.

ولا بد لمن يريد أن يقيم دراسه معمقه عن الشعائر الحسينيه من الاطلاع على هذه الأبواب التى ذكرناها،فمن المصاديق المذكوره فى بيان إحياء الشعائر الحسينيه التى وردت فى رواياتهم عليهم السلام البكاء والجزع-يعنى شده الحزن على سيد الشهداء-وزياره الحسين وإنشاد الشعر.

والشعائر الحسينيه لها عده وجوه.

الوجه الأول:هو الحزن والجزع والتفجع والبكاء.

والوجه الثانى:هو الحماس،وإثاره المشاعر،وتجييش العواطف،والفداء، والتضحيه،والاستبسال،والشجاعه.

والحماس على أنواع،فقد يكون حماساً متصلاً باللعب والحرص والطمع،وقد يكون متصلاً بالعمل والجد،وقد يتصل بأُمور دنيويه،ولكن الحماس فى الشعائر الحسينيه هو أمر مختلف؛لأنه يتصل بالحزن على سيد الشهداء،ويوضح موقف الحق بوجه الظلم.

والوجه الثالث:هو وجه المبادئ والقيم النبيله التى استشهد من أجلها الإمام الحسين عليه السلام،ومن المعروف أن الإمام الحسين هو أكثر إمام ورد الحث على زيارته،

وهذه الزيارات المأثوره تشد الزائر إلى المعانى التى من أجلها استشهد الحسين عليه السلام، فقد ورد فى زياره وارث:«وَأَشْهَدُ أَنَّكَ مِنْ دَعائِمِ الدِينِ، وَأَرْكانِ الْمُؤْمِنِينَ، لَمْ تُنَجِسْكَ الْجاهِلِيَهُ بِأَنْجاسِها،وَلَمْ تُلْبِسْكَ مِنْ مُدْلَهِماتِ ثِيابِها»(۱)،وقد ورد من آداب زياره الحسين عليه السلام أن لا يملأ الزائر بطنه بالطعام والشراب،بل يكون جائعاً وعطشاناً لكى يعيش أجواء استشهاد الحسين المقتول عطشاناً،وقد أنب الإمام الصادق عليه السلام بعض الشيعه الذين كانوا يطيبون السفر عند قبر الإمام الحسين عليه السلام حيث قال أبو عبدالله عليه السلام لأحد أصحابه:

«تأتون قبر أبى عبد الله عليه السلام،قال.قلت.نعم،قال:

تتخذون لذلك سفره ؟قال.قلت.نعم،قال:

أما لو آتيتم قبور آبائكم و امهاتكم لم تفعلوا ذلك...» (۲)،باعتبار أن تهادى الحلوى لا يناسب أجواء المصيبه والحزن.

عاشوراء شعيره الحزن والعزاء

ذكر الشيخ المفيد أنه يستحب فى يوم العاشر للمؤمن أن لا يلتذ بالطعام والشراب، ولا يتزين بزينه،ولا تكون حالته الظاهره حاله فرح،بل حاله حزن ومصاب،وقد اثر عن الكثير من فقهاء الإماميه أنهم كانوا لا يتناولون الفواكه فى أيام عاشوراء،باعتبارها مظهراً من مظاهر التلذذ،وكان الأئمه عليهم السلام تبدو عليهم علامات الحزن بمجرد دخول شهر محرم الحرام.

۱- (۱) بحار الأنوار.۲۰۰/۹۸،باب زيارته (صلوات الله عليه)،وهى عده زيارات مسنده.

۲- (۲) راجع بحار الأنوار.۱۴۰/۹۸،الباب ۱۷-باب آداب زيارته (صلوات الله عليه).مستدرک الوسائل.۳۴۸/۱۰،باب أنه يستحب لمن أراد زياره الحسين عليه السلام أن يصوم ثلاثاً آخرها الجمعه،الحديث ۲/۱۲۱۵۴.وقد ورد أيضاً.إن صرام قال لأبى عبدالله عليه السلام.«إن قوماً يزورون قبر الحسين بن على عليهما السلام فيطيبون السفر،قال.فقال أبو عبدالله عليه السلام.«أما أنهم لو زاروا قبور آبائهم ما فعلوا ذلک»-مستدرک الوسائل.۳۴۹/۱۰،الباب المتقدم،الحديث ۲/۱۲۱۵۴.

المحافظه على قدسيه الذكرى

كانت عاشوراء فى السابق أكثر تفجعاً وحزناً،كما ينقل بعض من عاصر تلك الحقبه، أما الآن فبعض الممارسات والمظاهر لا تتناسب مع الحزن على مصاب سيد الشهداء عليه السلام.كما أن البعض فى أيام محرم لا يراعى حرمه المناسبه،فيلبس لباساً مثيراً،وكذلك بعض الألحان التى تكون فى مواكب العزاء لا تتناسب مع الحزن والفاجعه فى هذه الذكرى الأليمه.

وقد ورد فى بعض الروايات الحث على قرآءه القرآن بحزن؛لأن اللحن الحزين يساعد على التدبر والتحليق فى معانى القرآن الكريم،وأتذكر الألحان القديمه لحمزه الصغير وغيره من الرواديد رحمهم الله كانت ألحان مفجعه.إذن المطلوب من الألحان أن تكون ألحاناً حماسيه حزينه لا ألحاناً حماسيةً مطربه،وهذا الأمر ليس أمراً هامشياً وإنما أمراً مهماً؛لأن الموكب واجهه مهمه تبرز الشعائر الحسينيه للناس.

ص:٢٢٩

المحاضره الثانيه:البكاء وعلاج ظاهره الإرهاب والقسوه

اشاره

ص:٢٣١

أركان الشعيره الحسينيه

مر علينا فى سابقاً ذكر الروايات المتواتره عن أهل البيت عليهم السلام التى تصف بأن الشعيره الحسينيه يجب أن تتقوم بأركان ثلاثه.

الركن الأول.تضمن معنى الحزن والمصاب والتفجع.

الركن الثانى.الحماس والعاطفه الجياشه.

والركن الثالث.المبادئ والقيم النبيله التى رسمها الحسين عليه السلام فى نهضته.

وقد تقدم الكلام عن الركنين الأول والثانى،وبقى الكلام عن الركن الثالث.

دلاله الشعائر الحسينيه على أهداف ثوره الحسين عليه السلام

إن الضروره لائحه فى كون الشعيره الحسينيه داله على المعانى والفضائل والقيم النبيله والأهداف الإصلاحيه التى نهض من أجلها الإمام الحسين عليه السلام حيث كانت منعطفاً مهماً فى التاريخ الإسلامى،وحيث أن أهل البيت عليهم السلام هم العِدل الثانى الذى أمرنا بالتمسك به،فلا بد أن تكون أقوالهم وأفعالهم وسيرتهم حجه،ومن ثم فإن الشعيره الحسينيه لا بد أن تكون داله على الأهداف والفضائل والقيم النبيله التى قام

من أجلها الحسين عليه السلام وصحح مسيره الأُمه.

أهداف ثوره الحسين عليه السلام وتطبيقها فى الواقع

يجب على الأُمه أن تجعل الشعيره الحسينيه من منطلقات الإمام الحسين وأهدافه محوراً وقطباً ومنهلاً تنهل منه الحلول لقضاياها الراهنه،وإذا كان استعراض القضايا الراهنه بعيداً عن فكر كربلاء وعطاء الحسين فإن الشعيره الحسينيه لا تؤدى غرضها كما ينبغى،وكذلك استعراض السيره الحسينيه بعيداً عن ربطها بالقضايا الراهنه المعاصره يقف عائقاً أمام تحقيق غرض الشعيره الحسينيه،ولا يمكنها أن تؤدى غرضها بصوره كامله إلاإذا قمنا بتحليل مواقف الإمام الحسين وكلماته وتطبيقها على الواقع،وحينئذٍ نكون قد تمسكنا بالإمام الحسين الذى هو مصباح الهدى وسفينه النجاه.

هل البكاء ظاهره سلبيه ؟

من المعروف أن البكاء أحد الأُمور المؤكده التى حث عليها أهل البيت عليهم السلام،بل هو من أبرز الشعائر الحسينيه التى تديم الموده بين الناس وأئمتهم عليهم السلام.

ولهذا نجد أن من القضايا المثاره حول شعائر الحسين هى قضيه البكاء والجزع، التى تثير الاعتراضات من قِبل غير المسلمين،أو غير الشيعه من المذاهب الإسلاميه الأُخرى،وهذه الاعتراضات تكشف عن جهل صاحبها وأنها غير مدروسه؛لأن البكاء ظاهره نفسيه تستحق البحث والدراسه فى حقول علم النفس.

وعلى ذلك يمكن أن نطرح سؤالاً هو.هل أن البكاء ظاهره سلبيه بما تحمله من حاله الانكسار والضعف وعدم الشجاعه فى مواجهه الواقع-كما يقولون-أم أن لها آثار إيجابيه عظيمه ؟

وقبل الإجابه عن هذا السؤال لا بد أن نبين آثار البكاء.

البكاء علاج لأمراض الروح والنفس

إن الدراسات الغربيه تؤكد أن الكثير من العقد والأمراض النفسيه والإجرام والاضطرابات الروحيه إنما تحصل نتيجه غياب وفقدان البكاء،وأن فى البكاء علاج لهذه الأمراض الروحيه والنفسيه،وقد عمل بعض الأطباء الغربيين على تهيئه أجواء بكاء لبعض المرضى،أو كما يصطلحون عليه بالبكاء الاصطناعى فى مقابل البكاء الطبيعى؛لأن فى البكاء علاج نفسى.

الإسلام والقرآن الكريم يثنى على البكائين

إن مسأله البكاء يجب أن تخضع لدراسه،ولا ينبغى أن يحكم عليها بالسلبيه، خصوصاً أن الإسلام قد حث على البكاء من خشيه الله والتوبه من الذنوب والرجوع إلى الله،ونلاحظ أن القرآن الكريم قد أثنى على القسيسين والرهبان؛لأن أعينهم تفيض من الدمع.قال تعالى.(لَتَجِدَنَ أَشَدَ الناسِ عَداوَةً لِلَذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَ الَذِينَ أَشْرَكُوا وَ لَتَجِدَنَ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَةً لِلَذِينَ آمَنُوا الَذِينَ قالُوا إِنا نَصارى ذلِكَ بِأَنَ مِنْهُمْ قِسِيسِّينَ وَ رُهْباناً وَ أَنَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ وَ إِذا سَمِعُوا ما أُنْزِلَ إِلَى الرَسُولِ تَرى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَمْعِ مِما عَرَفُوا مِنَ الْحَقِ يَقُولُونَ رَبَنا آمَنا فَاكْتُبْنا مَعَ الشاهِدِينَ) (۱).

دور البكاء فى وصول الإنسان إلى الكمال

الكبر والعجب والتعجرف والاستعلاء والعصبيه أمراض نفسيه تصيب الإنسان، ويعتبر البكاء علاج لهذه الأمراض،بل يستطيع البكاء أن يقتلع الكثير من جذور الصفات المذمومه فى النفس.ولا يقترب الإنسان-فى أغلب الأحيان-من البكاء إلاإذا

۱- (۱) سوره المائده.الآيتان ۸۲ و ۸۳.

اقترب إلى الفضائل والقيم النبيله والمبادئ الإنسانيه العاليه،والسبب أن الانفعال الذى يحصل حال البكاء إنما يتولد بعد إخبات الإنسان لذلك المعنى الرفيع الذى ينفعل معه،والإخبات إذعان وانقياد،فلا يتم بكاء إلاوالإيمان بذلك المعنى قد تحقق.نعم،قد تعاود مقتضيات الرذيله وذلك لوجود واستمرار أسبابها،وهذا أمر آخر.ولكن يظل البكاء ممانع لتلك الرذائل.وتكون نتيجه هذا البكاء هو تخلص الإنسان من الرذائل وابتعاده عن الأفراد والجماعات التى تمارس هذه الرذائل الروحيه،ويقرب البكاء الإنسان إلى الفضائل،ويجعله يحب ويقترب إلى أهل الفضائل والمحسنين والصالحين.

الحكمه الإلهيه لخلق حاله البكاء عند الإنسان

ولو تساءلنا.لِمَ خلق الله حاله البكاء وجعلها مرتبطه بالإنسان ؟

الجواب هو.إن البكاء تصحيح،وطب نفسى سريع جداً للأمراض المتجذره، والتى ربما تكون أمراضاً نفسيه وسرطانيه خطيره تهدد مستقبل الإنسان والمجتمع، ومن ناحيه اخرى فإن البكاء يبنى الفضائل والمحاسن فى نفس الإنسان بشكل سريع أيضاً.

فعلى سبيل المثال.الخشوع لله- وهو من أفضل الكمالات التى يحصل عليها الإنسان-ورقه القلب والصفاء النفسى له علاقه وثيقه بالبكاء،ويختصر البكاء الطريق إلى الله ويقرب إليه.

الآثار الإيجابيه للبكاء

لا نجد فى المصادر الإسلاميه من القرآن وأحاديث أهل البيت عليهم السلام،بل حتى روايات أهل السنه المذكوره فى صحاحهم،إلاالثناء والمدح للبكاء والتنويه بآثاره الإيجابيه؛لأن البكاء يقف مقابل الرعونه والخشونه والقساوه،والمجتمع الدولى

يعانى اليوم من الإرهاب والقساوه والعنف والفرعنه والأنانيه.

ويصلح البكاء-إذا ما نجحنا فى تفعيله فى النفس-أن يُذهب القساوه والعنف والإرهاب من نفس الإنسان،فمن الخطأ الاستخفاف والاستهزاء بالبكاء؛لأن البكاء من أفضل العبادات،والإنسان يكون فى أقرب الحالات إلى الله تعالى إذا كان فى حاله الانكسار والتضرع والضعف.

الحسين قتيل العَبره

لا شك فى أن البكاء يصاحب هذه الحالات النفسيه العاليه،ومن هنا كانت روايات أهل البيت عليهم السلام تعبر عن الحسين بأنه (قتيل العَبره)،والعَبره هى الدمعه والبكاء المرتبط بالفضائل،والنبى صلى الله عليه و آله يقول:

«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» (۱).إذن العَبره الحسينيه تصب فى مصب بناء مكارم الأخلاق،وتتناغم مع أهداف الرساله المحمديه صلى الله عليه و آله.

التفاعل مع القضيه ودوره فى تفعيل البكاء

بعض الروايات تشير إلى أن من أسرار استشهاد الإمام الحسين عليه السلام هو بكاء المؤمنين عليه،باعتبار أن البكاء له دور كبير فى البناء الاجتماعى،وتحصينه من الآفات،وحثه على المكرمات.

ولا يمكن للبكاء أن يفعل مفعوله فى النفس إلاإذا عرف الإنسان آثاره الإيجابيه وسعى إليه،وتفاعل مع القضيه التى بكى من أجلها،وبكى باعتبار أن البكاء باب من أبواب الفضيله والكمال الإنسانى،ومن المعروف أن الله قريب من الخاشعه قلوبهم، وبعيد عن القاسيه قلوبهم.

۱- (۱) مستدرک وسائل الشيعه.۱۸۷/۱۱،باب استحباب التخلق بمكارم الأخلاق،الحديث۱/۱۲۷۰۱.

هل الإرهاب مرادف للصلابه والشده ؟

سنتحدث الآن عن موضوع الإرهاب كمرادف للوحشيه والحيوانيه والرعونه والخشونه والقسوه والعدوان،وفى مقابله اللين والرفق والسلام،وما نريد أن نبينه هنا هو.هل إن كل موقف من مواقف الشده والصلابه هو موقف إرهابى وحشى، أم هو متوقف فى عنوانه على الآثار المترتبه عليه ؟

الإجابه القانونيه لهذا السؤال.

وللإجابه عن هذا السؤال لا بد من استعراض الإجابه القانونيه له،سواءً كان القانون قانوناً إلهياً سماوياً أو قانوناً أرضياً وضعياً،وقبل الإجابه عن السؤال لا بد من معرفه الخلفيات الحقوقيه لهذا الموضوع،وتسبق هذه الخلفيه الحقوقيه مرحله أخلاقيه ثم رؤيه فلسفيه عقائديه،وهذا أمر متسالم عليه عند علماء القانون الإلهى والوضعى.

إذن هناك أربع مراحل.المرحله الأُولى.الرؤيه العقائديه والفلسفيه،والمرحله الثانيه.المرحله الأخلاقيه،والمرحله الثالثه.القضيه الحقوقيه،والمرحله الرابعه:

القضايا القانونيه.

المراحل التى تستند إليها القضايا القانونيه

المرحله الأُولى:الرؤيه العقائديه والفلسفيه،لا شك أن لكل قضيه-مهما كانت - لا بد أن تحمل فى طياتها رؤيه عقائديه وفلسفيه تبين الاتجاه والمعنى لهذه القضيه، سواءً كانت هذه الرؤيه دينيه تعتقد بوجود الخالق،أو رؤيه ماديه لا تعتقد بوجوده،أو هل إن الإنسان هو المحور ؟ أم الله هو المحور ؟ أو المجتمع هو المحور ؟ ولا بد من تحديد الرؤيه العقائديه والنظره الفكريه للكون،وحتى الدساتير الغربيه التى كانت تعتبر الفرد هو المحور وأن الحريات الفرديه هى المقدمه على غيرها،عادت وقالت:

إنه ينبغى الموازنه بين حريه الفرد وحريه المجتمع.

وعلى كل حال فهذه الدساتير تستند إلى رؤيه عقائديه معينه أياً كانت هذه الرؤيه، وهو ما يسمى فى العلوم الإسلاميه (علم الكلام) أو (نظريه المعرفه).

هذا ما أوجزناه فى هذه المرحله،أما المراحل المتبقيه وهى.

المرحله الثانيه:القضايا الأخلاقيه.

المرحله الثالثه:القضايا الحقوقيه.

المرحله الرابعه:القضايا القانونيه.

فسوف نتناولها إن شاء الله فى ضمن مباحثنا الآتيه.

معرفه خلفيات القانون ودورها فى الحكم عليه

من الصعب أن تعرف أن هذا القانون قانوناً عادلاً ـ أم قانوناً ظالماً وأنت لا تعرف خلفيته الحقوقيه،أو أن تحكم على أمر معين بالصحه أو الخطأ وأنت لا ـ تعرف فلسفته الأخلاقيه،ومن الممتنع أن تحكم على رؤيه أخلاقيه من دون أن تتعرف على الرؤيه العقائديه التى تستند إليها تلك الرؤيه الأخلاقيه،فمثلاً.بعض فلاسفه الغرب يعتقدون أن منظومه الأخلاق إنما هى وليده الغرائز الجنسيه،ولهذا فهم يدعون إلى الإباحيه الجنسيه لغرض الوصول إلى الأخلاق،وذهب البعض الآخر إلى أن هناك روح وهناك قوه عقليه يجب أن تهذب الغريزه الجنسيه وتضبطها عن الخروج من الإطار الذى حدد لها.ومن الواضح أن حكم هؤلاء القانونى سيختلف عن حكم اولئك باعتبار الاختلاف الناتج عن الخلفيات العقائديه الفلسفيه والأخلاقيه والحقوقيه.

وهناك مدرسه الباراسيكلوجيه أو علماء الأثير ولهم نظره مخالفه للماديين، ونظرياتهم مشابهه للنظريات الدينيه والملل الموحده،ولهم مدارس وبحوث وجامعات وأكاديميات ومنتديات علميه يطرحون من خلالها عقائدهم وأُصولهم التى يتبنونها،ولهم مباحث معطاءه وخلابه.

دراسه خلفيات القانون ومعرفه حدودها

إذا أردنا دراسه الإرهاب كمرادف للوحشيه والرعونه والخشونه والحيوانيه والقسوه وإثاره الحروب والبغض والكراهيه وما يكون فى مقابله اللين والرفق والسلام والهدوء والأمن والحوار والتأنى فى الحكم والإخاء والصداقه والمحبه،فلا بد من دراسه القانون وخلفياته الحقوقيه والرؤيه العقائديه الفلسفيه التى تستند إليها هذه الخلفيه من أجل معرفه الصحيح من السقيم فى كل هذه الأمور التى ذكرناها؛ ولكى تتبين الخطوط التى لا يجوز تجاوزها،ومعرفه موضع التجاوز،وأين يجوز الحكم...الخ.

رؤيتنا العقائديه

إذا كان بحثنا بحثاً علمياً منطقياً لا بد لنا أن نلتزم بهذا التسلسل،ولا بد فى البدايه من التأكيد على وجود الرؤيه العقائديه التى تبتنى عليها أى فكره-مهما كانت بسيطه - أو يبتنى عليها أى دين،وبما أننا مسلمون فرؤيتنا تبتنى على وجود الخالق لهذا الكون وعلى توحيده أيضاً،ولا داعى للتفصيل فى رؤيتنا العقائديه لأننا مسلمون وموحدون،وهذا من المسلمات التى نعيشها وأمر مفروغ منه.

لكل فعل منشأ أخلاقى

قبل الدخول فى المرحله الأخلاقيه انوه إلى قاعده ذكرها علماء الفلسفه وعلماء الأخلاق،وهى.«أن لكل فعل جذر أو منشأ أخلاقى عند الفرد وعند المجتمع»،أى أن كل ظاهره فرديه أو اجتماعيه أو اسريه لها منشأ نفسانى أخلاقى،وكل عمل فردى أو اجتماعى لا بد أن ينطلق من رؤيه عقائديه معرفيه معينه.

الارتباط بين المراحل الأربع

إن أى نزاع قانونى لا يمكن حلحلته وتتبع أوراقه وحقائقه إلاعبر هذه المراحل

الأربع المتقدمه التى ترتبط ارتباطاً وثيقاً بين بعضها البعض،ونحن نلاحظ أن الدساتير فى البلدان الإسلاميه تشير إلى أن دين الدوله هو الإسلام،وأن القرآن هو مصدر التشريع،أو بعبارات قريبه من هذا المعنى ومن هذا المنطلق.يجب أن يتنبه القانونيون إلى أن الأُصول القانونيه ليست هى فقط المواد الدستوريه التى من خلالها يمكن صياغه الأحكام والقوانين التى تلبى حاجه الناس،ونقصد من الأُصول القانونيه (البنى الأساسيه التى يرجع إليها فى سن القوانين،وترجع إليها تفاصيل القوانين والقوانين الفرعيه)،فيجب الالتفات إلى أن الأُصول القانونيه ليست مقتصره على المواد الدستوريه الأُم (الأصليه)بل لا بد من النظر إلى المواد الأخلاقيه التى يؤمن بها ذلك المجتمع،والتى هى نفسها اصول قانونيه بناء على ما ذكرناه من ارتباط المراحل الأربع.

روح الشريعه وفقه المقاصد

ما ذكره فقهاء الإماميه من أن هناك روح الشريعه وفلسفه الأحكام ترجع إلى اصول قانونيه ولكن لا تقتصر على الأُصول القانونيه الفرعيه،وما يسمى (فقه المقاصد) ولا يعنى فقه المقاصد إرجاع الفقه إلى المقاصد الفرعيه،بل هناك ما هو أكثر أصاله من الأحكام الفرعيه،وهى البنيه التحتيه الأخلاقيه التى تهيمن على القوانين الفرعيه.

صحيح أن هناك فرق بين الباحث القانونى والباحث الأخلاقى باعتبار اختلاف التخصص،ولهذا نجد أن القاضى-مثلاً-سواءً كان قاضياً مدنياً أو شرعياً-أن عليه فصل النزاع بالمواد القانونيه التى ترجع إلى الهيمنه الأخلاقيه كما ذكرنا.

الإمام الحسين عليه السلام يرجع أعداءه إلى الأُصول الأخلاقيه

لا شك أن للأُصول الأخلاقيه أثر كبير فى استرجاع الصواب وإعاده المخطئ إلى الطريق الصحيح،ولكن كل ذلك متوقف على استجابه الوجدان الجماهيرى المتمثل

برد الفعل الباطنی للناس،ولذلک نری أن الإمام الحسین علیه السلام فی واقعه الطف یخاطب الوجدان الأخلاقی للأعداء،فمثلاً.عندما اعتدی الجیش الأموی علی مخیم الإمام الحسین علیه السلام وعلی حرم رسول الله صلی الله علیه و آله قال لهم الحسین علیه السلام.

«یا شیعه آل أبی سفیان ،إن لم یکن لکم دین و کنتم لا تخافون المعاد،فکونوا أحرارا فی دنیاکم...أقاتلکم و تقاتلوننی و النساء لیس علیهن جناح» (۱)،أی أن الحسین علیه السلام عندما شعر أن القانون والشرع لم یؤثرا فی هؤلاء الأعداء حاول إرجاعهم إلی الأُصول الأخلاقیه فقال لهم کیف تقومون بهذا الفعل المتناقض مع الأخلاق والإنسانیه ! ؟

۱- (۱) راجع اللهوف فی قتلی الطفوف/ابن طاووس.۱۲۰،المسلک الثانی.فی وصف حال القتال.

المحاضره الثالثه:إستناد الأحكام القانونيه للقاعده الأخلاقيه فى التشريع الإسلامى

اشاره

ص:۲۴۳

الاختلاف بين التعامل القانونى والأخلاقى

إكمالاً لحديثنا السابق نطرح تساؤلاً يقول.

كيف تكون الأخلاق أساساً وبنيه تحتيه للقانون مع أن الأخلاق والقانون أمران مختلفان،سواء كانا فى نطاق الفرد،أو الأسره،أو المجتمع،أو بين الدول ؟

ولا شك فى أن التعامل القانونى تعامل صارم حاد وجاف،بينما التعامل الأخلاقى يعتمد على المرونه والدماثه واللين والرفق والإحسان للمسيئ ؟

فصل النزاعات بالقانون أم بالأخلاق ؟

تارةً يتم فصل النزاع بين الأفراد أو الأسر أو المجتمعات أو الدول عن طريق القانون، وأخرى يتم ذلك عن طريق التعامل الأخلاقى بين الطرفين المتنازعين أو بمبادره أحد الطرفين المتنازعين.

وفى تفسير قوله تعالى.(وَ الَّذِينَ يَصِلُونَ ما أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَ يَخافُونَ سُوءَ الْحِسابِ) (1)قال الإمام الصادق عليه السلام فى تفسير (

سوء الحساب):

۱- (۱) سوره الرعد.الآيه ۲۱.

«أتراهم خافوا أن يجور عليهم أو يظلمهم ؟ لا و الله ! خافوا الاستقصاء و المداقه» (۱)، أی محاسبه الله تعالی لعباده بالعدل.

وأخوف ما يخاف العبد من الله تعالی أن يعامله بالعدل؛لأن الإنسان إذا عامله الله بعدله فلن ترجح كفه حسناته علی كفه سيئاته،وسيكون مصير العبد هو الخسران المبين،ولذلك فنحن نرجو أن يعاملنا الله بفضله وعفوه ولا يعاملنا بعدله،إذن هناك فرق بين القضاء والحكم بالقانون،وبين القضاء والحكم بالأخلاق،ومن المفترض أن يرتبط البحث القانونی بالعداله والحقوق لا بالفضل والإحسان والأخلاق،ومن هنا يطرح الإشكال الذی يثير علامه استفهام علی جعل القوانين تستند إلی الأخلاق.

العلاقه بين الموازين الأخلاقيه والقانونيه

قالوا فی إشكالهم.لا يمكن أن تكون هناك صله بين النصوص القانونيه والنصوص الأخلاقيه،ولهذا فلا يصح أن تستنبط الأحكام القانونيه استناداً إلی الموازين الأخلاقيه.وكما يقال.إن القانون يمهد إلی الحياه الخلقيه،ولكن هناك اختلاف-كما أشرنا-بين الأمرين باعتبار أن الموازين القانونيه تستلزم استيفاء كل حدود القضيه.

حديه القانون واستبعاد العنصر الأخلاقی

للرد علی هذا الإشكال نقول.لو سلمنا كون الموازين القانونيه أقل مرتبه من الموازين الأخلاقيه،وأن الموازين القانونيه تهدف إلی غرس الفضيله والنظام فی المجتمع، فإن المشرع القانونی الدينی،أو المشرع القانونی الوضعی،لا بد أن يضع نصب عينيه

۱- (۱) مستدرک الوسائل.۴۰۶/۱۳،باب أنه يكره لمن يتقاضی الدين المبالغه فی الاستقصاء،الحديث ۳/۱۵۷۳۹.الوسائل.۳۴۸/۱۸،الباب المتقدم،الحديث ۱/۲۳۸۲۱.معانی الأخبار.۲۴۶،باب معنی سوء الحساب،الحديث ۱.

الوصول إلى الغايات الأخلاقيه حينما يسن القوانين فى المجتمع،ولو بنى النظام القانونى على القصاص الحدى فى جميع النزاعات بدون أى مرونهٍ أو عفو أو تعاطى فى هذه القضيه أو تلك،فإن هذا سوف يؤدى إلى اختلال نفس ذلك القانون؛لأن الحديه تؤدى إلى الجفاف،والجفاف-كما يقال-سريع الاشتعال،وهذا الاشتعال - سواءً بين الأطراف المتنازعه على مستوى الأفراد أو الأُسر أو المجتمعات والدول - سيؤدى إلى تأزم القضيه،وإلى القضاء على القانون الذى ابتعد عن الموازين الأخلاقيه وألغاها تماماً،والنفس البشريه لا تتلاءم مع الانصياع والخضوع للموازين القانونيه الحديه التى تستبعد الموازين الأخلاقيه وتقضى عليها،إذن فمن المستحيل الاستغناء عن العنصر الأخلاقى فى الموازين القانونيه،وأن هذا العنصر هو الذى يساهم فى حفظ استقرار القانون وحمايته،ومع هذا نقول.إنه ليس من الضرورى أن يؤمِن القانون جميع الدرجات فى الموازين الخلقيه،بل أنه قد يبتعد بنسبه معينه حسب متطلبات القضيه،وهذا الأمر مسلم به عند علماء المسلمين.

العفو والإعراض فى القرآن الكريم

يعتبر الإسلام،بل حتى الديانات الأُخرى،أن الرفق واللين والرويه والتعقل والحلم والحوار هى الأصل فى قوانين الإسلام على المستوى الاجتماعى والفردى،ففى الآيه الكريمه التى يعبر عنها المفسرون أنها من التوصيات القانونيه التى أوصى بها الله تعالى نبيه فى القرآن الكريم،وهى قوله تعالى.(خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ) (١)،فقوله.(خُذِ الْعَفْوَ) أى.أن العفو ركيزه أساسيه رئيسيه فى سيره النبى صلى الله عليه و آله القانونيه والسياسيه والقضائيه والإجرائيه والتشريعيه،و(خُذِ الْعَفْوَ) إذا كان للعفو سبيل،وهذا الأمر إلزامى من الله لنبى الرحمه محمد صلى الله عليه و آله،وأما قوله

١- (١) سوره الأعراف.الآيه ١٩٩.

تعالی.(وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ) ،فقد فُسر العرف بعده تفاسیر،فذهب البعض إلی أن:

العرف هو ما تعارف علیه الناس،وهذا قول مردود؛لأن النبی صلی الله علیه و آله یعمل طبقاً لخطه الوحی الإلهی،وأن عرف الناس قد یحمل الکثیر من رواسب الجاهلیه،وهذا یتناقض مع دور النبی الذی عبر عنه القرآن الکریم.(یَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ یَنْهاهُمْ عَنِ الْمُنْکَرِ وَ یُحِلُّ لَهُمُ الطَّیِباتِ وَ یُحَرِمُ عَلَیْهِمُ الْخَبائِثَ وَ یَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلالَ الَّتِی کانَتْ عَلَیْهِمْ) (۱)،وذهب البعض الآخر إلی أن.(وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ) أی ما تعرفه الفطره البشریه،أی ما یعرفه العقل من الحسن والقبح،وهذا المعنی صحیح فی نفسه؛لأن الدین الإسلامی دین الفطره،(فَأَقِمْ وَجْهَکَ لِلدِینِ حَنِیفاً فِطْرَتَ اللهِ الَّتِی فَطَرَ النَّاسَ عَلَیْها لا تَبْدِیلَ لِخَلْقِ اللهِ ذلِکَ الدِینُ الْقَیِمُ وَ لکِنَ أَکْثَرَ النَّاسِ لا یَعْلَمُونَ) (۲)،والروایات تشیر إلی أن النبی هو الرسول الظاهر،والعقل هو الرسول الباطن،وهذا المعنی وإن کان صحیحاً فی نفسه إلاأن ظاهر اللفظ لا یساعد علیه،وذلک ینبغی تهیئه الجو الاجتماعی لتقبل القانون،وأن لا یتم إقحام القانون فی أجواء لا تتفاعل معه،وأن أی قانون جدید إذا أردنا أن نطبقه فی مجتمع ما،لا بد أن یسبقه وعیٌ قانونی وثقافه قانونیه ناضجه؛لأنه لا یکفی أن یکون القانون متکاملاً،بل یجب مراعاه استیعاب الناس لهذا القانون،ولهذا السبب کان نزول القرآن بشکل مفصل وتدریجی حتی تتهیأ النفوس للتفاعل معه؛ولأن الناس لا تستوعب التربیه القرآنیه علی شکل دفعه واحده بدون تهیئه.

الرفق فی مرحله نص القانون وتطبیقه

ونرید أن ننوه إلی أن اللین والرفق تارهً یکون فی النص القانونی والماده القانونیه،

۱- (۱) سوره الأعراف.الآیه ۱۵۷.

۲- (۲) سوره الروم.الآیه ۳۰.

وأُخرى يكون فى الأداء والإجراء القانونى والقضائى المتخذ مع المتهم،فقد تكون الماده القانونيه خاليه من الحده والقساوه والظلم،ولكن الإجراء القانونى وتطبيق الماده القانونيه هو الذى يحمل الحده والقساوه.

المصالح الشخصيه وأثرها فى سنِ القوانين

وهذا الأمر قد يستفاد منه بشكل إيجابى وقد يستفاد منه بشكل سلبى وبصوره خطيره؛ لأن أصحاب المصالح الشخصيه قد يتلاعبون فى الماده القانونيه ويفرغونها من محتواها حسب مصالحهم،أو يفسرونها بتفسيرات تتناسب مع ميولهم ومصالحهم وأطماعهم،والتلاعب فى المواد القانونيه أمر فى غايه الخطوره حتى فى النزاعات الدوليه بين الدول التى تريد تسخير القوانين وتفسيرها حسب مصالحها،فعلى سبيل المثال قد يسمى التحرير إرهاباً،وهذه مغالطه جليه وواضحه،وهناك فرق كبير بين الإرهاب والتحرير،والغرض من تغيير الإسم هو أن القوى الكبرى لا تستطيع الاعتراض على شعب يريد تحرير أرضه؛لأن هذا حق طبيعى مكفول،ولكنها تسمى التحرير إرهاباً من أجل عرقله التحرير،ووضع السدود أمامه،ولكى تكون هذه العرقله مصبوغه بصبغه شرعيه ومقبوله لدى المجتمع الدولى،وهى صبغه محاربه الإرهاب،فهم فى هذه الحاله يعملون على صناعه رأى عام مزور من أجل تطبيق قوانين مزوره ومزيفه وظالمه قائمه على التحايل والغش القانونى،وفى المقابل فنحن أيضاً نحتاج إلى أن نعمل على صناعه رأى عام صادق من أجل أن يتقبل المجتمع القانون القضائى الصادق.

الفرق بين العفو،والإعراض عن الجاهلين

وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ) ،وهذا أيضاً نوع من أنواع اللين والرفق،وهناك فرق بين الإعراض عن الجاهلين وبين العفو عنهم؛لأنك قد تعفو عن إنسان ما ولكن يبقى

فی نفسک شیء تتذکر به ذلک الفعل السیئ الذی فعله ذلک الجاهل،والمقصود من الجاهل هو ذلک الشخص الذی یتعدی الحدود ویظلم،والجهل هنا مقابل العقل الذی یعنی التقید بالتعالیم الدینیه،ولیس الجهل هنا فی مقابل العلم؛لأن العلم قد یدعوک إلی التعقل،وقد یسیئ الإنسان الاستفاده من العلم،فالفرق إذن بین الإعراض والعفو أن الإعراض مرتبه أعلی من العفو؛لأن العفو وإن کان متضمناً لمسامحه الجاهل إلاأنه یبقی فی النفس شیءٌ من ذلک الأمر،وربما تحدثک نفسک بالانتقام منه والنقمه علیه،ولکن الإعراض لا یبقی فی نفس الإنسان-بعد أن یعفو عن الجاهل - شیء،وقد یعبر عن الإعراض بالصفح (فَاصْفَحِ الصَفْحَ الْجَمِیلَ) (۱)،وذکر علماء الأخلاق والتفسیر والفقه والقانون أن هذه الآیه.(خُذِ الْعَفْوَ ...) من امهات الآیات،وقد جمعت اصول علم الأخلاق،والبحث فیها طویل.

کظم الغیظ والسیطره علی القوه الغضبیه

الآیه الأُخری تقول.(وَ الْکاظِمِینَ الْغَیْظَ وَ الْعافِینَ عَنِ الناسِ وَ اللهُ یُحِبُ الْمُحْسِنِینَ) (۲)،وکظم الغیظ یعنی إمساک النفس،وحبس الغیظ،والسیطره علی القوه الغضبیه،وتعالیم أهل البیت تحثنا علی أن لا نؤدب أولادنا فی حاله الغضب والغیظ؛لأن الغضب قد یخرج التأدیب عن أهدافه،فکظم الغیظ یعنی إخماد سَوْرِهِ الغضب،وهذه توصیه اجتماعیه ولیست توصیه فردیه فقط،والغضب قد یُخرج القاضی حینما یقضی عن إطار تحکیم العقل،ومن صورته الصحیحه إلی خلافه لما للقوه الغضبیه من أثر سلبی فی هذا المجال،وعندما یهدأ الغضب یبدأ العقل فی العمل بصوره طبیعیه بعیداً عن أی مؤثرات قد تؤثر علی الحکم الصحیح.

۱- (۱) سوره الحجر.الآیه ۸۵.

۲- (۲) سوره آل عمران.الآیه ۱۳۴.

اختلاف المصطلحات

ومما تقدم تبين أن هنالك ثلاثه مصطلحات.

الأول هو.كظم الغيظ،وهو حبس الغيظ والسيطره على الغضب،وهذا يتقدم ويتصدر معالجه السوء الذى يواجهه الإنسان.

والثانى هو.العفو،وهو أن تسامح المعتدى عليك،ولكن يبقى فى نفسك شىء.

والثالث-وهو الأفضل منهما -.الصفح والإعراض،وهو أن تنسى أنك قد عفوت عنه،وهناك الصفح وهناك الصفح الجميل،وهو مرتبه أعلى.قال تعالى.(وَ لا تَسْتَوِى الْحَسَنَهُ وَ لاَ السَيِئَهُ ادْفَعْ بِالَتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَذِى بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ عَداوَهٌ كَأَنَهُ وَلِىٌ حَمِيمٌ ١ ،وقال تعالى:

اِدْفَعْ بِالَتِى هِىَ أَحْسَنُ السَيِئَهَ (١)،فتارةً يكون دفع السيئه ب (الحسن)،واُخرى ب (التى هى أحسن)،وأما تعبير.(وَ إِنَكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (٢)،فهو مرتبه قصوى تفوق الإنسان،وهذه هى أرفع الدرجات على الإطلاق.

أحاديث أهل البيت عليهم السلام فى الرفق والحلم

قال النبى صلى الله عليه و آله:

«بعثت إليكم بالحنيفيه السمحه السهله البيضاء» (٣).

١- (٢) سوره المؤمنون.الآيه ٩۶.

٢- (٣) سوره القلم.الآيه ۴.

٣- (۴) راجع بحار الأنوار.۶۵/۳۴۶،۲۷-باب دعائم الإسلام والإيمان،بيان الخطبه،الحديث ٢۶.وقد ورد أيضاً.«بعثت بالحنيفيه السهله السمحه»-شرح نهج البلاغه/ابن أبى الحديد.١۵/٩٩،٢٣-من كلام له عليه السلام قاله قبل موته على سبيل الوصيه.وورد.«بعثنى بالحنيفيه السهله السمحه»-الكافى.۵/۵٠٢،باب كراهيه الرهبانيه وترك الباه،الحديث ١.

وقال النبی صلی الله علیه و آله-کما ورد فی کتاب الوسائل-باب الجهاد-:

«لو کان الرفق خلقا یری ما کان فی ما خلق الله شیئا أحسن منه» (۱).

وقال صلی الله علیه و آله أیضاً:

«و لو کان الخرق-الحده-خلقا یری ما کان فی شیء من خلق الله أقبح منه» (۲).

وعنه صلی الله علیه و آله:

«إن الرفق لم یوضع علی شیء إلازانه،و لا نزع من شیء إلاشانه» (۳).

ومن الأحادیث الوارده فی هذا المجال:

«إن لکل شیء قفلا،و قفل الإیمان الرفق» (۴)،أی الحافظ للإیمان الرفق.

منها:

«ما اصطحب اثنان إلاکان أعظمهما أجرا و أحبهما إلی الله عز و جل أرفقهما بصاحبه» (۵).

ومنها.عن النبی صلی الله علیه و آله:

«الرفق یمن ،و الخرق شؤم» (۶).

ومنها:

«الرفق نصف العیش» (۷).

وعن علی علیه السلام:

«الحده ضرب من الجنون؛لأن صاحبها یندم،فإن لم یندم

۱- (۱) الوسائل.۲۷۰/۱۵،باب استحباب الرفق فی الاُمور،الحدیث ۶/۲۰۴۸۲،ولکن ورد فیها.«مما خلق الله شیء أحسن منه»-الکافی.۱۴۹/۲،باب الرفق،الحدیث ۱۲/۱۸۵۲.

۲- (۲) الوسائل.۲۷/۱۶،باب کراهه الخرق،الحدیث ۲/۲۰۸۷۴.الکافی.۳۳۵/۲،باب الخرق،الحدیث ۲/۲۵۹۸،ولکن ورد.«مما خلق الله».

۳- (۳) الوسائل.۴۹۸/۲،باب استحباب رفق الغاسل بالميت،الحديث ۳/۲۷۴۱.الكافى.۱۴۸/۲،باب الرفق،الحديث ۶/۱۸۴۵.

۴- (۴) الكافى.۱۴۷/۲،باب الرفق،الحديث ۱/۱۸۴۰.

۵- (۵) المصدر المتقدم.۱۴۹،الحديث ۱۵/۱۸۵۴.

۶- (۶) المصدر المتقدم.۱۴۸،الحديث ۴/۱۸۴۳.

۷- (۷) المصدر المتقدم.۱۴۹،الحديث ۱۱/۱۸۵۰.

فجنونه مستحكم» (۱).

ومنها.عن الصادق عليه السلام:

«الغضب مفتاح كل شر» (۲).

عن النبى صلى الله عليه و آله:

«أعقل الناس أشدهم مداراه للناس» (۳).

ومنها.عن الصادق عليه السلام:

«الغضب ممحقه لقلب الحكيم» (۴).

ومنها.عن الصادق عليه السلام:

«من لم يملك غضبه لم يملك عقله» (۵).

ومنها:

«الشجاع من يملك نفسه عند غضبه» (۶).

ومنها.إن رسول الله صلى الله عليه و آله أتاه رجل فقال له.يا رسول الله،علمنى عظه أتعظ بها ؟

فقال له:

«انطلق و لا تغضب».

ثم عاد إليه فقال له:

انطلق و لا تغضب»ثلاث مرات(۷).

ومنها:

«ليس الخير أن يكثر مالك و ولدك و لكن أن يكثر علمك و يعظم حلمك» (۸).

ومنها.عن النبى صلى الله عليه و آله:

«العفو لا يزيد العبد إلاعزا،فاعفو يعزكم الله» (۹).

۱- (۱) نهج البلاغه.۵۱۳،حِکم أمیر المؤمنین،الحکمه ۲۵۵.

۲- (۲) الکافی.۳۱۸/۲،باب الغضب،الحدیث ۳/۲۵۲۴.

۳- (۳) مستدرک الوسائل.۳۹/۹،باب استحباب مداراه الناس،الحدیث ۱۱/۱۰۱۴۴.

۴- (۴) الوسائل.۳۶۰/۱۵،باب وجوب تسکین الغضب عن فعل الحرام،الحدیث ۱۱/۲۰۷۴۱.

۵- (۵) الکافی.۳۲۰/۲،باب الغضب،الحدیث ۱۳/۲۵۳۴.

۶- (۶) جامع السعادات.۳۲۴/۱،فصل.الغضب.

۷- (۷) الکافی.۳۱۸/۲،باب الغضب،الحدیث ۵/۲۵۲۶.

۸- (۸) مستدرک الوسائل.۱۲۱/۱۲،باب وجوب الاستغفار من الذنب،الحدیث ۹/۱۳۶۸۴.

۹- (۹) مستدرک الوسائل.۶/۹،باب استحباب العفو،الحدیث ۶/۱۰۰۳۹.

ومنها:

«ما التقت فئتان إلانصر أعظمهما عفوا» (۱).

وعن الصادق:

«أما علمت أن إماره بنی أمیه کانت بالسیف و العسف و الجور،

و أن إمامتنا بالرفق و التآلف و الوقار و التقیه و حسن الخلطه و الورع و الإجتهاد» (۲).

۱- (۱) الکافی.۱۳۸/۲،باب العفو،الحدیث ۸/۱۷۸۸.

۲- (۲) الوسائل.۱۶۵/۱۶،باب استحباب الرفق بالمؤمنین فی أمرهم،الحدیث ۹/۲۱۲۴۸.

المحاضره الرابعه:الحوار هو الخيار الأول فى الفكر الإسلامى وسيره أهل البيت

اشاره

ص:۲۵۵

الطبيعه الأوليه فى القوانين الشرعيه ؟

وصل بنا البحث إلى أن الطبيعه الأوليه فى القوانين الشرعيه هى السماحه والسهوله واللين والهدوء كما بينا سابقاً،ويجدر بنا البحث عن فلسفه هذا الأمر وعلته،لِمَ كان اللين والهدوء هو الطبع الأولى حتى أن رسول الله صلى الله عليه و آله عنون رسالته بهذا العنوان.

«بعثت إليكم بالحنيفيه السمحه السهله البيضاء»(۱)،ولماذا كل هذا التركيز على هذه الطبيعه الأوليه ؟ وعندما نقول إن هذه هى الطبيعه الأوليه يفهم من كلامنا أن هناك استثناءات ستأتى فى ما بعد تباعاً.

القوه الغضبيه ودورها فى بناء المجتمعات

السبب فى أن اللين والهدوء والتعقل هو الطبيعه الأوليه فى القوانين الشرعيه؛لأن الغضب والحده مظهر من مظاهر القوه الغضبيه،والقوه الغضبيه-سواءً كانت على نطاق الفرد،أو على نطاق الأُسره،أو على نطاق المجتمع،أو فى النظام السياسى-فى طبيعتها ليست بناءه ولا مشيده لبناء،بل طبيعتها أنها مانعه رادعه للتجاوزات والظلم

۱- (۱) تقدم فى الصفحه ۲۵۱ من هذا الكتاب.

الـذى يحـل بـالفرد،ويمثـل الجيش والشـرطه القوه الغضـبيه فى أى دوله من الـدول، والجيش والشـرطه والقوه الغضـبيه ليس من طبيعتهـا البنـاء والهنـدسه والتخطيـط والتنميه والإعمار والبحث العلمى والبناء الفكرى،بل الحرب والقتال والمواجهه،وتمثل أيضـا درعاً يحفظ باقى قطاعات المجتمع المختلفه من الأخطار الأمنيه والعسكريه.

إطلاق القوه الشهويه وآثاره

ومـا قلنـاه فى القوه الغضبيه ينطبق على القوه الشـهويه،فلاـ يصـح أن يطلق العنان للشـهوات والغرائز،فإذا كانت سـياسات الفرد أو الأُسـره أو الدوله منصـبه كلها على إطلاق العنان للقوه الشـهويه فمن الواضح أن النتيجه ستكون انهيار الفرد والأُسره والدوله التى أطلقت عنان الشهوه.

فالسـياحه-على سبيل المثال-قد تكون سـياحه تثقيفيه تعليميه،مثل.زياره الأماكن الأثريه والتعرف على معالمها التاريخيه ففى مثل هذه الحاله تكون السـياحه إيجابيه،أما إذا كانت السـياحه عاملاً على تهيئه أجواء الدعاره والفساد فهى سـياحه مدمره هدامه للقيم والمبادئ والشعوب.

إطلاق القوى العقليه وحاكميتها

الإسـلام يرفض إطلاق عنان القوه الشـهويه والغضبيه؛لأن ذلك يعنى نقض للغرض الذى من أجله جعلت التشريعات،ولهذا وضع الشارع القوانين والحدود التى تضبط هاتين القوتين.وأما الذى لا بد من إطلاق عنانه فهى القوه الفكريه المتمثله فى ميدان البحث العلمى والفكرى والاجتماعى والصـناعى،ونشـر الفضـيله،وسـيطره القوى العاليه على القوى الـدانيه؛لأن ذلك سوف يساعـد على وصول الإنسان إلى الكمالات.

فلو نظرنـا إلى القـانون الغربى فإننـا نجـده قـد جعل الفرد هو محور التقنين،ومؤخراً جعلوا المجتمع هو المحور،ولـذلك فقـد بنوا تشريعاتهم ونظام الحقوق عندهم على

إطلاق الحريات كما يدعى المشرع القانونى فى الغرب،فمع إطلاق عنان القوه الغضبيه وتوفر السلاح حتى بيد الصبيان،تكثر عندئذٍ الجرائم وتنتشر ثقافه العنف والإجرام من خلال أفلام الرعب السينمائيه التى تشعل القوه الغضبيه،وأما فى إطلاق العنان للقوه الشهويه فحدث ولا حرج،مع أن هاتين القوتين-الشهويه والغضبيه - يجب أن تكونا محدودتين.

التعقل أنسب الخيارات للطبيعه البشريه

إذن فإن اختيار الإسلام للتعقل والتريث والهدوء والحوار والأخلاق كخيار أول؛لأنه أنسب الخيارات للطبيعه البشريه؛ولأن القوى الغضبيه والشهويه موجوده فى الحيوان كما هى موجوده فى الإنسان،ولا فرق فيها بينهما.أما القوى العقليه فهى خاصه بالإنسان،حيث تميزه عن غيره من المخلوقات.

ولذلك فإن الإسلام يطرح قاعده.(لا عقوبه إلابعد قيام الحجه)(١)وهذه قاعده اصوليه وكلاميه وتقنينيه هامه،وكذلك يقول علماء الأُصول.«إن تنجيز الأحكام لا يتم إلابالعلم»(٢)فى القانون الوضعى والقانون الشرعى،والسر فى ذلك يرجع إلى

١- (١) وهى من مصاديق قاعده البراءه الشرعيه،وقد أشار إليها صاحب مجمع البيان.٢٢٣/٣ فى تفسير سوره النساء،الآيه ١۴۴،حيث قال.«إن الله لا يعاقب أحداً إلابعد قيام الحجه عليه».وقال صاحب الأُصول العامه للفقه المقارن/محمدتقى الحكيم.۴٨٣،القسم الأول.البراءه الشرعيه،الدليل الثانى.قوله تعالى:(وَ ما كُنا مُعَذِبِينَ حَتى نَبْعَثَ رَسُولاً)،فقال.«نفى استحقاق العقاب قبل قيام الحجه».

٢- (٢) ورد.«تنجيز التكليف بالعلم»-راجع الأُصول العامه للفقه المقارن/محمدتقى الحكيم:٥٣٢،إمكان جعل المرخص وعدمه.وورد.«أن يكون تنجيز التكليف مقيداً بالعلم به»-مجمع الأفكار/الميرزا هاشم الآملى.٢٢٠/١،فى دلاله الأمر على الفور أو التراخى،فى الاجزاء فى الأمر الظاهرى-المقام الخامس.

نفس النكته السابقه،وهى أن الإنسان موجود عاقل ذو فكر،ويجب أن يكون عقله مسيطر على باقى قواه الأُخرى،ومن الخطأ إقحام العقوبات والردع وإطلاق العنان للقوه الغضبيه بدون المرور بمحطه العقل والفكر،باعتبار أن العقل هو الذى يدبر باقى القوى الأُخرى كما قلنا.

الفرق بين العقوبه والردع

هناك فرق بين اصطلاح (العقوبه) واصطلاح (الردع)،فالعقوبه هى نوع من الجزاء يتخذ فى حق المجرم على ما ارتكبه من الإثم والجرم،أما الردع فقد يطلق على الدفع وقد يطلق على الرفع،ويعنى الردع أن المخالف والذى أجرم جرماً وهو لا يعلم أن هذا الأمر جرم،فهذا الشخص لا يعاقب؛وذلك لأنه لا يعلم به،ولكن يجب أن يُنهى عن الاستمرار فى هذا الأمر الممنوع والمخالف.وقد يكون الردع من باب الدفع،كما لو أقدم إنسان ما على منكر وفاحشه معينه وهو لا يعلم بفحشه،وهذا يردع بدرجه مناسبه لغرض انتهائه عن ذلك المنكر،مع أن الحجيه لم تتم عليه.إذن الردع لا يحتاج إلى قيام الحجه،ويتحقق القيام بالردع وإن كان القائم بالفعل السيئ لم تتم عليه الحجه،والسر فى ذلك أن مصلحه المجتمع قد تتطلب هذا الأمر؛لأن المسأله لا تحتمل التأخير والمماطله،فينبغى المبادره بالردع لحفظ تلك المصلحه،وللردع درجات منها.إعلام وتعليم القائم بالمنكر أن هذا الأمر منكر.

نفى العقوبه قبل البيان

هذا هو منطق الإسلام،وقد دلت عليه العديد من النصوص.قال تعالى.(وَ ما كُنا مُعَذِبِينَ حَتى نَبْعَثَ رَسُولاً) (1)،فإذا كان الإسلام يقول.«لا عقوبه إلابعد قيام

١- (١) سوره الإسراء.الآيه ١٥.

الحجه»،فهذا يعنى أن الحوار والتعقل هو الأصل،والحجيه تتقوم بالإيصال العلمى،ولا تتم الحجه إلابعد أن يكون ذلك الشخص على درايه وعلم وإلمام تام بذلك الجرم وبحكمه المحرم،وإذا لم يتم الإلمام التام بذلك لا تقام الحجه عليه، ومن ثم لا يعاقب.

نعم،بعد إتمام الحجه عليه ووصول البيان إليه،فإذا لم يلتزم بمقررات الدين بعد ذلك،فإن مراحل الحوار والتعقل سوف تنتهى.

وتأتى النوبه للعقوبه والخشونه والقساوه،ولذلك فإن فى باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يذكر الفقهاء أنه يشترط فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر باليد التأكد من علم الطرف الآخر،وإحاطته بالحكم لا أن يُضرب قبل التأكد من علمه بذلك،فلا يجوز المبادره بعقابه باليد وما شابه ذلك قبل التأكد من علمه بالحكم الشرعى لما قد عمله من منكر،وبعد إعلامه بالمنكر أو بوجوب المعروف يتم نصحه وإرشاده ووعظه،وإذا لم ينفع كل ذلك يتم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر باليد أو بالمدافعه وما شابه ذلك بإذن الحاكم الشرعى.

الحوار فى النزاعات القضائيه

فى فصل النزاعات نجد أن الحوار هو المتقدم على غيره،ففى القضاء الشرعى الإسلامى يدلى المتنازعان برأيهما ويطرح كل منهما الأدله والبراهين على صحه ما قاله،وقد يكون النزاع بين فردين،أو بين دولتين،أو أن المجتمع يرفع قضيه معينه ضد حكومته،ومن هذا المنطلق وجدت المحكمه الدستوريه فى الأنظمه الحديثه، وهذه المحكمه الدستوريه التى تمثل القضاء الذى يحكم فى القضايا التى تحدث بين السلطه الحاكمه والمجتمع فى تلك الدوله،ولسنا الآن فى مقام الكلام عن تفاصيل هذه المحكمه.

الحكومات الدكتاتوريه وأثرها فى تشويه الإسلام

مما تقدم تبين أن الحوار ليس شعاراً جديداً جُعل فى التشريع الإسلامى،بل هو عنوان يحمله الفكر الإسلامى الأصيل،ولهذا يقال.نحن أبناء الدليل،أى الحوار الاقناعى الذى يتوصل من خلاله إلى الحلول الناجعه،ولكن ممارسه الحكومات الدكتاتوريه التى كانت تحكم باسم الإسلام بعد وفاه رسول الله صلى الله عليه و آله،كالدوله الأمويه والدوله العباسيه،أعطت الرأى العام صوره سيئه عن الحوار الإسلامى من خلال ممارساتها القمعيه مع من يخالفها ويعارضها من قطاعات الشعب الذى تحكمه،فهذه الحاله مرفوضه،ويجب أن يكون التحاكم الثقافى والتحاكم العلمى هو السائد كما يطرح ذلك الدين الإسلامى.

الشورى ومفهومها فى الإسلام

قال الله تعالى.(وَ شاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) (۱)،وقال.(وَ أَمْرُهُمْ شُورى بَيْنَهُمْ) (۲)،والشورى هى الحوار،وهى جمع حصائل العقول،وجمع المعلومات،وجمع الخبرات،وتلاقح الأفكار،أى هى ظاهره ثقافيه فكريه وليست ظاهره غضبيه،وليست ظاهره تحميليه،أى أن تحمل الطرف الآخر على قبول رأيك بالقوه،ويخطأ من يقول.إن الشورى هى إراده الأكثريه؛لأن الشورى ليست إراده، وإنما هى رأى،والإراده من القوى العمليه،والشورى من القوى العلميه،وفرق بين هذا وذاك،أعلم الناس من جمع علوم الناس إلى علمه،وأعقل الناس من جمع عقول الناس إلى عقله.

وإذا رجعنا إلى أحاديث أهل البيت عليهم السلام نجدها تحث على المشوره،وتعتبر

۱- (۱) سوره آل عمران.الآيه ۱۵۹.

۲- (۲) سوره الشورى.الآيه ۳۸.

المشوره أعظم من الخيره،وإن كانت الاستخاره فى نفسها مستحبه،ولكن المشوره متقدمه عليها؛لأن الشورى توفر للإنسان فرصه دراسه الموضوع الذى يريد أن يقدم عليه من جميع الجوانب وتتكامل عنده الصوره بشكل أوضح،وهناك شروط لمن تصح مشاورته،وليست الشورى بمعنى مجموعه الإرادات أو الإراده الجمعيه أو الحاكميه للأكثريه،بل الشورى تعنى الحاكميه للصواب،وإن كان الصواب يمثل رأى الأقليه فى تلك المجموعه،فالشورى تعنى حاكميه العلم وإن كانت لفرد واحد إذا كان أخبر القوم وأعلمهم،وهو صاحب الرأى الصحيح فى قبال مجموعه كبيره،ولهذا يمكن القول إن الشورى هى مداوله الآراء لمعرفه الخطأ من الصواب،ولا تعنى القهر والفرض والاستبداد.

القتال آخر الحلول

لو جئنا إلى الآيه الكريمه.(وَ إِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلَى الْأُخْرى فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتى تَفِيءَ إِلى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما بِالْعَدْلِ وَ أَقْسِطُوا إِنَ اللهَ يُحِبُ الْمُقْسِطِينَ) (1)نجدها تبين حاله من حالات فرض النظام وسياده الأمن بين المجتمعات،فبعد أن فشل الإصلاح بينهما تأتى مرحله قتال الفئه الباغيه؛لأنه لا يصلح النقاش والحوار الفكرى بعد هذه المرحله؛لأن الأمر مرتبط بالنزاع العسكرى الذى لا يحل بالنقاش الفكرى مع إصرار إحدى الطائفتين على البغى،وكما يقال إن آخر الدواء الكى؛لأنه لا ينفع غيره فى هذه المرحله،وأما إذا تخلت عن إصرارها فيأتى دور الإصلاح مره اخرى.

حوارات الإمام على عليه السلام مع أعدائه

لا شك فى أن الحوار هو اسلوب أهل البيت عليهم السلام فى التعامل مع الآخرين،حتى

۱- (۱) سوره الحجرات.الآيه ۹.

لو كانوا أعداءهم،فهذا الإمام على بن أبى طالب رفض البدء بالقتال مع أصحاب الجمل،وقد أرسل الإمام الحسن وأرسل الإمام الحسين وعبدالله بن عباس إلى الطرف الآخر قبل بدء الحرب،إلى درجه أنهم قالوا.إن بنى هاشم لديهم من الحجج والبراهين الكثيره ولا نقوى على حججهم،وهذا دليل على أن معسكر الإمام على عليه السلام كان يستخدم القوى العقليه لفض النزاع،ولم يلجأ إلى القوه الغضبيه إلابعد أن تستنفذ كل الوسائل والطرق العقليه؛وذلك حرصاً على وحده المسلمين وحقن دماءهم، ومن يتابع سيره أمير المؤمنين على عليه السلام فى كل موقف من مواقف حياته سيجد هذه الصفه متجليه عنده،فلا يقدم القوه الغضبيه على القوه العقليه،وهذا ما فعله فى صفين حيث كان يقول عليه السلام بما معناه:

«إنى أكره أن أبدأ هم بقتال» (1)،وهذه لا تعنى الكراهه بمعنى أن هذا الفعل مكروه شرعاً،بل هو محرم،أى احرم على نفسى أن أبدأهم بقتال.

أمير المؤمنين عليه السلام وحواره مع الخوارج

إن فى تعامل أمير المؤمنين عليه السلام مع الخوارج نموذج رائع يُستظهر منه أن الحوار

۱- (۱) وهذه العباره مستفاده من عده أقوال للإمام على عليه السلام،حيث ورد عن الإمام عليه السلام قوله:«لَايَبْدَأَنَ أَحَد مِنْكُمْ بِقتالٍ حَتى آمُرَكُمْ»-راجع بحار الأنوار.۱۸۶/۳۲،الباب الثالث.باب ورود البصره ووقعه الجمل،وما وقع فيها من الاحتجاج،الحديث ۱۳۶.وقوله عليه السلام لمالك الأشتر:«إياكَ أَنْ تَبْدَأَ الْقَوْمَ بِقتالٍ إِلَا أَنْ يَبْدَؤُكَ»-بحار الأنوار.۴۱۴/۳۲،الباب الثانى.باب جمل ما وقع فى صفين،الحديث ۳۷۴.تاريخ الطبرى.۲۷۱/۴،ما أمر به على بن أبى طالب من عمل الجسر على الفرات.وقد وردت:«أَكْرَهُ أَنْ أَبْدَأَهُمْ بِالْقِتالِ»من الإمام الحسين عليه السلام فى طف كربلاء-راجع مستدرك الوسائل.۸۰/۱۱،باب استحباب إمساك أهل الحق عن الحرب حتى يبدأهم به أهل البغى،الحديث ۱/۱۲۴۷۱.

هو المقدم على كل شيء،فمع أنهم كانوا تحت سلطته،وكان الكثير من المحيطين بالإمام على عليه السلام يحثونه على قتال الخوارج وإبادتهم قبل معركه النهروان،ولكنه رفض مقاتلتهم إلابعد أن أتم الحجه عليهم بالحوار.وكانوا هم الذين قد شهروا آله الحرب،ورفضوا التفاوض والحوار.

وما فعله الإمام مع الخوارج يصلح لأن يكون انموذجاً فى التعامل مع المعارضه، بل هو من أعظم السنن العلويه لهذه الأُمه فى اصول السياسه الداخليه لنظام الحكم، حيث كان الإمام يعطيهم كل الحقوق المتعلقه بإبداء الرأى وطرح الفكر،وهناك دراسات فى جامعه الأزهر تحاول أن تغوص فى غمار هذه التجربه العلويه المباركه مع الحزب المعارض المتمثل بالخوارج،ومن المعروف أن الخوارج لم يكونوا أفراداً بل كانوا حزباً سياسياً وأيديولوجياً،وحتى هؤلاء الخوارج لم يبدأهم الإمام على عليه السلام بالقتال ولم يُقْصِهم أو يجعلهم تحت الإقامه الجبريه،بل فتح لهم باب الحوار على مصراعيه،مما جعل الخوارج يفتحون الجبهه الإعلاميه بشكل قوى،مع ذلك لم يحاربهم واقتصر على رد الرأى بالرأى،وطرح بيناته وحججه،واحتمل الإمام على عليه السلام الطرف المعارض إلى أقصى حد ما دام الطرف الآخر قد اعتمد لغه الحوار، والأكثر من ذلك أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقبل المقاضاه،وهو حاكم الدوله وخليفه المسلمين وأمير المؤمنين كما حصل فى قضيه ماليه،فيقبل أن يقف أمام شريح القاضى هو والطرف الذى رفع الشكوى عليه،وهذه النماذج لا نجدها إلاعند أهل البيت عليهم السلام.

النبى صلى الله عليه و آله يقدم الحوار على القتال

والنبى صلى الله عليه و آله-وهو معلم الإمام على عليه السلام-كان فى جميع مراحل مسيرته الرساليه يدعو إلى الحوار والجدال بالتى هى أحسن،وما كان تقسيم الدعوه إلى مرحلتين:

المرحله المكيه،والمرحله المدنيه إلادليل على ذلك،حيث كان فى مكه يطرح

البراهين والحجج والدلائل على صدقه لمده ثلاثه عشر سنه،وهى مده ليست بالقليله،وفى المدينه بعد أن أسس الدوله والنظام الإسلامى،وتشكلت القوه الإسلاميه العسكريه،تغير الحال وأصبحت لموازين القوه موقفها،ومع هذا نرى فى غزوه بدر لم يبدأ النبى صلى الله عليه و آله بالقتال كما لم يمهد لذلك أيضاً،وإنما كان خروجه صلى الله عليه و آله ليقتص لأموال المسلمين التى صادرتها قريش فى مكه؛لأن هذه هى سنَه النبى وأهل بيته (صلوات الله عليهم)،فقد كانوا يرفضون البدء فى القتال،ولا يقاتلون إلابعد أن يبدأ الطرف الآخر بالقتال.

الإمام الحسين عليه السلام والحوار مع الأعداء

ولو تتبعنا حركه الإمام الحسين لرأينا الحوار حاضرٌ فى كل محطه من محطاته، كحواره مع أهل الكوفه،ومع عمر بن سعد،ومع جيش بنى اميه،ولم يبدأ الإمام الحسين جيش بنى اميه بالقتال،مع علمه عليه السلام بأن القتال واقع لا محال؛ولذلك فقد قال الإمام الحسين عليه السلام:

«أكره أن أبدأ هم بالقتال» (1)،وهذا دليل على أن الإمام عليه السلام كان منهجه الحوار وليس القتال.

۱- (۱) تقدم فى الصفحه ۲۶۴،الهامش رقم ۱ من هذا الكتاب.

المحاضره الخامسه:الجهاد الابتدائی والحروب العدوانیه

اشاره

ص:۲۶۷

المعترضون على الإسلام

هناك بعض الاعتراضات على الطرح الذى يقول.إن الدين الإسلامى ذو طبيعه أوليه تتسم بالرفق واللين والتعقل والهدوء والحوار،وأن طبيعته لا تتسم بالرعونه والإرهاب والعنف والشده،وسنستعرض هذه الاعتراضات وسنرى أنها مردوده على أصحابها.

الإسلام دين القوه والعنف والإرهاب ؟

اعتراض مجموعه من المستشرقين على أن الإسلام هو دين السيف والقوه والعنف والإرهاب،ويقولون إن فى الفتره التى قضاها النبى صلى الله عليه و آله فى المدينه المنوره فى عشر سنوات نشبت ثمانون حرباً،وهذا العدد يدل على أن الإسلام يرتكز على السيف والقوه والخشونه،ولا يرتكز على الحوار والعرض العلمى والتفاهم.

طمع الجيوش الفاتحه فى الأموال والنساء

فى عصر الفتوحات الذى كان يحتوى على الكثير من المخالفات الإنسانيه سطرتها كتب المسلمين فضلاً عن غيرهم،نجد أن المسلمين قد ارتكبوا من الفضائع

ما يخالف مدعاهم فى أنهم دين اللين والرحمه،ففى آذربيجان-مثلاً-دخل أهل هذه المنطقه الإسلام ولكن ما يسمى بالجيوش الفاتحه لم تعترف بإشهار أهل تلك المنطقه لإسلامهم،وذلك رغبه فى الحصول على السبى والنساء الجميلات والغنائم والأموال؛لأنهم لو أذعنوا بإسلام أهل تلك المنطقه لما حصلوا على شىء من ذلك أبداً.

وحدث مثل هذا فى أطراف الهند والصين،حتى أن ابن أبى الحديد المعتزلى فى شرحه لنهج البلاغه يذكر من المصادر التاريخيه القديمه القصص الطويله التى تقشعر منها الأبدان.

وكذلك الأقباط فى مصر،والبربر فى بلدان المغرب العربى،وكذلك فى إسبانيا التى دخلها المسلمون فاتحين لها،وكانت معامله المسلمين لأهلها لا تقل عن غيرها من المدن التى دخلوها؛ولهذا فقد خسروا هذه المدن وأهلها،بل أكثر من ذلك حيث نجد أن الإسبانيين عندهم يوم خاص يحتفلون به بهزيمه المسلمين فى كل عام، وهناك مؤلف إسلامى عنده العديد من الكتب حول الأندلس،ولعله كتاب (الغصن الرطيب فى تاريخ الأندلس) يبين فيه أن الإسبانيين انتقموا من المسلمين بنفس الطريقه التى عوملوا بها،وما زالت آثار تلك المعامله تستعر فى قلوب الآخرين تجاه الإسلام والمسلمين.

وفى البوسنه والهرسك وما فعله الصرب فى المسلمين كان نتيجه مخلفات تاريخيه،واقرأ ما فعلته الدوله العثمانيه التركيه من ممارسات خاطئه.

دخول معظم اوربا فى المسيحيه

الشىء الملفت للنظر أن معظم أوروبا إنما دخلت فى المسيحيه فى القرن الثانى الهجرى وكانت قبل ذلك وثنيه،ولا زال الإسلام فتياً،ومن المفترض أن نور بريق

الإسلام هو الذى يسطع فى أوروبا،فكيف نجح المسيحيون فى نشر ديانتهم فى أوروبا فى وقت كان الإسلام يتمتع بالعنفوان والقوه والانتشار ؟بينما كان بين تلك الحقبه التاريخيه وبين بعثه النبى عيسى عليه السلام سته قرون،وهذا شىء مؤسف وخساره كبيره للإسلام والمسلمين،وقد انطلق المبشرون المسيحيون بمفاهيم السلام والرحمه والتعامل بالحسنى وغزوا كل أوروبا فى تلك الفتره،وقد انتقلت هذه الأفكار إلى الأمريكتين والعديد من دول العالم،ولا زال المسيحيون إلى زماننا هذا يتفوقون عدداً على المسلمين فى تلك المناطق،فلا بد من دراسه الأسباب التى حولت أوروبا للدين المسيحى وجعلتها تعرض عن الإسلام.

الجهاد الابتدائى هو الحرب العدوانيه

لو أننا قرأنا كتاب الجهاد فى الفقه الإسلامى لرأينا مصطلح (الجهاد الابتدائى)، ولو ترجمنا هذا المصطلح بشكل عفوى إلى لغه القانون الحديثه لكان (الحرب العدوانيه) التى تحمل فى طياتها الحده والعنف والشده والقتل.

الجهاد الابتدائى فى نظر المنكرين

إن طرح هذا الإشكال جعل بعض الكتاب المصريين-قبل ما يقارب من خمسه عقود - يتنكرون لوجود الجهاد الابتدائى فى الإسلام،وأن الجهاد المذكور فى القرآن الكريم هو جهاد دفاعى وليس جهاد ابتدائى.

وقالوا.إن هناك فرق بين التشريع الإسلامى وممارسه المسلمين،وقد استدلوا فى ما قالوا بالعديد من الآيات والروايات النبويه،وقبل أن نستعرضها نود الإشاره إلى أن تنصل هؤلاء مما حصل أثناء الفتوحات إقرار بوجود أخطاء وتجاوزات قامت بها جيوش الفتح.

ومن الآيات التى استدلوا بها وهى آيات مدنيه،منها قوله تعالى.(وَ قاتِلُوا فِى

سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقاتِلُونَكُمْ وَ لا تَعْتَدُوا إِنَ اللهَ لا يُحِبُ الْمُعْتَدِينَ) (۱)،واعتبروا هذا النص نصاً مقيداً لباقى النصوص القرآنيه التى تدعو إلى الجهاد،واستدلوا بقوله تعالى.(لا يَنْهاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِى الدِينِ وَ لَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ أَنْ تَبَرُوهُمْ وَ تُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَ اللهَ يُحِبُ الْمُقْسِطِينَ) (۲).

وقوله تعالى.(وَ أَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَهٍ وَ مِنْ رِباطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَ اللهِ وَ عَدُوَكُمْ وَ آخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ شَىْ ءٍ فِى سَبِيلِ اللهِ يُوَفَ إِلَيْكُمْ وَ أَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ*وَ إِنْ جَنَحُوا لِلسَلْمِ فَاجْنَحْ لَها وَ تَوَكَلْ عَلَى اللهِ إِنَهُ هُوَ السَمِيعُ الْعَلِيمُ) (۳)،فعند كثير من المذاهب أن هذه الآيه ليست منسوخه؛لأن هذه الآيه تدل على تشريع المهادنه مع الكفار وعقد العهد والأمان معهم،وهذا يدل على أن قتال الكفار فى القرآن الكريم ليس بشكل مطلق.

وقوله تعالى.(وَ إِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجارَكَ فَأَجِرْهُ حَتى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ ثُمَ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذلِكَ بِأَنَهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ) (۴)،وهذه الآيه فى سوره من أواخر السور التى نزلت،-وقيل آخر سوره نزلت،وإن كان الأصح بين المفسرين أن سوره المائده هى أخر سوره نزلت-وفيها دلاله على حاله المهادنه وعدم الاعتداء.

حروب النبى صلى الله عليه و آله كلها دفاعيه

إن طرح مثل هذه الآيات هدفه التأمل،ومراجعه الأحكام الوارده فى كتب الجهاد عند المسلمين فى تشريع الجهاد الابتدائى،أما بالنسبه لسيره النبى صلى الله عليه و آله فيقولون.إننا

۱- (۱) سوره البقره.الآيه ۱۹۰.

۲- (۲) سوره الممتحنه.الآيه ۸.

۳- (۳) سوره الأنفال.الآيتان ۶۰ و ۶۱.

۴- (۴) سوره التوبه.الآيه ۶.

يجب أن نفرق بين سيره النبى وسيره من بعده عموماً،وأن حروب النبى صلى الله عليه و آله ابتداء من بدر حتى تبوك لم تكن حروباً تمثل الجهاد الابتدائى،بل كلها حروب دفاعيه، والشاهد على ذلك أن غزوه بدر لم يقم بها النبى صلى الله عليه و آله إلابعد أن قامت قريش بالاعتداء على المسلمين وعلى أموالهم فى مكه المكرمه،بل كانت قريش تعتدى على المسلمين حتى فى المدينه المنوره على شكل غارات ليليه،فكان هدف النبى صلى الله عليه و آله وقف العدوان القرشى والاقتصاص من قريش،فلذلك هاجم قافله قريش التى كان يقودها أبو سفيان وحينها نزل قوله تعالى.(وَ إِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطائِفَتَيْنِ أَنَها لَكُمْ وَ تَوَدُّونَ أَنَ غَيْرَ ذاتِ الشَوْكَهِ تَكُونُ لَكُمْ وَ يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَ الْحَقَ بِكَلِماتِهِ وَ يَقْطَعَ دابِرَ الْكافِرِينَ) (۱)،ونجت قافله أبى سفيان من المسلمين الذين كانوا يبنون على المقاصه الماليه،والمقاصه الماليه منطق دفاعى وليس منطقاً عدوانياً،ولا جهاداً ابتدائياً،كما هو مطروح فى فقه المذاهب الإسلاميه،وأن أبا سفيان قد أرسل إلى جيش قريش قائلاً.«إن العِير قد نجت ولا حاجه للحرب،إلاأن قريش بخيلائها وكبريائها لم تتراجع عن الحرب،وعتبه قدنصح قريش أن لا تعتدى على النبى صلى الله عليه و آله وأن لا تحاربه،وكان النبى صلى الله عليه و آله يقول:

«إن يك عند أحد خير فعند صاحب الجمل الأحمر،و إن يطيعوه يرشدوا» (۲)،وكان عتبه هو الراكب على الجمل الأحمر،حيث كان يريد أن يثنيهم عن ذلك،إلاأن أبا جهل قال له.أجبنت يا عتبه ؟ فابتدأ القتال، ولكن لم يكن الابتداء من طرف النبى صلى الله عليه و آله،بل هو من طرف قريش بدءاً بالعدوان المالى والعرضى والأمنى وانتهاءً بساحه المعركه،إذن هذه هى معركه دفاعيه.

وأما غزوه تبوك فهى عباره عن الاستعداد الرادع لطغيان الروم الذين كانوا يهددون المسلمين.

۱- (۱) سوره الأنفال.الآيه ۷.

۲- (۲) راجع بحار الأنوار.۲۲۴/۱۹،الباب ۱۰-غزوه بدر الكبرى.

وکـذلک غزوه مؤته التی استشـهد فیهـا جعفر الطیـار وزیـد بن حارثه وعبـدالله بن رواحه،والصـحیح أن جعفر الطیار هو أول مَن استشـهد فی هـذه المعرکه،وهو القائـد الأول للجیش ولیس زید بن حارثه کما تذکر بعض المصادر التی عندها حساسـیه مع آل أبی طالب.

وأما غزوه حنین فإن ما فعلته قبیله هوازن من تهدیـد المسـلمین کان سـبباً فی قتالهم،وعنـدما دخل النبی صـلی الله علیه و آله إلی مکه فاتحاً أخذ الرایه أحد الصـحابه قائلاً.«الیوم یوم الملحمه،الیوم تسبی الحرمه»(۱)،فأمر النبی صـلی الله علیه و آله علیاً أن یأخذ الرایه ویقول:

الیـوم یـوم المرحمه ،الیوم تحمی الحرمه» (۲)،حتی أن النبی عامل البیت الـذی طالما ناصـبه العداء والحقد،وهو بیت أبی سـفیان برفق،حیث قال صلی الله علیه و آله:

«من دخل دار أبی سفیان فهو آمن» (۳).

وعندما قال لهم صلی الله علیه و آله:

«ما ترون أنی فاعل بکم ؟» (۴).

قالت قریش.أخ کریم،وابن أخ کریم.

هذه إجابات هؤلاء الباحثین،کما أنه بین الفینه والأُخری نری أن هناک بعض الدراسات التی تحاول نفی الجهاد الابتدائی وأنه لا تدل علیه النصوص الشرعیه القرآنیه أو النبویه.

۱- (۱) بحار الأنوار.۱۰۵/۲۱،الباب ۲۶-فتح مکه.

۲- (۲) شرح نهج البلاغه/ابن أبی الحدید.۱۹۰/۱۷،خبر فتح مکه.

۳- (۳) الخصال.۲۷۴،بـاب الخمسه.بعث الله النـبی صـلی الله علیه و آله بخمسه أسـیاف،الحـدیث ۱۸.شـرح نهج البلاغه/ابن أبی الحدید.۱۹۱/۱۷،خبر فتح مکه.

۴- (۴) تاریـخ الطـبری.۵۳۴/۲،ذکر الخبر عـن فتـح مکـه،ولکـن ورد فیهـا.«قـالوا»بـدل«قـالت قریش».البـدایه والنهـایه/ابن کثیر.۳۴۴/۴،صفه دخول مکه.السنن الکبری/البیهقی.۱۱۸/۹،کتاب السیر-باب فتح مکه حرسها الله تعالی،بتفاوت یسیر.

وهـذه الإجابـات رغم أنهـا تحمـل بعض اللفتـات الصـحيحه والاسـتدلالات المحقه، إلا أنها لا تصـلح أن تكون جواباً للإشـكال المطروح.

الجواب الصحيح عن إشكال الجهاد الابتدائى

الجواب الصـحيح عن هـذا الإشـكال هو أن الجهـاد الابتـدائى ليس معنـاه الابتـداء بالعـدوان،وإن كانت كلمه (الابتـدائى) توحى للسامع هـذا المعنى،والمعنى الصـحيح لهـذا المصـطلح هو بـدء إظهار القوه العسـكريه وإظهار لغه القوه،ولكن هـذا المصـطلح لا يتضـمن البـدء بالحرب،بل يعنى اسـتعمال الأُسـلوب الضاغط وأُسـلوب القوه فى معالجه عـدم خضوع الطرف الآخر-الذى يعادى المسلمين-لميزان العداله فى التعامل مع المسلمين.

الجهاد الابتدائى وخلفياته

فى الواقع أن الجهاد الابتـدائى له خلفيه حقوقيه دفاعيه،بمعنى إذا تعرضت حقوق المسـلمين أو المستضـعفين للانتهاك،فلا يبقى حالهم على ما هو عليه،بل لا بـد من التصـدى لـذلك،فإذا لم يسـتجب الطرف الآخر لإقامه النظام السياسـى العادل حسب العداله الإسـلاميه-مثلاً-وأُقيمـت الحجـه عليـه،ولـم يسـتجب للغـه الإنصـاف والعـدل، فمـن الواضـح أن الإسـلام لـن يبقى على طـبيعته الأـوليه،وهى الحـوار والتعقـل والرفـق والليـن؛لأـن مـن المفـترض أن الحجه قـد اقيمت ولم ينفـع الخطـاب العقلاـنى مع الطرف الآـخر،ولم يبق مجـال إلاـلمنطق القوه والساحـات العسـكريه،ولأـن اسـتخدام لغه القوه يهـدف إلى كبـح جماح النزوات الغريزيه الحيوانيه فى الطرف الآخر المعتدى، ولا يتضـمن استخدام القوه فى المفهوم الإسلامى إلاالأجل ذلك ولا يكون سبباً فى إهلاك الحرث والنسل،فالقرآن الكريم يبغض وينهى عن إهلاك الحرث والنسل؛لأنه مخالف لمفهوم الاصلاح الذى جاء به الإسلام.

القرآن الكريم ينهى عن إهلاك الحرث والنسل

قال تعالى.(وَ إِذا تَوَلى سَعى فِى الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيها وَ يُهْلِكَ الْحَرْثَ وَ النَسْلَ وَ اللهُ لا يُحِبُ الْفَسادَ) (۱)،فليس من المنطق الإسلامى أن تحرق مكتبه الاسكندريه وتبقى مده طويله تلتهمها النيران،لأن هذا ليس منطق النبى صلى الله عليه و آله،ولا منطق الإمام على عليه السلام،وهذه أوراق يجب أن تبحث بصراحه،فحرق التراث الفكرى يعنى حرب على الفكر المقابل.أما منهج أهل البيت عليهم السلام فيعتمد على الانفتاح على العلوم البشريه وتهذيبها وترشيدها،والاستفاده من الخبرات البشريه والانجازات التى حققها الآخرون فى تدبير المعيشه وخدمه العلوم الدنيويه،فضلاً عن العلوم الأُخرويه.

الإسلام يكرم بنى آدم

الأصل الأولى فى الإنسان عموماً هو أن يكون مكرماً،قال تعالى.(وَ لَقَدْ كَرَمْنا بَنِى آدَمَ) (۲)،وهذا يشمل المسلمين وغير المسلمين،هذا هو الأصل الأولى،وكما يقول الإمام على عليه السلام:

«إما أخ لك فى الدين أو نظير لك فى الخلق» (۳)،وهذه العباره من قول الإمام عليه السلام التى رفعها الأمين العام للأُمم المتحده كوفى عنان شعاراً للسلام ولتفعيل الحوار بين الطوائف والقوميات؛ولهذا قال.«إنها يجب أن تكون شعاراً لحوار الحضارات».

إذن الجهاد الابتدائى يعنى التلويح بالقوه لحفظ حقوق المسلمين والمستضعفين المسلوبه،ولا يعنى الاعتداء على الشعوب بدون سبب أو ترويع شعب مسالم آمن.

۱- (۱) سوره البقره.الآيه ۲۰۵.

۲- (۲) سوره الإسراء.الآيه ۷۰.

۳- (۳) نهج البلاغه.۴۲۶-رسائل أمير المؤمنين عليه السلام،الرقم ۵۳،كتبه للأشتر النخعى لما ولاه مصر وأعمالها.تحف العقول.۹۰،عهده عليه السلام إلى الأشتر حين ولاه مصر وأعمالها.

المحاضره السادسه الخلفيات الحقوقيه للجهاد الإبتدائى

اشاره

ص:۲۷۷

الجهاد الابتدائى والإرهاب

كان الكلام فى ما سبق حول الإثاره المطروحه فى محافل عالميه عديده،من أن الدين الإسلامى يحمل فى طياته لغه الإرهاب،وما يتمسك به القائلون بهذه الدعوه المضاده هو وجود مفهوم الجهاد الابتدائى فى القرآن الكريم والتشريع الإسلامى.

وأصل هذه الإثاره حول الجهاد الابتدائى أو جهاد الدعوه لها منشأ مرتبط بالموروث التاريخى المتعلق بالفتوحات الإسلاميه،وهذا البحث يتصل بالفتوحات كما يتصل بموقف على عليه السلام،حيث انكفأ فى حكومته على الإصلاح الداخلى، والتركيز على السياسه الداخليه وترتيب أوراق الوضع الداخلى.

ذكرنا فى ما تقدم مجمل الأدله التى استند إليها بعض الكتاب فى نفى وجود لغه العنف فى الدعوه الإسلاميه،وأنه ليس هناك ما يدعو للقتال والعنف والقوه وقهر الآخرين وإجبارهم على الدخول فى الدين الإسلامى،لكنه استخدام للقوه للدفاع عن المستضعفين والمحرومين ولإرساء النظام السياسى للعداله الإسلاميه.

قوى الاستكبار وآيات الجهاد

هذا الأمر جدىٌ جداً وملح فى الوسط الدولى،ونحن نلاحظ أن أمريكا والعالم الغربى

يريدون إقناع العالم بأن آيات الجهاد الموجوده فى القرآن إنما تعتبر أمراً إرهابياً، ولا بد من الضغط على المسلمين من أجل حذف هذه الآيات من القرآن الكريم والشريعه الإسلاميه والفقه الشرعى.

فالمسأله من الخطوره بمكان بحيث تتجاوز مرحله التنظير والبحث النظرى، بل يراد لها أن ترسو على خطوات خطيره جداً؛إذ ينبغى على فقهاء الشريعه أن يفهموا هذه الإشكاليه بعمق،وأن تتم دراستها دراسه مستفيضه والرد عليها بشكل قوى؛لأن هذه المسأله ليست مسأله نظريه،وليست ثرثره فكريه بل هى مسأله قد أخذت طابعاً عملياً إلى درجه أن بعض البلدان الآن تمنع قراءه آيات الجهاد فى الإذاعه والتلفزيون والمحافل العامه،وأن هناك توصيه غربيه مفروضه على بعض البلدان الإسلاميه لكى تمنع قراءه آيات الجهاد وحذفها من المناهج الدراسيه.

الإسلام ومخالفات المسلمين

فى البدء لا بد أن نستعرض التنظير العلمى لهذه القضيه،حيث أن هناك فرق بين البحث النظرى والتطبيق العملى،بمعنى أن النظريه الإسلاميه غير مسؤوله عن الممارسات الخاطئه التى قام بها المسلمون،وأنها ليست مسؤوله إلاعما يستند إلى التشريع الإسلامى الصحيح،فليس من العدل أن نحمل النظريه التطبيقات الخاطئه والممارسات غير المسؤوله لمن يعتقد بهذه النظريه.

اختصاص كل علم بمصطلحاته

النقطه الأُخرى التى نريد الإشاره إليها هى أن جهاد الدعوه والجهاد الابتدائى ليس مطروحاً فى الفقه الإسلامى بمعنى ابتداء العدوان أو الحرب العدوانيه،وبعباره اخرى.من الخطأ الفادح أن نحمل اصطلاحات فى علم معين على اصطلاحات اخرى فى علم آخر،ومن الخطأ أيضاً أن يقرأ الباحث مفاهيم معينةٍ فى بيئه معينه ويطبقها

على بيئه اخرى؛لأن لكل بيئه مفاهيمها وأفكارها الخاصه بها.

الجهاد الابتدائى وخلفيته الحقوقيه

ما ذكره الفقهاء من أن الجهاد الابتدائى بند من بنود الشريعه الإسلاميه ليس المراد منه العدوان واستخدام لغه القوه،وأن لا يفهم السامع من كلمه (الابتدائى) معنى العدوان، لأنها ليست كذلك فى الفقه الشرعى،بل إن معنى الجهاد الابتدائى هو المبادره العسكريه التى تحمل فى طياتها غطاءً حقوقياً،وهذا باتفاق جميع المذاهب الإسلاميه،وإن كان هناك خلاف فى بعض التفاصيل بين مذهب أهل البيت عليهم السلام والمذاهب الأُخرى،إلاأن جميع المسلمين يعتقدون أن الجهاد الإبتدائى يتضمن غطاءً حقوقياً فيكون جهاداً دفاعياً فى المصطلح الحقوقى وليس حرباً عدوانيه كما ترجمه البعض.

الجهاد الابتدائى فى المصطلح الحقوقى

إذن كل الجهاد يرجع إلى الجهاد الدفاعى،كما أشار إلى ذلك الشيخ جعفر آل كاشف الغطاء والشيخ الكلينى،وقد قسم الفقهاء الجهاد إلى قسمين.

جهاد ابتدائى وجهاد دفاعى،والمقصود من الجهاد الدفاعى هو استخدام لغه القوه رداً على استخدام العدو لها.

أما الجهاد الابتدائى فهو جهاد دفاعى أيضاً مع فارق أنه فيه مبادره باستخدام القوه العسكريه مع وجود الغطاء الحقوقى،وبالتالى يكون جهاداً دفاعياً فى المصطلح الحقوقى.

وتطبيقاً لما ذكرنا يتضح أن معركه بدر وحنين ومؤته كانت جهاداً ابتدائياً بالمصطلح الفقهى،وحروباً دفاعيه بالمصطلح القانونى.

الجهاد الابتدائى فى النصوص الشرعيه

الجهاد الابتـدائى مصـطلح فقهى،ولا يوجـد هـذا اللفظ فى النصوص الشـرعيه.نعم، بعض الروايات عبرت عنه بجهاد الـدعوه،وإذا استعرضنا المبررات الشرعيه لهذا الجهاد فلن يكون حرباً عدوانيه،بل سيكون جهاد إصلاح وإنماء وإرساء للعداله.

الجهاد الابتدائى بين الفطره الإنسانيه والنظام العالمى

لو تساءلنـا هـل للجهاد الإبتـدائى (فى المصـطلح الفقهى وليس الحقوقى) أو جهاد الـدعوه منشأ فى الفطره الإنسانيه وفى البحوث العقليه باعتبار أن الشريعه الإسلاميه توافق الفطره الإنسانيه ؟

نعم،العقـل يرجـح نصـره المظلوم،والوقوف فى وجه الظالم،وعلى الصـعيد الـدولى نرى أن المجتمع الـدولى يرفع شـعار مكافحه الإرهاب حتى لو لم يكن ذلك الإرهاب موجه ضد نفس الدوله التى رفعت الشعار.

أما فى إطار النظام العالمى الموحـد نرى أن أمريكا تعطى لنفسـها الحق فى التـدخل فى شؤون الدول بعنوان مكافحه الإرهاب أو حقوق الإنسان،وحتى البنك الدولى يفرض شروطه ويتدخل فى الشؤون والسياسات الداخليه للبلد الذى يطلب منه قرضا مالياً،فلا يدعمه ويقرضه إلاإذا أذعن لشروطه وضغوطه.

إذن أصل اسـتخدام لغه القوه لـدفع ظاهره عـدوانيه وإن كانت فى بلـد آخر أمر موجود عقلاً ومعمول به دولياً،ومتعارف عليه من قِبل المجتمع الدولى.

وعليه فالكلام كل الكلام ليس فى استخدام القوه وإنما هو فى الخلفيه الحقوقيه والتبرير الحقوقى لاستخدام القوه.

ما هو الإرهاب ؟

لا يزال المجتمع الدولى فى جدل كبير حول تحديد مفهوم الإرهاب،وإلى الآن

لم یرسُ علی مفهوم متفق علیه علی طاوله الجدل البشریه.

فالإرهاب بما هو مفهوم یعتبر مفهوماً مذموماً،لا یساوی المبادره بالقوه العسکریه،فربما یبادر الشعب المظلوم باستخدام القوه تجاه الجهات التی تظلمه، وهذا یتم فی غیاب أجواء الحوار،وعندها تعطی تلک الجهه الظالمه لنفسها الحق فی استخدام القوه تجاه تلک القوه الضعیفه،وتعتبر أی فعل یشکل مبادره عسکریه من قِبل تلک الجهه الضعیفه تعتبره إرهاباً،ومن الاجحاف اعتبار هذا العمل إرهاباً،بل هو مقاومه مشروعه لاسترداد الحق،کما هو حال المقاومه فی جنوب لبنان.

مبررات القتال فی القرآن الکریم

العنف واستخدام القوه لیس من طبیعه الإنسان الأولیه لا فی التقنین ولا فی التشریع،ولکنها تکتسب الشرعیه من خلال بعض الظروف المحیطه بها،ونحن نری أن التشریع الإسلامی والآیات الکریمه تحمل شعاراً یتناغم مع الفطره،فمن الآیات المحکمه قوله تعالی.(وَ ما لَکُمْ لا تُقاتِلُونَ فِی سَبِیلِ اللهِ وَ الْمُسْتَضْعَفِینَ مِنَ الرِجالِ وَ النِساءِ وَ الْوِلْدانِ الَذِینَ یَقُولُونَ رَبَنا أَخْرِجْنا مِنْ هذِهِ الْقَرْیَهِ الظالِمِ أَهْلُها وَ اجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْکَ وَلِیًا وَ اجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْکَ نَصِیراً) (۱)،فالقرآن الکریم بین أن هدف الجهاد وغرضه وغایته هو تثبیت شرع الله تعالی،ونصره المظلومین والمستضعفین،إذن جهاد الدعوه یحمل فی طیاته نصره المظلومین،وإنجاز حقوق الله علی عباده،والاستضعاف تارهً یکون استضعافاً مالیاً ومادیاً،واُخری یکون استضعافاً عقائدیاً وفکریاً وهو من أشد الاستضعاف،قال تعالی.(إِلَا الْمُسْتَضْعَفِینَ مِنَ الرِجالِ وَ النِساءِ وَ الْوِلْدانِ لا یَسْتَطِیعُونَ حِیلَهً وَ لا یَهْتَدُونَ سَبِیلًا) (۲)،فهنا (لا یَسْتَطِیعُونَ حِیلَهً) هو الاستضعاف المالی والمادی،(وَ لا یَهْتَدُونَ سَبِیلًا)

۱- (۱) سوره النساء.الآیه ۷۵.

۲- (۲) سوره النساء.الآیه ۹۸.

هو الاستضعاف الفكرى والعقائدى.

دور الإعلام فى استضعاف الشعوب

ما نلاحظه الآن أن الأعراف الدوليه والقانونيه البشريه بدأت تقر بأن الشعوب المستضعفه المقهوره إنما تقع تحت التضليل الإعلامى للدول القويه باعتبار أن الإعلام هو السلطه الرابعه،بل قد يكون أخطر من السلطات التنفيذيه والتشريعيه والقضائيه؛لأن الإعلام هو الذى ينشر الفكر أو يجمده هنا وهناك.

ويقال إن الشعوب المستضعفه أكثر وعياً فى الجانب السياسى من غيرها من الشعوب؛لأنها تقع تحت الظلم،وهذا الظلم يجعلها تتابع الأحداث حتى تتوصل إلى نقطه الخلاص،والإعلام له دور كبير فى تضليل الرأى العام وقلب الحقائق.

تعاليم القرآن وممارسات بعض المسلمين

من آيات الجهاد الابتدائى قوله تعالى.(يا أَيُهَا الَذِينَ آمَنُوا إِذا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَنُوا وَ لا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقى إِلَيْكُمُ السَلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَياهِ الدُنْيا فَعِنْدَ اللهِ مَغانِمُ كَثِيرَهٌ كَذلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَ اللهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَنُوا إِنَ اللهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً) (١).

هذا على سبيل النظريه،أما على سبيل التطبيق فهناك من الممارسات الخاطئه-فى ما يسمى بالفتوحات الإسلاميه-ما يقرح القلوب.

صفات المجاهدين فى القرآن الكريم

لا شك فى أن الدين الإسلامى يشترط فى المجاهدين صفاتاً خاصه،ولا يمكن أن يكون حالهم حال باقى الناس،فضلاً عن القائد لهؤلاء المجاهدين الذى يقوم

١- (١) سوره النساء.الآيه ٩۴.

بالوصايه على جهاد الدعوه،ولم يرض الإسلام بتأهيل أى شخص لهذه الوصايه؛لأن الجهاد عقد بين الخالق والمخلوق؛ولهذا قال تعالى.(إِنَ اللهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ بِأَنَ لَهُمُ الْجَنَهَ يُقاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَ يُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقًا فِى التَوْراهِ وَ الْإِنْجِيلِ وَ الْقُرْآنِ وَ مَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَذِى بايَعْتُمْ بِهِ وَ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (۱)،ثم يصف الله تعالى المجاهدين بقوله.(اَلتائِبُونَ اَلْعابِدُونَ الْحامِدُونَ السائِحُونَ الراكِعُونَ الساجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ الْحافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ وَ بَشِرِ الْمُؤْمِنِينَ) (۲).

وما جاء فى روايه لطيفه عن الإمام السجاد عليه السلام حينما كان متوجهاً إلى الحج ما يشير إلى أن للمجاهدين صفات خاصه بهم،حيث التقى به عباد البصرى فقال له.يا على بن الحسين،تركت الجهاد وصعوبته،وأقبلت على الحج ولينه،إن الله تعالى يقول:

(إِنَ اللهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ بِأَنَ لَهُمُ الْجَنَهَ ...)،فقال له الإمام السجاد:

«إذا رأينا هؤلاء فالجهاد معهم أفضل» (۳).

شروط الجهاد الابتدائى وأهدافه

إن جهاد الدعوه والجهاد الابتدائى بالمصطلح الفقهى ليس مفتوحاً لكل من هب ودب،وإنما كان مفتوحاً لفئه خاصه تتميز بصفات معينه فى التشريع الإسلامى.

وأما غرض جهاد الدعوه فهو نصره المظلومين،وإنجاز حقوق الله على الناس، وقد يتساءل البعض هل لله حقوق على البشر ؟ وهذه جدليه كتبت فيها الكتب،

۱- (۱) سوره التوبه.الآيه ۱۱۱.

۲- (۲) سوره التوبه.الآيه ۱۱۲.

۳- (۳) الكافى.۲۰/۵،باب الجهاد مع من يكون،الحديث ۱.الوسائل.۴۶/۱۵،باب اشتراط وجوب الجهاد بأمر الإمام وإذنه،الحديث ۳/۱۹۹۵۶.

وأن أی مصدر من مصادر الحقوق لله،فیها حق کحق الحاکمیه الذی تقر حتی المسیحیه به،ولکنهم یقولون.إن الله قد أعفی عباده من هذا الحق.

الجهاد الابتدائی حق الإمام المعصوم الخاصه

المبرر الحقیقی لجهاد الدعوه هو إنجاز حقوق الله علی الناس،هذا أولاً،وثانیاً.ما نرید الإشاره إلیها هو أن الذی جعله الله وصیاً علی البشریه لم یکن فرداً عادیاً من الأفراد،وإنما هناک أشخاص معینون للجهاد یعرفون بسیماهم،ولیس کل من ربی لحیته أو وضع علی رأسه عمامه فهو مؤهل لهذا الجهاد،وأن جهاد الدعوه حق للمعصوم،وهذا ما علیه إجماع الإمامیه،إلامن شذ،ولهذا فإن جهاد الدعوه هو صلاحیه خاصه للمعصوم علماً وعملاً؛لأنه الإنسان الکامل المؤهل لهذا المنصب الإلهی،حتی أن الزعیم الراحل الخمینی رحمه الله رغم أنه یری أن للفقیه صلاحیات أوسع، أی نیابه الفقیه المطلقه،کان فی استفتاءاته وإلی آخر أیام حیاته یری أن الجهاد الابتدائی هو حق للمعصوم لا غیره،وهذا ما تظافرت علیه الروایات.

وفی روایه عن الإمام الصادق علیه السلام قال:

«فأخبر أنه تبارک و تعالی أول من دعا إلی نفسه و دعا إلی طاعته و اتباع أمره،فبدأ بنفسه فقال. وَ اللَّهُ یَدْعُوا إِلی دارِ السَّلامِ وَ یَهْدِی مَنْ یَشاءُ إِلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ) (۱)ثم ثنی برسوله صلی الله علیه و آله فقالاُدْعُ إِلی سَبِیلِ رَبِکَ بِالْحِکْمَهِ وَ الْمَوْعِظَهِ الْحَسَنَهِ وَ جادِلْهُمْ بِالَتِی هِیَ أَحْسَنُ) (۲)»(۳).

ثم یستعرض الإمام الصادق علیه السلام صلاحیه الدعوه بعد ذلک،فیبین أن الذی یصلح

۱- (۱) سوره یونس.الآیه ۲۵.

۲- (۲) سوره النحل.الآیه ۱۲۵.

۳- (۳) راجع وسائل الشیعه.۳۴/۱۵،باب مَن یجوز له جمع العساکر والخروج بها إلی الجهاد،الحدیث ۱/۱۹۹۴۹.الکافی.۱۳/۵،باب مَن یجب علیه الجهاد ومَن لا یجب،الحدیث ۱.

للدعوه والجهاد هو من يكون ملتزماً بشرع الله عز وجل فى الجهاد،ومن لم يكن ملتزماً بشرع الله فليس بمأذون له فى الجهاد والدعوه إلى الله حتى يحكم فى نفسه ما أخذه الله من شرائط الجهاد.

أمريكا والتناقض بين الشعار والواقع

فى زماننا أمريكا أو الاُمم المتحده ترفع شعار مكافحه الإرهاب وكل ما يعكر صفو الأمن البشرى،أو ما يتناقض مع حقوق الإنسان،ولكن هل تحقق أمريكا أو الاُمم المتحده العداله،ففى أمريكا هناك امتيازات للجنس الأبيض على الجنس الأسود، وهذا هو الواقع،وإن كانت القوانين المدونه لا تعترف بهذه الحقيقه.

الإسلام يدعو إلى العداله ويطبقها

ولكن عند المسلمين الأمر يختلف،فالكل سواسيه كأسنان المشط،بينما عند المسيحيين لا يمكن للأسود أن يكون رئيساً للوزراء أو للجمهوريه أو باباً للكنيسه، هذا هو الواقع،وهذا هو المتعارف عندهم وإن لم يكن مدوناً،ولكنهم أشد التزاماً بالأعراف من القوانين،بينما نرى الإسلام يفتح المجال أمام الأبيض والأسود لكى يصل إلى أعلى المناصب.نعم،الإمامه الإلهيه التى تعتمد على الإصطفاء الإلهى ليس شرعه للجميع بل هى (ارستقراطيه إلهيه)،لا يستطيع أحد أن يكتسبها.

إذن الإسلام عندما يدعو إلى العداله فإنه يطبق هذه العداله،والتشريع الإسلامى يمتاز بهذه الميزه التى تفتقر إليها الديانات المحرفه والمدارس الوضعيه الاُخرى.

الفيتو حق للمعصوم عليه السلام

قانون الفيتو يجب أن يكون له مبرر حقوقى،وهو سيطره الأعقل على العاقل، ووصايه الأخبر على مَن هو أقل خبره منه،ففى مذهب الإماميه لا يسمح للفقيه

والمرجع أن يكون له حق النقض الفيتو،ولاـ يمتلك هـذا الحق إلاالإمام المعصوم المتصل علمه بعلم الله تعالى وهو صاحب العلم اللـدنى،بينما نرى-فى القانون الغربى-أن حق النقض الفيتو متاح للقوى الذى يخضع بدوره إلى مصالحه الخاصه ونزواته وغرائزه وشهواته،فيكون هذا الفيتو باب من أبواب تكريس الظلم فى المجتمع البشرى.

النزوع الفطرى نحو العصمه

مما تقدم كيف نبرر مفهوم الفيتو فى المنطق الغربى على المستوى القانونى والحقوقى إذا كان هو حق للقوى الذى تنطوى حوله المصالـح والشـهوات ويـديره حيثمـا يريـد ويفقـد هـذا الفيتـو عـدالته بالتصـرفات الظـالمه لهؤلاـء ولأجـل إعـادته إلى الصـواب والعـدل،إذن لا بـد لقيمومه الأعدل والأعلم على غيره،وهذا الأعلم والأعدل والأخبر والأعقل هو المعصوم فى مذهب أهل البيت عليهم السلام،والتسليم بهذا المبدأ يعنى النزوع الفطرى نحو العصمه؛لأن الإنسان بفطرته يريد أن يعطى حق الفيتو للمعصوم الذى لا يخطأ على المستويين العلمى والعملى.

ص:٢٨٨

المحاضره السابعه:الرد على شبهه الرق وحقوق الإنسان

اشاره

ص:٢٨٩

مسأله الرق وحقوق الإنسان

من الأمثله التى يعترض بها المعترضون على الإسلام هى مسأله الرق والاستعباد المذكوره فى القرآن الكريم والتشريع الإسلامى،وهى مساله قديمه حديثه؛لأن الرق كما يتصورون هو مخالف لحقوق الإنسان التى تناشد بها الشعوب المتحضره.ولهذا كان هنالك مخطط أمريكى يستهدف فرض الوصايه على الإرشاد الدينى والمناهج فى الدول الإسلاميه باعتبار أن بعض تعاليم الإسلام تحرض على الإرهاب،وتناقض حقوق الإنسان،وتحاول أمريكا الضغط على الدول الإسلاميه من أجل التخلى عن مفاهيم بعض الآيات القرآنيه التى تدعى أنها تحرض على الإرهاب أو تناقض حقوق الإنسان.

القراءات الجديده للنصوص الشرعيه

بعض المحدثين من العالم الإسلامى يحاول أن يجد إجابه عن هذه التساؤلات، ويوجد الحل المناسب لها بأن يقول إن جمله من التشريعات القرآنيه والنبويه هى تشريعات كانت مقننه ومؤسسه على ضوء البيئه العربيه الجاهليه،أو البيئه البشريه فى أعراف ذلك الزمن،وبعضهم يتمادى فى هذا المجال ويسميه قراءه حديثه للقرآن

الكريم،ويقول حتى الحجاب الوارد فى التشريع الإسلامى بهذا النحو من التشدد إنما كان لاعتبارات خاصه هى أن المرأه العربيه السابقه كانت تعيش فى مجتمع عربى بدوى كان فيه العطش الجنسى شديد،وكان أى بريق من جمال المرأه يثير ذلك المجتمع،فلذلك أمرها القرآن بالجلباب وهو ما يسمى العباءه والخمار،أو هو الربطه التى تكون على الرأس أو الحجاب،وللإسف الشديد نجد أن المرأه قد تركت العباءه واستبدلتها بما يسمى ب (البالطو) الذى يتفنن مصممو الأزياء فى تشكيله بشكل يظهر مفاتن المرأه من الخصر والصدر والبطن،فتمشى المرأه بهذا اللباس وكأنها فى استعراض لمفاتنها.

الحداثيون.أحكام الإسلام ليست أبديه

فى الرد على هذه القراءه أقول فى البدايه.أنا لست بصدد الرد على مثل هذه القراءات الحداثيه وبيان اصول الاستنباط الشرعى؛لأن هذا موضوع قائم بنفسه،ويحتاج إلى سلسله من البحوث الكثيره،ولكن من الواضح أن من يدعون أنهم يقرأون القرآن قراءه حداثيه أو قراءه جديده يحاولون إثبات أن بعض الأحكام الإسلاميه ليست أحكاماً أبديه،وإنما كانت تناسب بيئه معينه فى أزمنه معينه،كما هو الحال فى الرق والاستعباد؛لأن هذا الموضوع مرفوض عند البشريه جمعاء فى زماننا الحالى،فما كان فى الزمان الذى رافق ظهور الإسلام فإن العرف القانونى كان يقر الأسر والسبى والرق والاستعباد،وأما الآن فبعد أن الغى الرق فى الأعراف البشريه،آن الأوان أن تعاد قراءه هذا الباب،وأن نقرأه قراءه جديده موافقه للحداثه والتحضر،ولازم ذلك أن تغير بعض الأحكام الوارده فيه-كما يقولون -.

عالميه الدين وخلوده

أما نحن فنقول.إن الدين باعتباره ديناً ربانياً إلهياً فهو يغطى كل الأجيال وكل البيئات

وكـل أشـكال وأنواع الأـنظمه الاجتمـاعيه،وهو يقـدم موقفـاً قانونيـاً ونظاماً متكاملاً يتناسب مع كل المجتمعات،سواء كان ذلك المجتمع مجتمعاً قبلياً أو حضـرياً، وسواء كان مدنياً أو قروياً؛لأن هناك ثابت دينى ومتغير دينى،ولكننا لسـنا فى مقام تفصيل هذه المصطلحات الآن.

كرامه الإنسان فى التشريع الإسلامى

هنا علامه استفهام تطرح فى البين هى.هل أن الرق والعبوديه المطروحه فى الشريعه الإسلاميه تستند إلى الخشونه والقساوه وعدم احترام حقوق الإنسان،أم أن الأمر ليس كذلك ؟

فهنـاك قاعـده اصوليه،وهى من القواعـد الأُـم فى التشـريع الإسـلامى،تقول.(أن الطبيعه الأوليه فى التشـريع الإسـلامى هى كرامه الإنسان)،يعنى أننا فى كل مورد من الموارد لا نجـد فيه نصاً خاصاً أو تعبـداً خاصاً على الاسـتثناء أو التخصـيص أو رفع اليـد عن هـذه الطبيعه الأوليه التى هى كرامه الإنسان فى التشـريع الإسـلامى،فإننا نعتمـد على هـذه القاعـده فى التشـريع،وقـد صـرح بهـذه القاعـده الكثير من علمـاء الإمـاميه الإـثنى عشـريه،وربمـا جمله من بقيه المـذاهب الإسـلاميه الأُخرى،وهى تسـتند إلى الكثير من النصوص القرآنيه،منها قوله تعالى.(وَ لَقَدْ كَرَّمْنا بَنِى آدَمَ) (١).

وقوله تعالى.(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) (٢).

وقوله تعـالى.(اَللّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّـماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّـماءِ مـاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رِزْقـاً لَكُمْ وَ سَـخَرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَ سَخَرَ لَكُمُ الْأَنْهارَ

١- (١) سوره الإسراء.الآيه ٧٠.

٢- (٢) سوره التين.الآيه ۴.

*وَ سَخَرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ دائِبَيْنِ وَ سَخَرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ) (۱)،وهذه الآيات هى قواعد قانونيه،ولا تندرج تحت فقه المقاصد أو روح الشريعه،أو أنها ثقافه قرآنيه عامه،وأن أكثر ما خلقه الله إنما سخره للإنسان،إذن فالأُمور التى توجب إهانته أو سلبه لحقوقه تكون اموراً منافيه للكرامه الإنسانيه،وهى مرفوضه فى الشريعه، والقرآن لم يخصص المؤمنين أو المسلمين بل قال. (وَ لَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ) ،إذن الإنسان بما هو إنسان،ونقصد به من يحمل الخصائص الإنسانيه من العقل والفكر الذى يساعده فى الوصول إلى الكمال،هو الذى يكون داخلاً فى التكريم،لا الإنسان بما هو مادى أو ملحد أو مجرم؛لأن هذه عناوين قد أخرجتها أدله اخرى عن التكريم، فالطبيعه الفطريه للإنسان كريمه عند الله،قال تعالى.(فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذلِكَ الدِينُ الْقَيِمُ وَ لكِنَ أَكْثَرَ الناسِ لا يَعْلَمُونَ) (۲)، أو بتعبير قرآنى آخر.(صِبْغَهَ اللهِ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَهً) (۳).

وهذا ليس من باب فلسفه التشريع،بل هو قالب قانونى قرآنى،وفى تعبير الإمام على عليه السلام:

«إما أخ لك فى الدين ،أو نظير لك فى الخلق» (۴)،أو قول الإمام الحسين عليه السلام:

»

إن لم يكن لكم دين فكونوا أحرارا فى دنياكم» (۵)؛لأن نبع الفطره لها مقتضيات قانونيه يحترمها التشريع الإسلامى تؤكد على كرامه الإنسان،والذين ينادون اليوم بكرامه الإنسان قد سبقهم الإسلام بأربعه عشر قرناً بالمناداه بها،وأنها الأصل،ولا تهتك كرامه الإنسان إلابموجب.نعم للمسلم كرامه مزيده كما أن للمؤمن كرامه أرفع.

۱- (۱) سوره إبراهيم.الآيتان ۳۲ و ۳۳.

۲- (۲) سوره الروم.الآيه ۳۰.

۳- (۳) سوره البقره.الآيه ۱۳۸.

۴- (۴) تقدم فى الصفحه ۱۶۷ و ۲۷۶ من هذا الكتاب.

۵- (۵) تقدم فى الصفحه ۲۴۲ من هذا الكتاب.

الكفار فى الفكر الإسلامى

أما بالنسبه للكفار،فالقرآن الكريم يفرق فى التعامل بينهم،فهناك كافر عدو،أو ما يسمى ب (الكافر الحربى) وكافر ليس بعدو الذى يسمى ب (الذمى)،أو المعاهد، انظروا إلى التعبير القرآنى الوارد فى قصه إبراهيم مع آزر.(وَ ما كانَ اسْتِغْفارُ إِبْراهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إِياهُ فَلَما تَبَيَنَ لَهُ أَنَهُ عَدُوٌ لِلهِ تَبَرَأَ مِنْهُ إِنَ إِبْراهِيمَ لَأَواهٌ حَلِيمٌ) ،فيلاحظ أنه كان يعلم قبل أنه كان كافراً،ولكن عندما علم أنه عدو لله تبرأ منه،وهذا دليل على الفرق بين الكافر العدو والكافر غير العدو،وهناك مصطلح الكافر ومصطلح المشرك،فهناك كافر قد يستحق النار وآخر قد لا يستحقها،وقد يستغرب البعض من الكافر الذى لا يستحق النار.نعم،الكافر الذى هو فى معرض الهدايه وفى طريق البحث عن الحقيقه لا يستحق النار.

دور الفطره الإنسانيه فى التشريعات الإسلاميه

الجزء الوافر من الشريعه الإسلاميه مستمد من الفطره الإنسانيه،وهى الفطره التى أودعها الله فى الإنسان،فتكون مشتركه بين جميع أبناء البشر،ليكون عاملاً مهم فى مسأله التشريع،وهذا ما نجده فى مذهب الإماميه بشكل بارز ربما أكثر من المذاهب الأُخرى؛لأن أحد المصادر والحجج الربانيه هو العقل،والعقل يرجع إلى الفطره، سواءً كان العقل النظرى أو العقل العملى،على الأقل فى البديهيات التى لا يختلف عليها أصحاب العقول،وهى نقطه اشتراك بين الأُصوليين والإخباريين،كما يذهب إلى ذلك الشيخ يوسف البحرانى رحمه الله عليه،وقد ورد فى روايات أهل البيت عليهم السلام أن العقل رسول باطنى كما أن النبى رسول ظاهرى،إذن فنحن نسير فى دائره اللغه البشريه،وهى اللغه العقليه الفطريه،التى تكون مشتركه بيننا وبين الأُمم الأُخرى.

معنى الرق فى الفقه الإسلامى

إن لظاهره الرق والسبى وما شابه ذلك من الظواهر الأُخرى التى اثيرت حولها الشكوك والشبهات التى تطعن بالمتبنيات الإسلاميه،ولغرض توضيح المطلب لا بد أن نعرف ما معنى العبوديه أولاً ؟ حيث تصاحب هذه اللفظه معانى التقزز والتنفر وهذا صحيح، إلا أن بيان المطلب يتوقف على توضيح معناها،فعبوديه شخص لشخص آخر لها عده معانى وعده درجات،إذا لم يدركها الإنسان قد يتنفر من العنوان فى نفسه،أو يحصل له الاشتباه فى هذا المفهوم،ونحن عندنا أن الأجير إذا آجر نفسه صار سخره للمستأجر،بمعنى أن نتاج جهده يكون لمصلحه المستأجر،وهذا يفرض نوع طاعه من الأجير إلى المستأجر،ومطلق الطاعه من المطيع إلى المطاع هو نوع من الخضوع.

الإسلام وشعار عتق العبيد

قد وردت الكثير من النصوص الشرعيه عند المسلمين ترغب الإنسان فى تحرير العبيد وتعِدَه بالثواب الجزيل،بل أن التشريع الإسلامى قد جعل بعض الكفارات عتق رقبه عبد،بل الكثير منها لا تقع إلابتحرير رقبه لأجل تطويق ظاهره الرق،كما أن الإسلام قد حث على معامله العبيد بالرفق والحسنى،إذن الإسلام كان عنده برنامج للقضاء على هذه الظاهره التى اسيئ استخدامها فى الأزمنه التى سبقته،ولهذا فقد جعلها فى ضمن تشريعاته،فكما أنها قد تحمل لون العقوبه فى الكفاره على الشخص المخالف للحكم الشرعى،فهى أيضاً تحمل فى طرفها الآخر تحريراً لعبد،كما أن التشريع قد أوجب على السيد الذى يملك الأسير نفقته وضمانه الصحى وضمانه الاجتماعى ومسؤوليته الجنائيه،وسيتحمل الكثير من أجل أن يبقى هذا العبد تحت عهدته.فالأحرى بالغربيين الذين يتهمون الإسلام أن يقروا بما فضحهم به مؤتمر مكافحه العنصريه الذى عقد فى جنوب أفريقيا فى العام الماضى بأن ضمانات

العبيد الذين استعبدوا-بأشنع وأفضع وأشد وأقمع وأقبح طريقه بشريه من قِبل البيض-ضمانات ضائعه.

نيويورک مدينه بيضاء

حتى اليوم ليس الأبيض كالأسود فى الدول الغربيه،وفى خطابه الأخير-بكل وقاحه، وقله حياء-يصرح الرئيس الأمريكى أن مدينه نيويورک يجب أن ترجع مدينه بيضاء، أى فقط للجنس الأبيض،فهل هذا منطق إنسان يحترم حقوق الإنسان ؟بينما الإسلام يجعل من الرق نظام ضمان وكفاله وتربيه إسلاميه للعبد أو الأسير مقننه ومشروطه، ومع ذلک فإنه يخطط للقضاء عليها بشكل كلى فى تشريعاته الفقهيه.

الرق وملكيه الخدمه

قبل الخوض فى هذا الموضوع يجب أن نحذر من الانسياق وراء العناوين القانونيه التى يضعها أصحاب المصالح،حيث يتم الخداع،والمغالطات،وخدمه المصالح، وترجيح طرف الباطل على طرف الحق،ولا بد من الالتفات إلى نفس المعنى مهما حاولوا تسميته بمسميات اخرى.

فالرق فى التشريع الإسلامى يعنى الخدمه وملكيه الخدمه ليس إلا،ولا يعنى القهر والظلم،وإلى الآن لا تزال الكثير من الدول لا يتمتع الخادم فيها بالضمان الذى يضمن الحمايه لهذا العبد أو الخادم،أو الموجود بمسميات اخرى فى القرآن الكريم والشريعه الإسلاميه،والتاريخ رصد لنا ماذا فعل الجنس الأبيض بالجنس الأسود، والمفروض أن يطرحوا هذه الإشكالات على حضارتهم التى تستنقص العنصر الأسود وتمنعه من الوصول إلى العديد من المناصب.

القصاص ودوره فى تكامل المجتمع

من المسائل التى اثيرت حولها الاعتراضات على التشريع الإسلامى مسأله

القصاص المقنن فی الإسلام باعتباره یخالف أبسط حقوق الإنسان،ولکن سأُجیب عن الاعتراضات بإجابات عامه،ولن أخوض فی تفاصیلها لضیق المقام،فمثلاً لو فسد عضو من أعضاء الإنسان بسبب مرض ما کمرض السرطان الخبیث بحیث لا تسلم بقیه الأعضاء إلاإذا بتر ذلک العضو،فمن الواضح أن بتر ذلک العضو یعدُ أمراً مستساغاً ولا یکون مخالفاً للإنسانیه والحق الطبیعی أو خلاف التشریع الدینی،وإنما هو من صلب الإنسانیه والتشریع الدینی والحق الطبیعی لأنه سیحفظ حیاه إنسان.

وهذا ما ینطبق علی الشخص أو الجماعه التی تهدد نظاماً اجتماعیاً من خلال الجریمه،والتعدی علی المجتمع،وتهدید الأمن والاستقرار،وسلب الأموال، والاعتداء علی الحرمات،ففی مثل هذه الأُمور لا بد من إقامه القوانین الصارمه وتطبیقها فی حق هؤلاء العابثین وإلا- فسوف تسود الفوضی والاضطراب،ولهذا نجد تعبیر القرآن الکریم.(وَ لَکُمْ فِی الْقِصاصِ حَیاهٌ یا أُولِی الْأَلْبابِ) (۱)،باعتبار أن ردع الجانی یهیئ الجو لسیاده الأمن وقطع دابر الجرائم،وهذه إجابه بسیطه علی هذا الاعتراض،وأن هناک العدید من الاعتراضات علی الحدود والتعزیرات الإسلامیه، وسوف نجیب عنها فی بحوث مستقله إن شاء الله.

مفهوم الإرهاب

حتی یتضح مفهوم الارهاب جیداً لا بد من التطرق إلی عده موضوعات منها مفهوم الإرهاب الدولی،وموقف الإسلام منه،ومتی یستخدم،ومتی لا یستخدم،وکذلک التطرق إلی مفهوم الإرهاب فی مقابل السلم،ومتی یسوغ وقوعه،ومتی لا یسوغ، ثم نحاول ربط الموضوع بموقف الإمام الحسین علیه السلام باعتباره قرآناً متجسداً ناطقاً، لا سیما أن واقعه عاشوراء اجتمعت فیها ظروف عدیده شملت الکثیر من المواقف

۱- (۱) سوره البقره.الآیه ۱۷۹.

والموضوعات والمحاور،وكأنها نقطه لاستقطاب معرفه المواقف من خلال منطلقات الإمام الحسين الذى انطلق منها.

تعريف الأُمم المتحده للإرهاب

اختلف فى تعريف الارهاب،لا سيما فى المحافل الدوليه،حيث أخذت كل فئه تعريفاً معيناً تبعاً للمصالح المترتبه عليه،فذهبت الأُمم المتحده-مثلاً-إلى أن تعريف الإرهاب هو.«استخدام الرعب كعمل رمزى للتأثير على السلوك السياسى بوسائل غير معتاده مهدده عنيفه»،فقولهم عمل رمزى يشير إلى الفرق بين الإرهاب والحرب،فالإرهاب ليس حرباً؛لأن الحرب تعتمد على التوسع الجغرافى والغنائم الماديه،أما الإرهاب فليس من أهدافه تحقيق التوسع الجغرافى،وقد يكون للإرهاب دور يفوق دور الحروب أحياناً فى تحقيق بعض الأهداف.

النصر بالرعب

هنالك بعض الروايات التى تشير إلى أن النبى صلى الله عليه و آله قد نصر بالرعب،حيث يكون الرعب أنجح وأنجع من الحرب الميدانيه،وأن هذه القوى الكبرى تستخدم الإرهاب أكثر من الحروب الميدانيه لتحقيق أهدافها؛لأن هناك قواسم مشتركه بين الحرب وبين الإرهاب،وإذا رجعنا إلى تعريف الأُمم المتحده للارهاب وإن كان التعريف صحيحاً فى بعض أجزائه،إلاأن هناك الكثير من المؤاخذات عليه؛لأن هذا التعريف يغفل نقاطاً مهمةً،فهو يسوغ لمن وضعوا هذا التعريف أن يتهموا جهاتاً معينه بالإرهاب كالشعوب التى تنشد الحريه وغيرها؛فهؤلاء المقننين يخدمون الاستكبار العالمى لكى تتهيئ له الأجواء القانونيه فى استكباره،ولكى تلقى خططه العدوانيه تأييداً تحت مسميات مزوره.وهناك تعاريف اخرى سنتطرق إليها تباعاً إن شاء الله.

المحاضره الثامنه:مناقشه تعريفات الإرهاب وتطبيقاتها

اشاره

ص:۳۰۱

الهدف من العمليات الارهابيه

مر علينا تعريف الارهاب بأنه.«استخدام الرعب كعمل رمزى للتأثير على العمل السياسى بوسائل مهدده عنيفه غير معتاده»،فإن العنف قد يحصل من خلال استخدام الآلات العسكريه سواء فى الحرب أو فى العمليات الإرهابيه،والغرض من ذلك عاده هو الحصول على المكاسب السياسيه،وبما أن المكاسب فى الحرب غالباً ما تختلف عما هى عليه فى العمل الارهابى،ولهذا نجد أن العمليات الارهابيه لا ترتبط-غالباً - بالحصول على مكاسب ماديه أو توسيع الرقعه الجغرافيه،ولا يكون استخدام هذه الآلات بشكل متواصل ودائم،بينما تكون للحرب-غالباً-أهداف ماديه،وتستهدف التوسع الجغرافى،وتستخدم الآلات الحربيه بشكل دائم.

ارتباط الارهاب بالأهداف السياسيه

تمثل العمليات الإرهابيه عاملاً مادياً آلياً يستهدف الضغط النفسى على الطرف الآخر الذى قد تمثله دوله أو شعباً أو طائفه أو حزباً منافساً أو فرداً معيناً،وفى الغالب تكون العمليات الإرهابيه مرتبطه بالأغراض السياسيه،وإن كان هناك بعض العمليات الإرهابيه مرتبطه بالحصول على المكاسب الماليه،والهدف منها مادى كما هو حال

المافيا الدوليه التى تمارس الإرهاب فى العالم من أجل هذا الغرض،إلاأن فى الغالب تكون ارتباطات الارهاب فى الغرض السياسى.

الإرهاب هو العنف المتطرف

التعريف الثانى للإرهاب.«هو العنف المتطرف لأهداف سياسيه،الذى تنتهك به المعتقدات الإنسانيه والأخلاقيه»،فقد عبر بالمتطرف لبيان أن استخدام القوه شيءٌ حسن إذا خضع لضوابط،فورود كلمه (المتطرف) إشاره إلى أن استخدام القوه فى العمليات الإرهابيه أمر غير صحيح وغير خاضع للضوابط.

ضوابط المبارزه العسكريه

إذا رجعنا إلى سيره العرب فى العصور الماضيه-وخصوصاً فى الحروب،وكذلك الأُمم المعاصره لها-نجد أن هناك قوانين وضوابط لتلك الحروب،ولا يمكن التعدى عليها،فمثلاً كان الجيشان يلتقيان،ويبرز من كل جيش أفراد للمبارزه العسكريه، وكانت هناك اصول قانونيه تحكم القتال بين هذين الفارسَين المبارزَين،أو يخرج من أحد الجيشين مجموعه تبارز المجموعه التى خرجت من الجيش الآخر،وفى هذه الحاله يصح أن يُعين كل محارب من هو فى جيشه من دون أن يتدخل غيرهم فى ذلك،ولهذا فقد أعان الإمام علىٌ عليه السلام عمه الحمزه فى غزوه بدر،فبعدما قتل الإمام على عليه السلام ابن عتبه أعان عمه الحمزه على قتل عتبه،كما شارك فى قتل شيبه أيضاً، وهذه داخله فى قوانين الحرب؛لأنه مَن كان من المبارزين فهو يستطيع إعانه غيره على مَن يقابله،ولا يصح أن يأتى من جيش المسلمين أو جيش المشركين غير هؤلاء السته قبل انتهاء المبارزه العسكريه.

لا بد من وجود ضوابط للقوه

لا يختلف الأمر فى استخدام القوه عنه فى الحرب،فإن للقوه ضوابط وقوانين يلتزم

بها كل مَن يريد استخدامها،وهذا ما حصل فى مواجهه غطرسه عبيدالله بن زياد، حيث نهاه بعض جلسائه عن استخدام لغه القوه والتهديد مع السبايا لأنهن نسوه، وهذا يدل على وجود ضوابط لاستخدام القوه منذ الصدر الأول للإسلام،بل حتى فى زمن الجاهليه كانت هنالك أعراف قانونيه يتقيد بها،وإن كان القرآن قد ذم الجاهليه الأُولى فى قوله تعالى.(وَ لا تَبَرَجْنَ تَبَرُجَ الْجاهِلِيَهِ الْأُولى) ،إلاإنه قد تنبأ بوجود جاهليه ثانيه،ويبدو أن الجاهليه الأُولى كانت لها ضوابط أكثر من الجاهليه الثانيه التى تمارس الفحشاء بلا حدود،وتقنن قوانينها بالخداع واللعب بالمصطلحات وتفسيرها تفسيراً مخادعاً.

جماعات المدنيين فى الحروب

النتيجه التى يمكن استخلاصها مما تقدم هى أنه لو احتجنا إلى استخدام القوه فليس هنالك ما يمنع من استخدامها،إلاأنه لا بد من أن تخضع لضوابط وحدود وأُطر تنظم استخدامها،فمثلاً.يجب أن لا يُقتل المدنيون فى الحروب التى تكون بين الدول،أو بين دوله وفئه معارضه لها،سواء كانت فى داخل تلك الدوله أو خارجها، ولهذا فيجب أن لا يُقتل المدنيون الأبرياء فى هذه الحروب،كما قرر ذلك فى القوانين الدوليه،بل إن الأُمم المتحده قد أصدرت قراراً لحمايه المدنيين فى الحروب،ولا يُقتل فى هذه الحرب إلاالعسكريون،ومن أمثله هذه الضوابط إذا أرادت دوله ما أن تلقى القبض على إرهابيين،فالقانون يرفض أن يكون المدنيون من النسوه والأطفال والشيوخ وغيرهم ضحيه فى هذه العمليه،هذا ما يقوله القانون،وإن كان حبراً على ورق،أما الواقع فأمره مختلف.

استخدام الأسلحه الكيمياويه والجرثوميه

فبعد أن اجيز استخدام القوه،وخصوصاً فى الحروب،فلا بد أن تكون هنالك أسلحه تستخدم فى هذه المعارك،ولكن مع هذا فهناك أسلحه قد مُنع من استخدامها

فى تلك الحروب،وهى المعروفه بالأسلحه الفتاكه المدمره للبيئات الكبيره الخارجه عن نطاق العسكريين كما فى استخدام الأسلحه الكيمياويه،أو الجرثوميه،أو استخدام اليورانيوم المخصب،أو استخدام الأسلحه التى تكون لها انعكاسات سلبيه على البيئه والحاله الصحيه للمجتمع،فإن جميع هذه الأمور تندرج تحت عنوان الإرهاب وليس تحت عنوان الحرب؛لأن الحرب لها أخلاقياتها وأُصولها وقوانينها، وهى تستهدف إلى ردع القوه الغضبيه عند الطرف الآخر،أما استخدام مثل هذه الأسلحه فإنه سوف يؤدى إلى انتشار الدمار فى المناطق التى تكون تحت مدى هذه الأسلحه،ويكون تأثيرها على جميع الموجودات،سواء كان من البشر وغيرهم.

الآثار السلبيه للانتقام

من الخطأ مواجهه العدوان بعدوان أكبر والإرهاب بإرهاب أكثر،ولهذا نجد أن الانتقام يحمل فى طياته الكثير من السلبيات؛لأنه يؤدى إلى هذه النتيجه،ومن هنا كان العفو أقرب للتقوى فى الموارد التى يمكن فيها العفو؛لأن القوه الغضبيه كثيراً ما تكون فى حاله الانفلات وعدم السيطره عند الانتقام.

أقسام الإرهاب

التعريف الثالث للإرهاب.«الإرهاب هو الإرهاب الحربى الثورى والقمعى والمالى»،وكأنهم بصدد بيان أقسام الإرهاب.

معنى الإرهاب الحربى

الإرهاب الحربى يعنى استخدام ورقه الإرهاب ضمن تلك الحرب،كإسقاط الطائرات المدنيه التابعه للدوله التى تحاربها بهدف الضعط النفسى وإضعاف القرار الإدارى فيها،إذن فالحرب قد تتضمن الإرهاب،مع الالتفات إلى الفارق بين الحرب والإرهاب.

معنى الإرهاب القمعى

أما الإرهاب القمعى.هو الإرهاب الـذى تمارسه الـدول والأنظمه الحاكمه ضـد رعاياها أو ضد المعارضـين لها من أحزاب وأفراد لغرض الحـد من معارضـتهم لتصـرفات السـلطه الحاكمه فى البلـد،والإرهاب فى هذا القسم يعنى تجاوز القوانين الدوليه والعرفيه التى تنظم علاـقه الحـاكم بـالمحكوم،كأن تعتقل مجموعه من الأبرياء،وتعـذبهم من أجل إخافه المعارضـين الحقيقيين الـذين لم ينكشـفوا بعـد، وهى بهـذا تختصـر الطريق بتخويف المعارضـين،ولكن الـذى يـدفع ثمن هـذا الاختصار هم الأبرياء من المدنيين الذين لا حول لهم ولا قوه،ولذا نجد أن هذا أمر مدان من قِبل التشريع الإسلامى والتقنين الدولى.

معنى الإرهاب الثورى

أمـا الإرهـاب الثورى،وهو إرهـاب مجموعه لـديها مطـالب معينه تقوم بعمليـات إرهـابيه من أجـل تحقيق تلك المطالب كما فى المجموعات اليساريه-مثلاً-التى تمارس هذه العمليات تحت شـعار.(أن الغايه تبرر الوسـيله)،فيتعرضون للأبرياء أو المؤسسات أو المصالح العامه أو الخاصه.

معنى الإرهاب المالى

أمـا الإرهـاب المـالى فمن أمثلته عصابـات المافيـا التى تتمتع بقـدرات هـائله تهـدد الـدول والحكومـات من أجـل الحصول على مكـاسب ماليه،ومن أمثله الإرهاب المالى أيضاً ضـغط أمريكا على باكسـتان من أجل إخضاعها للموافقه على التواجـد الأمريكى فى المنطقه،كما صـرح بذلك الرئيس الباكسـتانى الذى قال.«إن بلاده هُددت بضرب مفاعلها النووى فى حال معارضتها للوجود الأمريكى فى المنطقه»،وقال.«إن احتفاظنا بالقنبله النوويه مصدر عز لباكستان والدول الإسلاميه»،فصارت القنبله

النوويه محفوظه بدل أن تكون حافظه،وصارت موجبه للذل بدل أن تكون موجبه للعز،وهذا هو الإرهاب المالى الذى مارسته أمريكا بتهديدها لباكستان باعتبار أن المصدر الذى يقوِم الجانب الاقتصادى أو الجانب العسكرى وما شابهه يكون تحت طائله التهديد بالنسف والتدمير،وإذا كان كذلك فحفاظاً على هذا المصدر وحمايته فإن هذه الدوله تخضع للجانب القوى.

أخلاقيات ثوره الإمام الحسين عليه السلام

الإمام الحسين عليه السلام بالرغم من أنه قام بهذه الثوره المقدسه العظيمه،إلاأنها ثوره لم تنفك عن أخلاقه وقيمه ومبادئه العظيمه،التى كانت تمثل أخلاق الدين،بل كانت ملتزمه بحذافير التشريع الإسلامى ودقائقه والمثل العليا للدين،وهذا ما يتجلى من خلال سلوكه وسلوك أصحابه وأهل بيته وسفرائه،كمسلم بن عقيل الذى رفض أن يغدر بعبيدالله بن زياد،مع أن هذا الأمر كان أمراً مهماً وربما يغير مجرى التاريخ مع ذلك رفضه مسلم بن عقيل؛لأنه يتنافى مع مبادئه،وقد أثنى الإمام الحسين على مسلم بن عقيل،فمع حرصهم على الهدف الذى يجاهدون من أجله،وهو وصول المعصوم إلى الحكم الذى هو سعاده البشر ومع سمو هدفهم،إلاأنهم ما تجاوزوا فى تحقيق هدفهم حدود التشريع أبداً،هذا مع رعونه الطرف الآخر الذى كان يمثل السلطه الحاكمه،وعدم تقيده بالدين،ومخالفته لقيم العرب والأعراف الإنسانيه، ومع ذلك كله فإن الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه لم يكن اسلوبهم أن يُدفع الفساد بالفساد وإنما يدفع الفساد بالصلاح.

الحكم وسيله لإقامه العدل

قال الإمام على عليه السلام:

«ما قيمه هذه النعل ؟».

فقال.لا قيمه لها.

قال علیه السلام:

«و الله لهی أحب إلی من إمرتکم ،إلا أن أقیم حقا،أو أدفع باطلا» (۱).

وقال علیه السلام:

«و لألفیتم دنیاکم هذه أزهد عندی من عفطه عنز» (۲).

الحکم فی منطق القرآن وأهل البیت علیهم السلام لیس إلاوسیله من وسائل الوصول إلی الحق،أما إذا کان الحکم بنفسه غایه أو هدفاً نهائیاً فلا قیمه له فی میزان القرآن وأهل البیت علیهم السلام.

قاعده.(دفع الأفسد بالفاسد) عند أهل البیت علیهم السلام

لو رجعنا إلی مذهب أهل البیت علیهم السلام وتوجههم الذی یمثل توجه القرآن فی قوله ومنهجه-لأنهم عِدله والثقل الثانی الذی لا یضل مَن یتمسک به-نجد أن القاعده التی تقول.(ینبغی دفع الأفسد بالفاسد) قد الغیت من منهجهم،وإن کانت بعض المذاهب الإسلامیه قد تبنت هذه القاعده وعملت بها،إلاإن مذهب أهل البیت لا یوافق علیها؛ لأن الأفسد قد فعله غیرک وهو مسؤول عنه،وهذا لا یسقط عنک الحساب علی فعل الفاسد،ولا یبرر لک أن تفعل الفاسد وإن کان من أجل دفع الأفسد.

نفی التقیه فی الدماء

المعروف عند مذهب أهل البیت علیهم السلام أن التقیه شرعت من أجل حقن الدماء،أما إذا وصلت التقیه إلی الدم فلا تقیه،فلو قیل لک.اقتل زیداً وإلا فإن الطاغی سیقتل عشره، فهذا لا تجوزه التقیه؛لأن الطاغی لو قتل العشره فهو محاسب أمام الله علی فعلته تلک، أما أنت فستکون محاسب أمام الله إذا قتلت زیداً حتی لو کان ذلک بحجه التقیه وحفظ

۱- (۱) راجع بحار الأنوار.۱،۷۶/۳۲-باب بیعه أمیر المؤمنین علیه السلام،الحدیث ۵۰.

۲- (۲) راجع نهج البلاغه.۵۰،الخطبه ۳ المعروفه ب (الشقشقیه)-بحار الأنوار.۱۵،۵۴۵/۲۹-شکایه أمیر المؤمنین (صلوات الله علیه) عمن تقدمه.

دماء العشره،وكذلك فى حفظ دمك كما لو قيل لك.اقتل زيداً وإلا قتلتك،فهنا - أيضاً-لا تصح التقيه بعنوان حفظ النفس؛لأنها مرتبطه بقتل نفس اخرى.

نعم هناك بعض الموارد التى استثنيت من هذا الأمر لوجود النصوص الخاصه ومثالها لو ترس المشركون ببعض المسلمين،وكانت الضروره تقتضى الهجوم على المشركين،فحينئذ يجوز الهجوم عليهم وحربهم حتى لو اقتضى الأمر أن يكون اولئك المسلمون الذين تترس بهم المشركون من بين الضحايا.

حصار الإمام الحسين عليه السلام عسكرياً

لا يستبعد أن الإمام الحسين عليه السلام قد اجتمع عليه سبعون ألف مقاتل من الجيش الموالى للسلطه الحاكمه؛لأن الغرض من هذا العدد ليس مقاتله الحسين قتالاً ميدانياً فقط،بل حصار الإمام الحسين عليه السلام حصاراً عسكرياً يمنع من مده بالرجال والسلاح،بحيث لا يستطيع الالتقاء بالقبائل المجاوره ويكسبها إلى جانبه،ولكى يعرقل هذا العدد الهائل قدوم القبائل التى كانت توالى الإمام الحسين عليه السلام،وكذلك بخروج جميع أهل الكوفه يضمن الحكم الأموى عدم قيام ثوره أو انتفاضه من قِبل شيعه الكوفه الموالين للإمام الحسين عليه السلام،فلو لم يكن هذا العدد الضخم موجوداً لأتت القبائل المواليه للحسين لنصرته وقتال جيش بنى اميه.

أسباب صلح الإمام الحسن عليه السلام

مما يتصل ببحث الإرهاب فى نظر البعض مسأله صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاويه،حيث أن الكثير ممن كانوا فى ركب الإمام الحسن عليه السلام،ومنهم بعض أصحابه المخلصين،حللوا ظاهره الصلح التى أقدم عليه الإمام عليه السلام لوقوعه تحت ضغط الإرهاب والتهديدات الأمويه،وهذا ما تشهد به مكاتبات معاويه التى كانت تستخدم لغه الإرهاب والتخويف بشكل مكثف؛ولجهل البعض بمقام الإمام عليه السلام؛ولضعف

الإيمـان الـذى وصـل إليه الناس،والتجرئ على مقام الإمامه فقـد سأل البعض الإمام الحسن عليه السـلام.«ما ينقضـى تعجبنا منك !بـايعت معاويه ومعك أربعون ألف مقاتل من الكوفه سوى من أهل البصـره والحجاز»(۱)ظناً منهم أن الإمام الحسن عليه السـلام وقع تحت ضـغط الإرهاب الأموى،وهـذا التحليل خاطئ؛لأن الأرقام التاريخيه تدلل على أن قبائل العراق التى كان أغلبها مهاجره من الجزيره العربيه ومنها ربيعه ومضـر وكنده قد وقعت تحت الإغراء الذى يقدمه معاويه لكى تقف إلى جانبه وتتخلى عن الإمام الحسن عليه السـلام،ويضـاف إلى ذلـك وجود الخيانات التى حصـلت عنـد قاده جيش الإمام الحسن عليه السـلام كعبيـد الله بن العباس وغيره.

الفرق بين جيشى الإمام على والإمام الحسن عليهما السلام

قـد يسـأل سائـل فى المقـام.أليس الجيش الـذى قاده الإمام الحسن عليه السـلام هو نفس الجيش الـذى جهزه أمير المؤمنين عليه السلام للقضاء على معاويه وأتباعه،فلماذا صار هذا الانحلال والتخاذل ؟ !

وللجواب على هـذا نـذكر أن هنـاك فرق بين جيش الإمـام الحسن وجيش الإمـام على عليهمـا السـلام فى نهايه أيامه؛لأن جيش الإمـام على كـان معـداً لضـرب معـاويه ضـربه نهائيه بعـد شـهر رمضان حيث كان جيشه هائلاً وقوياً لولا أن الله اختار الإمام على واستشـهد، أما جيش الإمام الحسن عليه السـلام،فبالإضافه إلى الوضع النفسـى الذى حصل للناس بعد استشهاد الإمام عليه السلام وتخوفهم،نجـد أن جيش الإمـام عليه السـلام هو جيش منخور تكثر فيه الخيـانه والميـل لإـغراءات معـاويه،بالإضافه إلى اختلاف موقع الإمام على عليه السلام

۱- (۱) راجع بحـار الأـنوار.۴۴/۵۷،۱۹-بـاب كيفيـه مصـالحه الحسـن بـن على (صـلوات الله عليـه)معـاويه لعنـه الله،الحـديث ۶.المناقب/ابن شهرآشوب.۴/۴۰،باب إمامه أبى محمد الحسن بن على عليه السلام،فصل.فى صلحه عليه السلام مع معاويه.

عن موقع الإمام الحسن عليه السلام فى عيون الناس.

مكونات الدوله

ذكر المتخصصون فى الدراسات والبحوث الأكاديميه أن أى دوله فى العالم تتكون من مجموعه من النظم والدويلات الصغيره التى تكون داخل هذه الدوله،فمثلاً:

الولايات المتحده الأمريكيه تتكون من العديد من الولايات،والتى تجمعها دوله واحده اسمها الولايات المتحده الأمريكيه،وهذا ما يسمى بالنظام الفيدرالى، ولو رجعنا إلى كل دوله من هذه الدويلات الصغيره نجدها تتكون من مجموعه من الأنظمه التى تكوِن الدوله؛لأن الدوله تشتمل على الأنظمه الأُسريه أو القبليه أو الحزبيه أو المذهبيه،وخصوصاً النظام المذهبى الذى له ضرائب خاصه به، وله تجمعات وتكتلات وآراء وأعراف اجتماعيه ومواقف معينه وثقافه خاصه،وكل هذه الأنظمه تساهم بشكل أو بآخر فى مجريات الأحداث فى تلك الدوله.

المرجعيه الشيعيه وموقعها فى نظر الغرب

لو نظرنا إلى أقوال السياسيين الغربيين فإنهم يعتبرون المرجعيه الشيعيه شبه دوله وذلك لأن لها نظامها المالى الخاص،ولها توجيهاتها وجماهيرها ونفوذها فى القرار السياسى والاقتصادى والعسكرى والأُمور الأُخرى،وهذا ينطبق على المرجعيات السنيه إذا كانت لها قواعد جماهيريه أيضاً.

وبعباره اخرى إن النظام السياسى لأى دوله،ما هو إلاتوازن لمجموعه من القوى والأنظمه فى المجتمع.

نفوذ الأئمه وقواعدهم الجماهيريه

ما نريد أن نبينه فى ضوء هذا الكلام أن الأئمه عليهم السلام وإن لم يتسلموا زمام الحكم وقياده الناس فى الظاهر،إلاأن لهم نفوذ واسع فى القواعد الجماهيريه خلال الفترات

التى عاشوها،وخصوصاً ما كان من نفوذ واسع للإمام على عليه السلام خلال الخمس والعشرين سنه التى أعقبت وفاه النبى صلى الله عليه و آله،وقبل أن يستلم الخلافه حيث كان له شيعه وأنصار وأتباع ونفوذ،وكل هؤلاء الأتباع والشيعه كانوا تحت نظام الإمام على عليه السلام، سواء كان العقائدى والمالى والفكرى والثقافى الخاص به.

وما يؤيد كلامنا ما قاله بعض الجواسيس لهارون الرشيد.«يا أمير المؤمنين، خليفتان فى الأرض.موسى بن جعفر بالمدينه يجبى له الخراج،وأنت بالعراق يجبى لك الخراج ؟ فقال.والله،فقال.والله ! قال.فأمر له بمائه ألف درهم...»(١).

وكلام هذا الجاسوس صحيح من حيث المبدأ،وهو كما يذهب إليه السياسيون فى زماننا باعتبار أن الدوله مهما كانت فهى عباره عن تلك التكتلات والقوى الجماهيريه التى تتكون منها،ولهذا نجد أن وجود قواعد جماهيريه للإمام موسى الكاظم عليه السلام يشكل شبه دوله لها قوتها وتأثيرها وإن لم تتسلم زمام الحكم،وكان هذا النفوذ يشكل هاجس قلق فى الدولتين.الأمويه والعباسيه تجاه الإمام المعصوم الذى عاصرهما.

من أهداف صلح الإمام الحسن عليه السلام

الإمام الحسن عليه السلام كان يدرك أن له نفوذ فى شيعته،وكان حريصاً على المحافظه عليه،والذى فعله فى صلح معاويه هو أمر شبيه بالكر والفر الذى تفرضه التوازنات السياسيه،بحيث أنه لو حارب معاويه لخسر تلك الحرب وبالتالى سوف يؤدى إلى فقدان هذا النفوذ.

الإمام الحسن عليه السلام فى الأحاديث النبويه

مع ما يميز به الإمام على عليه السلام من مميزات كثيره،فهو بمنزله نفس النبى صلى الله عليه و آله وما لا يحصى من المناقب وأول من أسلم مع النبى صلى الله عليه و آله،بالإضافه إلى قتاله معه،

١- (١) راجع رجال الكشى.٣٣٦،التسلسل ٤٧٨.

ومنزلته وقربه منه صلى الله عليه و آله،إلاأن للإمام الحسن عليه السلام مميزات لم تكن لعلى عليه السلام،فهو سبط النبى،والسبطيه لها مدلولاتها ومؤداها الخاص،بمعنى الامتداد الشرعى لذلك النبى،وهذا حديث عقائدى لا اريد الخوض فيه،وما يؤكده قول رسول الله صلى الله عليه و آله:

«إبناى هذان إمامان قائما أو قعدا» (۱).

وقال صلى الله عليه و آله:

«الحسن و الحسين سيدا شباب أهل الجنه» (۲)،وهذا الحديث رواه الترمذى وأحمد بن حنبل والحاكم الذى قال.«قد صح من أوجه كثيره،وأنا أتعجب أنهما-أى البخارى ومسلم-لم يخرجاه»(۳)،وقال الألبانى فى تصحيحاته الأخيره:

«فالحديث صحيح بلا ريب،بل هو متواتر»(۴)،والألبانى من المعتمدين عند أهل سنه الجماعه والخلافه،وقال صلى الله عليه و آله:

«الحسن و الحسين ابناى و ريحانتاى من الدنيا» (۵)،رواه البخارى فى صحيحه،وروى أيضاً قوله صلى الله عليه و آله:

«اللهم إنى احبهما فأحبهما» (۶)،وذكر أيضاً فى صحيحه قوله صلى الله عليه و آله:

إن ابنى هذا سيد و لعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين» (۷)،وقبل ذلك آيه المباهله التى خص بها أهل البيت عليهم السلام.

۱- (۱) بحار الأنوار.۱۱،۳۰۷/۱۶-باب فضائله وخصائصه عليه السلام،و.۳۲،۲۷۹/۲۱-باب المباهله وما ظهر فيها من الدلائل.

۲- (۲) تقدم فى الصفحه ۲۲۵ من هذا الكتاب.

۳- (۳) المستدرك على الصحيحين/الحاكم النيسابورى.۳۷۶/۳،الحديث ۴۸۳۹،ومن مناقب الحسن والحسين.

۴- (۴) راجع سلسله الأحاديث الصحيحه/محمدناصر الألبانى.۴۳۱/۲،الحديث ۷۹۶.

۵- (۵) صحيح البخارى.۵۴۶/۲،باب مناقب الحسن والحسين (رضى الله عنهما)،ولكن ورد:«هما ريحانتاى فى الدنيا».

۶- (۶) المصدر المتقدم.الحديث ۳۷۴۷.

۷- (۷) المصدر المتقدم.الحديث ۳۷۴۶.

ظروف الإمام على والإمام الحسن عليهما السلام بين التطابق والاختلاف

لو رجعنا إلى سيره الإمام الحسن عليه السلام فى الكوفه،فإننا نجده كان يطعن فى شرعيه معاويه على الملأ،وما كان ليفعل ذلك لولا نفوذه وقواعده الجماهيريه،بل إن معاويه كان يحذر من الدخول فى تصعيد سياسى مع الإمام الحسن،فضلاً عن أن يتمكن من تصفيته بشكل علنى وما أتيح للإمام الحسن عليه السلام من فرصه للطعن فى شرعيه معاويه بنحو علنى متكرر لم تكن موجوده للإمام على عليه السلام مع اولئك،وتلك الفتره كان السائد فيها هو الوضع الحربى المسلح بالرغم من الاعلان مرات عديده عن انحراف معاويه، إلا أن ذلك لم يكن قد وصل إلى جميع الناس،ولم تكن أفعال معاويه قد انكشفت بعدُ للناس بصوره جليه،وبالرغم من أن الإمام على عليه السلام لم يكن يرى شرعيه الخلفاء بعد النبى صلى الله عليه و آله كذلك،إلاأن المصلحه العامه للمسلمين لم تسمح له بإعلان المواجهه لحكم من سبقه من الخلفاء،فلم يكن يعلن المعارضه الساخنه إلافى فترات قصيره ومحدوده حسب ما سمحت به الفرصه،كاحتجاجه عليه السلام مع الزهراء بعد وفاه النبى صلى الله عليه و آله أمام الصحابه فى مسأله أحقيته بالخلافه واغتصاب حقوق أهل البيت عليهم السلام وكرفضه لقبول أى منصب فى دوله الخلفاء وكشجبه لسيره الشيخين يوم الشورى بعد موت الثانى،إذن فصلح الإمام الحسن كان الهدف منه الحفاظ على نفوذه فى قواعده الجماهيريه،ومن خلال الصلح الذى أقدم عليه استطاع أن يحافظ على التوازن بينه وبين معاويه.

ص:٣١٥

المحاضره التاسعه:من يقف وراء مخططات الإرهاب ؟

اشاره

ص:٣١٧

إرهاب الدوله

التعريف الرابع للإرهاب:«إعمال العنف المسلح لأهداف سياسيه أو أيديولوجيه أو دينيه باستخدام قنوات العنف المسلح للتهديد بها»،وبحسب هذا التعريف يكون الراعى له هو الدوله،ولذا يطلق عليه عنف الدوله،أو ما يسمى بإرهاب الدوله،وقد قسم البعض الارهاب إلى.إرهاب فردى وإرهاب جماعه أو تنظيم،وقد حاول البعض الاقتصار على هذين القسمين،إلاأن العديد من المحافل الدوليه قد أصرت على وجود إرهاب الدوله،ويتضمن إرهاب دوله لدوله اخرى أو إرهابها لشعبها،إلا أن المعسكر الغربى قد أصر على حذف هذا النوع من الإرهاب،والسبب واضح فى ذلك لأنهم يمارسون هذا النوع من الإرهاب بشكل خفى،وهم يرفضون أن يدرج إرهاب الدوله فى تعريف الإرهاب لكى لا يدانوا بالإرهاب،ولكن بحسب التعريف السابق وإطلاقه،فإن إرهاب الدوله يكون داخلاً فى تعريف الإرهاب؛ولذا فلم يقيدوا ولم يستثنوا من هذا التعريف إرهاب الدوله.

الإرهاب والإيديولوجيه

التعريف الخامس:«أيديولوجيه وقناعات تبرر العنف الفتاك لردع المعارض

ص:٣١٩

السياسى»،ولو دققنا فى هذا التعريف نجد أن التحيز فيه واضح من قِبل واضعه؛لأنه يصف أن عقيده ما تبرر الارهاب،كأن يعتقد قوم أن دولةً أو قوميه معينه يجب أن تباد،فهذا التعريف يعتبر نفس هذه العقيده قنبله ملغومه أو سلاح فتاك قد ينطلق فى أى وقت لإباده الطرف الآخر،ومن ثم فإن هذه الأيديولوجيه التى تبرر العنف تجاه الطرف الآخر يطلق عليها إرهاب،وقد يكون المقصود من الأيديولوجيه فى هذا التعريف هو الدين.وهو تشويه للدين بما تقوم به فئه من قراءه خاطئه باستباحه الدماء للمدنيين بل وتكفير طوائف المسلمين واستباحه دماؤهم،فضلًا عن غيرهم،مع أن الدين لا يستبيح دماء الكفار ابتداءاً ما لم يدخلوا فى حرب مع المسلمين،فضلًا عن من تشهد بالشهادتين.

وقد وقع نقاش محتدم بين الدول حول تحديد الأُسس القانونيه لبيان مفهوم الإرهاب،وحصل الكثير من المغالطات فى أروقه الأُمم المتحده أو فى الفضائيات أو غيرها من وسائل الإعلام فى تحديد مفهوم واضح للارهاب؛ولهذا نجد أن هذه الوسائل أخذت تعمل على إضفاء أجواء غائمه قاتمه حول مفهوم الإرهاب لكى يتسنى لها إدخال أو إخراج مَن تشاء من هذه الدائره،وبالتالى تكون قد ساعدت على عدم وضع النقاط على الحروف فى ما هو مشوش وغامض فى تحديد مفهوم الإرهاب.

الإرهاب الصهيونى

لو أردنا أن نحكم على أيديولوجيه معينه بأنها إرهاب لكانت الأيديولوجيه اليهوديه الصهيونيه هى أكثر الأيديولوجيات إرهاباً فى العالم،وقد تم بيان هذا المطلب فى المؤتمر الذى عقد مؤخراً فى جنوب أفريقيا حول موضوع العنصريه،وهذا يتجلى بوضوح من خلال البروتوكولات الصهيونيه،أو حتى فى التوراه المحرفه والتى تدعو اليهود إلى إشاعه الرذيله والإضطراب والفوضى والاستعباد فى المجتمع البشرى،

أى ينبغى للناس أن يكونوا عبيداً للعنصر اليهودى باعتبارهم شعب الله المختار، والذى يقرأ البروتوكولات الصهيونيه يستشف منها وجود نفسيه معقده حاقده تقف وراء هذه البروتوكولات،وأنها ليست مبنيه على اسس عقليه ومنطقيه صحيحه، ولهذا فهم يسعون بشتى الطرق والوسائل لنشر التحلل الخلقى وتفشى الجريمه، ولذلك نجدهم يقفون وراء التحلل الأخلاقى فى أمريكا وأوروبا.

وقد سجلت الإحصائيات أن أكثر الدول انتشاراً للسطو المسلح فيها هى فرنسا، وقد حاولت بعض الدراسات التعرف على أسباب ذلك،فكانت النتيجه هى تأثير أفلام الجريمه الأمريكيه فى المجتمع.

الهندوس والبوذيون والثقافه المنحله

لا يختلف اثنان على أن لكل مجتمع أو فئه أو قوميه ثقافه خاصه بها،ويحاول أن يؤصل تلك الثقافه فى مجتمعه،ولا يرضى باختراق الثقافات الأُخرى لهذا المجتمع،بل إنه قد يفعل كل ما فى وسعه لمنع مثل هذا الاختراق،ولا يقتصر ذلك على الثقافه الإسلاميه،بل حتى الهندوس والبوذيين فى الهند واليابان أيضاً ضجوا خوفاً من اختراق هذه الثقافه المنحله إلى مجتمعهم،وهذه الثقافه تقف وراءها أصابع صهيونيه وبصمات إسرائيليه تهدف إلى ترويج الشذوذ الجنسى،والإجرام،وعباده الشيطان،واختراع الأديان الزائفه،وتدمير الأديان الأُخرى بكل الوسائل لغرض فرض الدين اليهودى على تلك المجتمعات بقبول الاستعباد لشعب الله المختار وهم اليهود.

الإرهاب الصهيونى وتشجيع الغرب له

لنعود إلى ما ذكرنا سابقاً من تعريف الارهاب الذى يصف العقيده التى تحمل أفكاراً هدامه-لمبادئ وقيم ومعتقدات الدول الأُخرى-بأنها إرهاب ولا بد من إدراجها فى ضمن قوائم الارهاب ومحاربتها،ولهذا فنحن نقول لمن وضع

هذا التعريف.لماذا لا تحارب العقيده اليهوديه التى تحمل هذه الأفكار الهدامه،بل إن الدول الغربيه ساندت وشجعت هذه العقيده ووقفت لمسانده الكيان الصهيونى بكل وقاحه وصلافه وقله حياء،وهذا التعريف لا يحتمل الاستثناء حتى تستثنى تلك العقيده،بل أكثر من ذلك،فهم يتنكرون للمبادئ التى يعتقدون بها والشعارات التى يرفعونها مما أدى بهم فى آخر المطاف إلى الانسحاب من المؤتمر الذى يدين العنصريه والذى اعتبر الكيان الصهيونى كياناً عنصرياً ؟

إذن الأقوياء فى العالم يتلاعبون فى القوانين من أجل أن يستبدوا بالضعفاء، لا سيما إذا كان هؤلاء الضعفاء لا يمتلكون وعياً سياسياً وثقافه قانونيه.

اتهام الإسلام بالإرهاب

إذا أردنا تحديد الارهاب وبيان مصاديقه فلا بد أن نكون صادقين مع أنفسنا أولاً،ثم مع الناس ثانياً،ولا يمكن أن تمتد أصابع الاتهام للإسلام بأنه يؤيد الإرهاب ولا تمتد هذه الأصابع للرأسماليه ودول الاستكبار بأنها مدمره لسلام وأمن العالم،سواء كان على المستوى الاقتصادى أو المالى أو الخلقى،والمحاوله الجاده فى تغيير هويات الدول والقوميات المختلفه،ولهذا فهم يكيلون بمكيالين بحيث يطبقون مصداق التعريف على الإسلام وينكرون انطباقه على الصهيونيه والأنظمه الغربيه.

إداره الارهاب العالمى بين الظهور والخفاء

التعريف السادس:«العمل الإجرامى المصحوب بالرعب والفزع لغايه ما»،وهذا تعريف عام يشمل إرهاب الدوله وغيره،ومن أمثلتها الواضحه التى يطلق عليها الآن المافيا الأمنيه،وهم مجموعه من المرتزقه الدوليين أو أشرار العالم،الذين لا يحملون هويه ولا مبدأ يحاولون زرع الفتن فى العالم وإثاره الحروب بين الدول؛ ولهذا فنحن نتساءل.من الذى يؤسس هذه المافيا ؟ وما هو الغرض من تأسيسها،

وهـل هى ظاهره للناس أم غائبه مخفيه ؟ فإذا كانت غائبه عن الجهاز الأمنى فكيف تـدعى أجهزه الأمن الغربيه أنها مسيطره على الوضع الأمنى العالمى،وإذا كانت مطلعه عليها ومتمكنه من اختراق هذه المجموعات فلماذا لا تخترقها وتحاول القضاء عليها ؟

ولاـ تختص هـذه المافيـا بشأن معين،بل لها شـبكات متعـدده تتـدخل بمختلف الشؤون فى الـدول الأُخرى،فهناك مافيا اغتيالات ومافيـا إجرام لزعزعه الأـمن فى الـدول الأـخرى،بل إن هنالك مافيا إعلاميه هـدفها إرباك الوضع الأمنى عبر إذاعه أو فضائيه أو برنامج معين يضرب على أوتار حساسه.

دور الإعلام فى تمرير المخططات

لاـ شك فى أن للإعلام دور كبير فى تمرير المخططات،فقـد تسـلط الأضواء على قضـيه معينه بهـدف الحصول على مكاسب فى قضـيه اخرى،فمثلاً هناك ارتباط بين ضـرب البنيه التحتيه فى العراق عبر مسـرحيه طاغيه العراق والاعتراف بإسرائيل،ولذلك فهم يسـلطون الأـضواء على جـانب معين من أجـل أن يمرروا مخططاتهم الشـيطانيه فى جانب آخر،والضـجه الإعلاميه هنا قـد تخـدم أغراضاً معينه هناك،وقد كشف القرآن ذلك كما فى قوله تعالى.(وَ إِذا جاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذاعُوا بِهِ وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَسُولِ وَ إِلى أُولِى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ) (۱).

فإذاعه الأمر هـذا يكون على حساب امور اخرى،ولقـد كان الإعلام فى السابق مرتبط بنقل الأخبار التى تؤثر فى وضع الناس،وأما الإعلام الآن فهو مرتبط بالتاريـخ، وبعلم النفس،والسـياسه،والأمن،والجانب المالى،والجانب الاجتماعى،ويعمل على إجراء غسـيل لأدمغه الشعوب وغيرها،ولهذا فإن الإعلام قد يقوم بعمليه تلقين

۱- (۱) سوره النساء.الآيه ۸۳.

لشعب ما أنه شعب متخلف وليس عنده حضاره،وعندما يقتنع بأنه شعب متخلف سوف يبحث عن التحضر والتقدم،ولكن أين يجد هذا التحضر ؟ يجده عند الجهه التى كانت تستخدم الإعلام لإقناعه بأنه شعب متخلف وتكون النتيجه تبعيه هذا الشعب لتلك الجهه،فيعيش حاله التقهقر والانكسار والتراجع وعدم الثقه فى النفس.

الأخبار الكاذبه وتأثيرها على النظام الاجتماعى

قد يكون للخبر الواحد دور كبير فى تقلبات الأسواق العالميه،فعندما يكون خبراً واحداً يقلب الأسعار فى سوق النفط والأسهم وغيرها،ولا يستند هذا الخبر إلى حقائق بل إلى إشاعات وأوهام،فإن ذلك سيؤدى إلى عدم الاستقرار على جميع الأصعده،وهذا ما تسعى له الدوائر الاستكباريه فى العالم،والقرآن الكريم يحذر من العمل على نشر الفتن بين الناس،ويشدد عقوبته فيقول.(وَ الْفِتْنَهُ أَشَدُ مِنَ الْقَتْلِ) (1)،فتكون الفتنه الإعلاميه أشد وقعاً من السلاح الحربى؛وذلك لأن الإنسان موجود ذو شعور وإدراك،ويتأثر بالفكر،وعن طريق الفكر تستطيع أن تغير جميع الاتجاهات،بل وتثير الحروب بين الناس أو توقفها،وأن تقلب الموازين هنا أو هناك.

ومن خلال هذا كله استطاع الغرب أن يؤثر فى المجتمعات الإسلاميه،وبالرغم من أن العالم الغربى يحتكر التطور،ولا يكشف أسراره،ولكنه يصدِر الرذيله والتلوث البيئى والأخلاقى والنفسى إلى مجتمعاتنا،ومع الأسف فإن بعض المتأثرين بالفكر الغربى يعيب على الفقه الإسلامى أنه يحلل ويحرم ويتكلم عن الطهاره والنجاسه وغيرها،والآن تبين أن التشريع الإسلامى كان له دور كبير فى حفظ المسلمين من الأمراض،وأن لأحكامه دور فى المحافظه على البيئه وصحه المجتمع.

التعريف السابع «العنف الشديد ضد الأبرياء والمسالمين»،وهذا تعريف

١- (١) سوره البقره.الآيه ١٩١.

صحيح،وقد تكلمنا عنه آنفاً.

التعريف الثامن:«الاستعمال غير المشروع للقوه والعنف والعدوان على الأرواح والأموال العامه والخاصه،وأنه ممهد لنزاع عنيف يقصد الفاعل بمقتضاه وبواسطته الرغبه الناجمه إلى تغليب رأيه السياسى وسيطرته على الطرف الآخر من مجتمع أو دوله».

وإن كان هذا التعريف لا بأس به،إلاأنه لم يبين مناط الشرعيه وعدمها،ومن هى الجهه التى تحدد هذه الشرعيه،وعلى أى اسس تحدد هذه الممارسه أو تلك أنها شرعيه أو ليست بشرعيه،وهل هى سلميه ومنطقيه،أو أنها إرهابيه وعدوانيه.

وقد يكون فى الإرهاب الإعلامى أن تحاول الجهه القائمه عليه بممارسه ضغوطاً معينه من أجل استماله أطراف معينه،وقد يحدث هذا فى الطائفه الواحده من أجل تغيير بعض الموازين.

المؤاخذات على التعاريف المتقدمه

لو رجعنا إلى التعاريف المتقدمه نجد أن هناك مؤاخذتان على هذه التعاريف التى ذكرناها.

المؤاخذه الأُولى.إغفال عنصر الخفاء

إن هذه التعاريف قد أغفلت عنصر الخفاء الذى تتقوم به العمليات الإرهابيه حيث إن العناصر التى تقوم بها تكون مخفيه وغير معروفه ومن وراءها أصابع مشبوهه، حتى لا يتعرضون للانتقاد والعقوبات الدوليه،وهى ليست كالحرب التى يعرف الطرفان المتنازعان فيها،ولهذا نجد أن إغفال عنصر الخفاء من هذه التعاريف جاء متعمداً حتى لا تسلط الأضواء على القوى الكبرى التى تقف وراء العمليات الإرهابيه فى هذا البلد أو ذاك،فمثلاً.الفتنه الطائفيه فى باكستان من الواضح أن هناك أصابع

استكباريه تعمل من خلف الأستار على إضفاء هذه الفتنه الطائفيه وتوسيعها التى لا طائل منها سوى تشويه الدين الإسلامى وإظهاره بصوره وحشيه،بل أكثر من ذلك،فهم يعملون على زرع وتأسيس الفكر المتطرف،كتأسيس حكومه طالبان وإمدادها بالسلاح والمال لغرض تشويه الإسلام والتشويش على الصحوه الإسلاميه والإيمانيه المناديه بتطبيق الإسلام الصحيح المشرق،وقد انقلب السحر على الساحر،وتضررت أمريكا وحلفاؤها فى نهايه الأمر من تأسيس هذه الحركه.

ومن الأمثله أيضاً على هذا الموضوع هو إثاره النعرات القوميه للبربر فى المغرب العربى،فنلاحظ أن إذاعه ال بى.بى.سى.تفتح ملفات قديمه عن البربر،وعن تعليم لغتهم،وهم بهذا يضربون على أوتار حساسه،ليجنوا الثمار بعد سنين عديده،وهذا ما يحدث أيضاً بالنسبه لنزاع الأقباط فى مصر مع المسلمين،وأن مصر لا تمت للإسلام وأنها قبطيه وفى كل بلد يشعلون فتنه مدمره لكى يضغطوا على جهات معينه مستفيدين من تلك الفتنه التى حصلت هنا أو هناك ليحصلوا على مكاسب تخدم مصالحهم فى هذه البلدان،وهذا هو إرهاب الدوله بعينه.

إذن فإغفال عنصر الخفاء يمثل ممالئه من قِبل القانونيين إلى الدول التى تمارس الإرهاب.

المؤاخذه الثانيه.الميزان فى تحديد الإرهاب؟

إن استخدام القوه تاره يكون من أجل حمايه الناس وتوفير الأمن لهم،واُخرى من أجل إرهابهم والوصول بهم إلى حاله الخوف،ولا شك فى أن الحاله الاُولى ممدوحه بخلاف الثانيه،ولذلك فأنه لا بد من استخدام القوه فى بعض الموارد التى تؤدى إلى حصول الأمن والاستقرار،وأن وجود القوه الغضبيه لها حكمه إلهيه،وهى ردع العدوان الذى يحصل من الطرف الآخر،ولهذا نرى أن القرآن الكريم يثنى على استخدام القوه الذى يكون هدفه صد الاعتداء وإن سماها ارهاباً،كما فى قوله:

(وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّهٍ وَ مِنْ رِباطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَ اللهِ وَ عَدُوَّكُمْ وَ آخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ) (۱)،وكذلك امتدح القرآن الكريم الرهبان فى قوله تعالى.(لَتَجِدَنَ أَشَدَ الناسِ عَداوَهً لِلَذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَ الَذِينَ أَشْرَكُوا وَ لَتَجِدَنَ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَهً لِلَذِينَ آمَنُوا الَذِينَ قالُوا إِنا نَصارى ذلِكَ بِأَنَ مِنْهُمْ قِسِيسِينَ وَ رُهْباناً وَ أَنَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ) (۲)،والراهب إنما سمى راهباً لأنه يعيش الرهبه والخوف والخشيه من الله تعالى،كما هو أحد وجوه التسميه،ولهذا فليس كل ما يسمى بلفظه الارهاب أو إحدى مشتقاتها يكون مذموماً،بل إن الارهاب الذى يصفه القرآن فى هذه آيات هو إرهاب ممدوح،ولهذا فمن المسلم به أن هدف القانون الجنائى والجزائى،أو تشريع فقه الحدود والقصاص،هو ردع المعتدى ومن ثم السيطره على شروره،وقطع الطريق أمام أهدافه المدمره،فهذا كله وإن سمى إرهاباً إلا أنه محمود ويقبله العقل والشرع.

وأما الإرهاب المذموم فهو إرهاب العدوان والاستغلال والاستئصال وتجاوز الحدود،وليس منه ما تفعله الآن المقاومه الإسلاميه ضد إسرائيل وإن وصفهم الغرب بذلك لأنهم يرهبون العدوان الصهيونى ويوقفون عدوانهم.

الضابطه فى قبول الإرهاب

الضابطه فى قبول الإرهاب أو رفضه هو استعماله آله للعدوان ولا يفترق فى ذلك فى الاعتداء على ضحايا أبرياء فى المواجهه مع طرف معتدى جائر أو كانت المواجهه من رأس عدوانيه،فإذا كان الإرهاب متجاوزاً للحدود وعدوانياً كان إرهاباً غير شرعى ومداناً،ويجب التصدى له،أما إذا كان الإرهاب لردع العدوان فهو إرهاب إيجابى، وإذا كان رد العدوان بالإرهاب الإعلامى فهو أفضل من الحرب؛لأن الحرب تكون

۱- (۱) سوره الأنفال.الآيه ۶۰.

۲- (۲) سوره المائده.الآيه ۸۲.

نتيجتها الضحايا والقتلى والخسائر الماديه والبشريه.

وكذلك فيما إذا كان الإرهاب لنيل الحقوق المصادره والمغصوبه بدون التعدى على حقوق الآخرين فهو إرهاب ممدوح،أما إذا كان استخدام الإرهاب للتعدى على حقوق الغير فهو إرهاب سلبى،وهذا ما يبينه الشهيد محمدباقر الصدر فى كلامه حول مسأله قبح الظلم وحسن العدل،أى كيف نعرف الظلم،والظلم-كما يعرف-هو تجاوز حدود الآخرين،والعدل هو أن تستوفى حقوقك من دون أن تتعدى على حقوق الآخرين.

الرؤيه الكونيه الإلهيه والتحضر الغربى

ذكرنا فى البحوث الأُولى فى سلسله بحوثنا أن القانون يستند إلى خلفيه حقوقيه، والحقوق تستند إلى خلفيه أخلاقيه،والأخلاق تستند إلى رؤيه كونيه عقائديه.

فلا يمكن فرض نظريه الحقوق التى تستند إلى رؤيه أخلاقيه ترجع إلى رؤيه عقائديه ماديه على من يعتقد بالرؤيه الكونيه والعقائديه الإلهيه؛لأن المؤمن بالله يعتقد بأن الله هو خالق الكون،وهو أعلم به من غيره،كما فى قوله تعالى.(أَ لا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَ هُوَ اللَطِيفُ الْخَبِيرُ) (1).

أما هؤلاء الماديين الذين لا يعترفون بالخالق،ويجعلون الفرد فى درجاته النازله لا فى درجاته العاليه هو المحور،ويركزون على حريته التى تطلق العنان لغرائزه وشهواته ونزواته،وكذلك الشعار المزيف الذى يرفعونه وهو شعار تحرير المرأه، حيث يريدون أن تصبح المرأه سلعه تباع وتشترى،ولهذا فإن الرئيس الأمريكى فى أحد خطاباته قال.«سنحرر العالم الإسلامى من البرقع،وسنطلق الحقوق الجنسيه»، فهو يسمى إطلاق العنان فى الغرائز الجنسيه حقوقاً،مع أنها عباره عن مجموعه من

1- (1) سوره الملك.الآيه 14.

الرذائل والسقوط الأخلاقى.

تقويم الإنسان فى قواه الساميه

لو رجعنا إلى خلقه الإنسان وتقويمه نجد أن الله قد جعل القوى الساميه للإنسان فى أعلاه،وجعل القوى السافله فى أسفله،فجعل القوى العقليه والبصر والسمع والنطق فى أعلاه؛لأنها أعلى قوى يستخدمها الإنسان،وكذلك لشرفها،وأما القوى الشهويه التى تعدُ من القوى التى تستخدم فى الرذيله فهى فى أسفله،والغرب بثقافتهم يريدون أن يقلبوا الموازين بحيث يجعلون أسفله أعلاه وأعلاه أسفله.

وحتى لو قلنا إن الفرد هو المحور فلماذا لا نركز على القوى الساميه فيه،والواقع إنهم يركزون على القوى الشهويه والغضبيه لا القوى العقليه والهدف من ذلك واضح.

لا للعبوديه لا للاستكبار

قال الله تعالى.(قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلاَ اللهَ وَ لا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَ لا يَتَخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللهِ) ،هذا هو الشعار الذى يرفعه القرآن الكريم ليكون مستنداً يتم التعامل به مع الطوائف الأُخرى؛لأنه يحمل روح التسامح مع الآخرين،بل هو يوضح الطريق الذى لا بد من سلوكه،ولكن الاستكبار العالمى-الذى يتعامل مع الآخرين تعامل العبيد الذين تجب عليهم طاعته - يرفع شعارات الاحتقار والتكبر والظلم،ولهذا فعند عدم الاحتكام إلى العقل لا بد من التوقف عن التعامل معهم،ولذا نجد القرآن يقول فى تكمله الآيه.(فَإِنْ تَوَلَوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنا مُسْلِمُونَ) (١)،أى إننا نسلم أن الكبرياء لله،والعظمه لله،والحاكميه لله، والتشريع لله،وأن الملك لله،والخلق عبيده،ولا يمكن تحقيق العداله فى

١- (١) سوره آل عمران.الآيه ۶۴.

كل جوانبها،سواءً الاقتصاديه أو القانونيه أو السياسيه،إلاإذا جعلنا المحور هو الله تعالى،وأما إذا أصبحت الربوبيه والألوهيه والملك والعظمه للجانب البشرى فهنا تقع الكارثه،وتدب الفتن بين الناس،وأما إذا تركنا الأمر لتحديد الحدود بيد البشر،فإن كل جهه ستعمل على تحقيق مصالحها،كما هو حاصل الآن فى استخدام مصطلح الإرهاب لمحاربه جهات تجاهد من أجل تحرير أراضيها،بينما يتوقفون عن إطلاق هذا المصطلح ضد المحتل العدوانى،فهذا هو بعينه المنطق التعسفى.

ص:٣٣٠

المحاضره العاشره:الإمام الحسين اختار الشهاده ولم يرضخ للإرهاب

اشاره

ص:٣٣١

من رضی بعمل قوم اشرکَ معهم

نعزی سید المرسلین صلی الله علیه و آله فی مصیبه ولده الإمام الحسین علیه السلام،ونتبرأ ممن قتله وظلمه وانتهک حرمته،وبعد فإن هناک حقیقه قرآنیه یخاطب الله بها الیهود الذین عاصروا النبی صلی الله علیه و آله،ویحملهم ما اقترفه آباؤهم قبل عده قرون،فنلاحظ ذلک فی سوره البقره،حیث وصفهم القرآن الکریم بأنهم ممن عمل علی قتل الأنبیاء،وتحریف الکتاب،وإعانه الظالمین،وقد علل أهل البیت علیهم السلام وتبعهم المفسرون هذا الخطاب بأن الجیل الذی عاصر النبی صلی الله علیه و آله کان مقراً وراضٍ عما فعله أسلافه فی تلک القرون، ولهذا فإن الغضب الإلهی کان شدیداً علی الیهود الذین عاصروا النبی صلی الله علیه و آله وکأنهم هم اولئک الذین اقترفوا تلک الجرائم فی العهود السابقه.

وضوح الموقف تجاه الحق والباطل

لا تزال کربلاء المعلم الذی یتضح فیه کل شیء،ونتعلم من خلاله الدروس والعبر، فمنه تعلمنا کیف نقف مع الحق،وأن نتبرأ من الباطل،وکیف نوالی الحق ونسانده ونحبه؛لأنه منطق العدل والعقل،ومن هذا المنطلق یجب علی الاُمه الإسلامیه أن تتبرأ مما فعله بنو امیه من جرائم وفظائع وظلم لأهل البیت علیهم السلام،وأن توالی

سید الشهداء علیه السلام؛لأن موقفها هذا هو بمثابه الحضور فی ساحه کربلاء لنصره الحسین،أما الرضا بقتله فهو بمثابه الحضور فی کربلاء لمقاتله سید الشهداء علیه السلام.

أسباب الارهاب فی النصوص الدولیه

ذکروا فی النصوص الدولیه أن الارهاب المنتشر فی العالم الیوم إنما هو ولید أسباب حصلت فی المجتمعات أدت إلی ظهور الارهاب،ولم یکن ولید الصدفه،حیث ذکروا من هذه الأسباب.

۱-عدم احترام حقوق الإنسان والحریات الأساسیه.

۲-عدم احترام حقوق الطوائف والأقلیات.

۳-عدم الإقرار بحق الشعوب فی تقریر مصیرها.

۴-التمییز العنصری والطائفی.

۵-العدوان علی شعوب العالم الثالث.

۶-التدخل فی الشؤون الداخلیه للدول المتحرره من قِبل الدول العظمی.

۷-احتلال الأراضی.

معالجه أسباب الإرهاب

بعد معرفه أسباب الارهاب فلا بد من معالجتها أولاً حتی یکون باستطاعه العالم القضاء علی هذه الظاهره،ولقد أحسنت إحدی الدول الإسلامیه عندما نصحت الدول الکبری بأن معالجه الإرهاب إنما تتم بمعالجه أسبابه لا بالتصدی لآثاره؛لأن هذه الآثار إنما هی ردود فعل لتلک الأسباب،فبمعالجه الأسباب تحل تلک الظاهره،ولا یمکن حلها بالحروب؛لأن هذا لن یحل المشکله،بل الحل یکمن فی إعطاء کل ذی حق حقه.

عدم الرضوخ للإرهاب

لقد أعطانا الإمام الحسين عليه السلام درساً فى الصمود فى ميدان المطالبه بالحق مهما بلغ بطش الطغاه،قال عليه السلام:

«ألا و إن الدعى ابن الدعى قد ركز بين اثنتين.بين السله و الذله ،و هيهات منا الذله يأبى الله لنا ذلك و رسوله» (۱)،فبالرغم من أن الطاغيه قد جعل له خيارين لا ثالث لهما،وهما.إما الخضوع والذل والاستسلام،وإما القتال والاستشهاد،فاختار الإمام عليه السلام المنازله والقتال وإن لم يبتدء بها،ورفض الخضوع أمام القوه والتهديد،وهذا هو الدرس المستفاد من عاشوراء،حيث علمنا على عدم الاستسلام لبغى وبطش الدول الكبرى على حساب المبادئ والقيم،والالتزام بالخط الإلهى العظيم.

وحينئذٍ تكون مجابهه القوه بالقوه مجابهه مشروعه،ولكن تبقى مع الالتزام بكل الضوابط والحدود الشرعيه،ولهذا كان الإمام الحسين عليه السلام له حدود لا يخرج عنها، وموازين لا يتعداها،وهى الموازين الشرعيه الإسلاميه.فلم يكن منهاجه أن الغايه تبرر الوسيله،بل سن لنا سنه هى أن الغايه تحدد الوسيله،فلم يبدأ بالعنف رغم طغيان خصمه وجبروته وغاشميته ولم يقطع لغه الحوار وبعدما بدأ خصمه بالبطش واجهه بالصمود والثبات الراسخ الذى أحبط وخيب مكيده الخصم وكشف ادعائه الجاهلى لدى المسلمين.

تطابق المواقف بين النبى صلى الله عليه و آله والإمام الحسين عليه السلام

لقد كان أصحاب الحسين فى ليله عاشوراء مستعدين لتلك المواجهه الصعبه التى

۱- (۱) بحار الأنوار.۳۷،۸۳/۴۵-باب ما جرى عليه بعد بيعه الناس ليزيد إلى شهادته،الحديث ۱۰.

سوف تحصل صبيحه الغد ؟ وكذلك إصرارهم على نصره سيد الشهداء مع أن الحسين عليه السلام قد برأ ذمتهم،وجوز لهم الانصراف،وحينها سيكون وحده يواجه هذا الجيش الجرار،وكل ذلك لم يمنعهم من بذل الغالى والنفيس فى هذه المعركه، وبالرغم من حصول الإذن من الإمام عليه السلام لأصحابه بتركه لأنه كان المكلف والمأمور بقتال هؤلاء العتاه،كما أمر اللهُ النبى أن يجاهد الكفار حتى لو وصل به الأمر أن يبقى لوحده فى الميدان،قال تعالى.(فَقاتِلْ فِى سَبِيلِ اللهِ لا تُكَلَفُ إِلا نَفْسَكَ) (١).

فالحسين عليه السلام كان مستعداً للقتال حتى لو بقى وحيداً،وهذا يدلل على أن موقف الحسين فى قتال بنى اميه كان يضاهى ويماثل موقف النبى فى قتال الكفار،وهذا الموقف لم يكن مأموراً به الإمام على عليه السلام؛لأن وظيفه الإمام على عليه السلام،وكذلك الإمام الحسن عليه السلام هو أن يستنصر المسلمين فى قتال أعدائه،فإن نصروه جاهدهم،وإن لم يفعلوا فلا يبقى وحيداً فى الميدان،ويسقط بذلك عنه التكليف،أما الإمام الحسين فوظيفته الشرعيه كانت تلزمه ذلك،ولو استلزم الأمر أن يكون لوحده كما أمر الله نبيه صلى الله عليه و آله فى الآيه الآنفه الذكر.

عمالقه كربلاء بين الموقف والاختبار

هكذا ثبت الإمام الحسين وثبت معه أهل بيته وأصحابه،ولا عجب فى ذلك وكان الحسين قد ورث الشجاعه من جده صلى الله عليه و آله الذى يصفه الإمام على عليه السلام بما معناه:

«كنا إذا حمى الوطيس نلوذ برسول الله» (٢)فقد قال رسول الله صلى الله عليه و آله:

«أما الحسن فإن له هيبتى

١- (١) سوره النساء.الآيه ٨۴.

٢- (٢) ورد.«كنا إذا اشتد البأس،وحمى الوطيس اتقينا برسول الله»-راجع شرح نهج البلاغه:١٩٢/١٣،فى إسلام أبى بكر وعلى عليه السلام.البدايه والنهايه/ابن كثير.۴٢/۶،باب ذكر أخلاقه وشمائله الطاهره،ولكنها خاليه من«وحمى الوطيس».

وسؤددی،و أما الحسین فإن له شجاعتی وجودی» (۱).والملفت فی سیره سید الشهداء علیه السلام أنه قام بغربله أصحابه واختبارهم منذ خروجه من مکه المکرمه،وهذا ما کان یثیر قلقاً عند الحوراء زینب علیه السلام حین قالت له فی کربلاء.«یا أبا عبدالله،هل اختبرت نیه أصحابک،إنی أخاف أن یسلموک عند الوثبه»(۲)،ولکن الحسین کان مطمئناً من وقوف هؤلاء الأبطال فی هذا الزلزال الرهیب موقف الجبال الرواسی فی الریح العاصف،وإن کانت المهمه صعبه إلاأن کربلاء کانت لا ترضی إلاأن یکون أبطالها عمالقه فی الإنسانیه،وقمم فی الفضیله.

ولذلک لا تجد باحثاً أخلاقیاً ولا باحثاً قانونیاً یستطیع أن یسجل مخالفه أخلاقیه أو قانونیه ارتکبها الإمام الحسین رغم صعوبه الظروف وشده الموقف.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمین

وصلی الله علی محمد وآله الطیبین الطاهرین

۱- (۱) بحار الأنوار.۱۲،۲۶۳/۴۳-باب فضائلهما،ومناقبهما،والنصوص علیهما،الحدیث ۱۰.الخصال.۷۷،الحدیث ۱۱۲،نحل النبی صلی الله علیه و آله الحسن علیه السلام والحسین خصلتین،مع اختلاف یسیر.

۲- (۲) ورد.«هل استعلمت من أصابک نیاتهم،فإنی أخشی أن یسلموک عند الوثبه»-راجع مقتل الحسین علیه السلام/المقرم.۲۲۶،لیله عاشوراء.

۱-الاختصاص

الشیخ المفید محمد بن محمد بن النعمان (ت۴۱۳ه).الناشر.مؤتمر الشیخ المفید - قم المقدسه،الطبعه الأُولی/۱۴۱۳ه.

۲-الإرشاد فی معرفه حجج الله علی العباد

الشیخ المفید،أبو عبدالله محمد بن محمد النعمان العکبری البغدادی (ت ۴۱۳ه):

الناشر.مؤسسه آل البیت علیهم السلام لإحیاء التراث،الطبعه الثامنه/۱۴۱۶ه.

۳-اُصول الکافی

محمد بن یعقوب الکلینی الرازی (۳۲۸-۳۲۹ه):الناشر:دار الأُسوه للطباعه والنشر - قم المقدسه،الطبعه الأُولی/۱۳۷۶ه.ش-۱۴۱۸ه.ق.

۴-الأُصول العامه للفقه المقارن

آیه الله السید محمدتقی الحکیم.الناشر:مؤسسه آل البیت علیهم السلام لإحیاء التراث-قم المقدسه،الطبعه الثانیه/۱۳۹۰ه.ق.

۵-اعلام الوری

أمین الإسلام الشیخ أبوعلی الفضل بن الحسن الطبرسی (ت۵۴۸ه).نشر وتحقیق:

مؤسسه آل البیت علیهم السلام لإحیاء التراث-قم المقدسه،الطبعه الأُولی/۱۴۱۷ه.

۶-الأمالی

الصدوق،أبی جعفر محمد بن علی بن الحسین بن موسی بن بابویه القمی (ت ۳۸۱ه):

الناشر.مؤسسه البعثه،تحقیق.قسم الدراسات الإسلامیه،الطبعه الأُولی/۱۴۱۷ه.

۷-الأمالی

الطوسی،أبی جعفر محمد بن الحسن (ت ۴۶۰ه).الناشر.دار الثقافه-قم المقدسه، تحقیق.قسم الدراسات الإسلامیه،مؤسسه البعثه،الطبعه الأُولی/۱۴۱۴ه.

۸-بحار الأنوار

العلامه المجلسی،محمد باقر (ت ۱۱۱۰ه.ق).الناشر.مؤسسه الوفاء-بیروت، الطبعه الرابعه/۱۴۰۴ه.

۹-البدایه والنهایه

الحافظ ابن أبی الفداء إسماعیل بن کثیر الدمشقی (ت۷۷۴ه).تحقیق:علی شیری،الناشر:دار إحیاء التراث العربی-بیروت،الطبعه الأُولی/۱۴۰۸ه.ق - ۱۹۸۸م.

۱۰-تاریخ دمشق

ابن عساکر،الحافظ أبی القاسم علی بن الحسن بن هبه الله بن عبدالله الشافعی (ت ۵۷۱)،تحقیق.علی شیری،الناشر.دار الفکر-بیروت/۱۴۱۵ه-۱۹۹۵م.

۱۱-تاریخ الطبری (المعروف بتاریخ الأُمم والملوک)

أبو جعفر محمد بن جریر الطبری (ت ۳۱۰ه):تحقیق:الأُستاذ عبدالله علی مهنا، الناشر:مؤسسه الأعلمی للمطبوعات-بیروت،الطبعه الأُولی/۱۴۱۸ه-۱۹۹۸م.

۱۲-تاریخ الیعقوبی

أحمد بن أبی یعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الکاتب العباسی (ت ۲۹۲ه):

تحقیق عبدالأمیر مهنا،الناشر.مؤسسه الأعلمی-بیروت،الطبعه الأُولی ۱۴۱۳ه - ۱۹۹۳م.

۱۳-تحف العقول عن آل الرسول

الشیخ الأقدم أبو محمد الحسن بن علی بن الحسین بن شعبه الحرانی (من أعلام القرن الرابع الهجری):الناشر:مؤسسه الأعلمی للمطبوعات-بیروت،الطبعه السادسه/۱۴۱۷ه.- ۱۹۸۸م.

۱۴-تذکره الموضوعات

فتنی،طاهر بن علی الهندی (ت ۹۸۶ه).

۱۵-تفسیر ابن کثیر (المعروف بتفسیر القرآن العظیم)

الإمام الحافظ عماد الدین بن أبی الفداء إسماعیل بن کثیر الدمشقی (ت۷۷۴ه):

الناشر.دار الکتب العلمیه-بیروت،الطبعه الأُولی/۱۴۱۹ه-۱۹۸۸م.

۱۶-تفسیر القرطبی (المعروف بالجامع لأحکام القرآن)

أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاری القرطبی.تحقیق.محمد جعفر شمس الدین، الناشر.دار الفکر-بیروت/۱۴۱۵ه-۱۹۹۵م.

۱۷-تفسیر القمی

أبو الحسن علی بن إبراهیم بن هاشم القمی (من أعلام القرن الثالث الهجری):

الناشر:مؤسسه الأعلمی للمطبوعات-بیروت،الطبعه الأُولی/۱۴۱۲ه-۱۹۹۱م.

۱۸-تفسیر مجمع البیان

أمین الإسلام أبی علی الفضل بن الحسن الطبرسی (من أعلام القرن السادس الهجری).الناشر.مؤسسه الأعلمی-بیروت،الطبعه الأُولی/۱۴۱۵ه-۱۹۹۵م.

۱۹-التوحید

الصدوق أبوجعفر محمد بن علی بن الحسین بن بابویه القمی (ت ۳۸۱ه):

تحقیق.السید هاشم الحسنی الطهرانی،الناشر.مؤسسه النشر التابعه لجماعه المدرسین-قم المقدسه،الطبعه الثامنه/۱۴۲۳ه.

۲۰-تهذیب الأحکام

شیخ الطائفه أبی جعفر محمد بن الحسن الطوسی (ت ۴۶۰ه):الناشر:دار التعارف للمطبوعات-بیروت/۱۴۱۲ه-۱۹۹۲م.

۲۱-تهذیب الکمال

المزی جمال الدین أبی الحجاج یوسف (ت ۷۴۲ه).تحقیق د.بشار عواد معروف،الناشر.مؤسسه الرساله-بیروت،الطبعه الأُولی/۱۴۱۳ه-۱۹۹۲م.

۲۲-جامع البیان عن تأویل آی القرآن (المعروف بتفسیر الطبری)

أبو جعفر محمد بن جریر الطبری (ت ۳۱۰ه).تحقیق.د.عبدالله بن عبدالمحسن الترکی،الناشر.هجر للطباعه والنشر،الطبعه الأُولی/۱۴۲۲ه-۲۰۰۱م.

۲۳-جامع السعادات

الشیخ محمد مهدی النراقی (ت۱۲۰۹ه):الناشر:مؤسسه الأعلمی للمطبوعات - بیروت،الطبعه السابعه/۱۴۲۲ه-۲۰۰۲م.

۲۴-الخصال

الشیخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علی بن الحسین بن بابویه القمی (۳۸۱ه):

الناشر:مؤسسه الأعلمی للمطبوعات-بیروت،تحقیق:علی أکبر الغفاری،الطبعه الأُولی/۱۴۱۰ه-۱۹۹۰م.

۲۵-الدر المنثور فی التفسیر بالمأثور

الإمام الحافظ جلال الدين السيوطى (ت۹۱۱ه).الناشر.دار إحياء التراث العربى - بيروت،الطبعه الأولى/۱۴۲۱ه-۲۰۰۱م.

۲۶-رجال الكشى

شيخ الطائفه أبى جعفر محمد بن الحسن الطوسى (ت۴۶۰ه).الناشر.وزاره الثقافه والإرشاد-طهران الطبعه الأولى/۱۳۸۲ه.ش.

۲۷-سلسله الأحاديث الصحيحه وشيء من فقهها وفوائدها

محمد ناصر الدين الألبانى:الناشر:مكتبه المعارف للنشر والتوزيع-الرباط/۱۴۱۵ه - ۱۹۹۵م.

۲۸-سنن ابن ماجه بشرح السندى:

تحقيق.الشيخ خليل مأمون شيحا،الناشر.دار المعرفه-بيروت،الطبعه الثانيه/ ۱۴۱۸ه-۱۹۹۵م.

۲۹-سنن أبى داود

أبو داود،سليمان بن الأشعث السجستانى (ت ۲۷۵ه).تحقيق.سعيد محمد اللحام، الناشر.دار الفكر-بيروت،الطبعه الأولى/۱۴۱۰ه-۱۹۹۰م.

۳۰-السنن الكبرى

الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى (ت۴۵۸ه):الناشر:مكتبه المعارف-الرياض،الطبعه الأولى/۱۳۵۶ه.ق.

۳۱-شرح نهج البلاغه

عز الدين أبى حامد عبدالحميد بن هبه الله المدائنى (الشهير بابن أبى الحديد المعتزلى) (ت۶۵۶ه):الناشر:مؤسسه الأعلمى للمطبوعات-بيروت،الطبعه الأولى/۱۴۱۹ه-۱۹۹۹م.

۳۲-صحیح البخاری

الحافظ أبو عبدالله محمد بن إسماعیل بن إبراهیم بن المغیره الجعفی (ت ۲۵۶ه):

الناشر.دار المنار/۱۴۲۲ه-۲۰۰۱م.

۳۳-صحیح الترمذی

أبو الفتوح عبدالله بن عبدالقادر التلیدی الحسنی الطبخی:الناشر:دار المعرفه-الدار البیضاء.

۳۴-صحیح مسلم بشرح النووی

تحقیق.الشیخ خلیل مأمون شیحا،الناشر.دار المعرفه-بیروت،الطبعه الثامنه/ ۱۴۲۲ه-۲۰۰۱م.

۳۵-الضعفاء الکبیر

أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسی بن حماد العقیلی المکی.تحقیق.د.

عبدالمعطی أمین قلعچی،الناشر.دار الکتب العلمیه-بیروت،الطبعه الثانیه/ ۱۴۱۸ه.۱۹۹۸م.

۳۶-علل الشرائع

الشیخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علی بن الحسین بن بابویه القمی (ت۳۸۱ه):

الناشر.مؤسسه الأعلمی للمطبوعات-بیروت،الطبعه الأُولی/۱۴۰۸ه-۱۹۸۸م.

۳۷-عوالی اللآلی

ابن جمهور الاحسائی (من علماء القرن العاشر الهجری).تحقیق.الحاج آقا مجتبی العراقی،الطبعه الأُولی/۱۴۰۳ه-۱۹۸۳م.

۳۸-غرر الحکم ودرر الکلم

الآمدی عبدالواحد بن محمد التمیمی.الناشر.مکتبه الإعلام الإسلامی-قم

المقدسه،الطبعه الاُولی/۱۳۶۶ه.

۳۹-الفتح القدیر

الشوکانی،محمد بن علی بن محمد (ت ۱۲۵۰ه).الناشر.عالم الکتب-بیروت.

۴۰-فروع الکافی

الشیخ محمد بن یعقوب الکلینی (ت۳۲۸-۳۲۹ه):تحقیق:محمد جعفر شمس الدین، الناشر:دار التعارف للمطبوعات-بیروت/۱۴۱۳ه-۱۹۹۲م.

۴۱-الکافی

ثقه الإسلام محمد بن یعقوب الکلینی (ت۳۲۸-۳۲۹ه).الناشر.دار الاُسوه للطباعه والنشر-طهران،الطبعه الاُولی/۱۳۷۶ه.

۴۲-کامل الزیارات

الشیخ أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولویه القمی (ت۳۶۸ه):نشر وتحقیق:

مؤسسه نشر الفقاهه-قم المقدسه.

۴۳-کشف الخفاء ومزیل الالتباس

العجلونی الجراحی (ت ۱۱۶۲ه).الناشر.دار الکتب العلمیه-بیروت،الطبعه الثالثه /۱۴۰۸ه-۱۹۸۸م.

۴۴-کتاب المجروحین

ابن حبان محمد بن حبان بن أحمد بن حاتم التمیمی البستی (ت۳۴۵ه).تحقیق:

محمود إبراهیم زاید،الناشر.دار الباز للنشر-مکه المکرمه.

۴۵-کفایه الطالب فی مناقب علی بن أبی طالب

أبو عبدالله محمد بن یوسف بن محمد القرشی الکنجی الشافعی (ت۶۵۸ه).تحقیق:

محمد هادی الأمینی،الناشر:دار إحیاء تراث أهل البیت علیهم السلام-طهران،الطبعه

الثالثه/۱۴۰۴ه.ق-۱۳۶۲ه.ش.

۴۶-کمال الدین وتمام النعمه

الشیخ الصدوق محمد بن علی بن الحسین ابن بابویه القمی (ت۳۸۱ه).الناشر:

مؤسه الأعملی للمطبوعات بیروت،الطبعه الاُولی/۱۴۱۲ه-۱۹۹۱م.

۴۷-لسان العرب

الإمام العلامه ابن منظور (ت۷۱۱ه).تحقیق.علی شیری،الناشر.دار إحیاء التراث العربی-بیروت،الطبعه الاُولی/۱۴۰۸ه-۱۹۸۸م.

۴۸-لسان المیزان

شهاب الدین أحمد بن علی بن محمد بن محمد بن علی بن أحمد،الشهیر بابن حجر العسقلانی (ت۸۵۲ه).تحقیق.مکتب التحقیق بإشراف محمد عبدالرحمن المرعشلی،الناشر.دار إحیاء التراث العربی-مؤسسه التاریخ العربی-بیروت، الطبعه الاُولی/۱۴۱۶ه-۱۹۹۵م.

۴۹-اللهوف علی قتلی الطفوف

السید علی بن طاووس الحلی (ت۶۶۴ه):الناشر:دار العالم (جهان)-طهران /۱۳۴۸ه.ش.

۵۰-مثیر الأحزان

ابن نما الحلی (ت۶۴۵ه).:الناشر.مدرسه الإمام المهدی (عج)-قم المقدسه /۱۴۰۶ه.

۵۱-مجمع الأفکار

المیرزا هاشم الآملی (ت۱۴۱۳ه):الناشر:المطبعه العلمیه-قم المقدسه،المقرر:

إسماعیل بورشهررضائی/۱۳۹۵ه.

۵۲-مختصر بصائر الدرجات

الحلی،أبو محمد الحسن بن سلیمان بن محمد بن خالد (من أعلام القرن الثامن الهجری).الناشر.دار المفید-بیروت،الطبعه الأُولی/۱۴۲۳ه-۲۰۰۳م.

۵۳-مجمع الزوائد ومنبع الفوائد

الهیثمی علی بن أبی بکر نور الدین (ت ۸۰۷ه).تحقیق.عبدالله محمد الدرویس، الناشر.دار الفکر-بیروت/۱۴۱۴ه-۱۹۹۴م.

۵۴-مروج الذهب

المسعودی أبو الحسن علی بن الحسین (ت۳۴۶ه).تحقیق.عبدالأمیر مهنا، نشر مؤسسه الأعلمی-بیروت،الطبعه الأُولی/۱۴۱۱ه-۱۹۹۱م.

۵۵-المستدرک علی الصحیحین

الحافظ عبدالله محمد بن عبدالله النیسابوری (المعروف بالحاکم):تحقیق:د.

محمود مطرجی،الناشر:دار الفکر-بیروت،الطبعه الأُولی/۱۴۲۲ه-۲۰۰۲م.

۵۶-مستدرک الوسائل

الحاج میرزا حسین النوری الطبرسی (ت۱۳۲۰ه.):نشر وتحقیق:مؤسسه آل البیت علیهم السلام لإحیاء التراث-قم المقدسه،الطبعه الأُولی/۱۴۰۷ه.

۵۷-مسند أحمد

الإمام أحمد بن حنبل (ت۲۴۱ه).الناشر.دار صادر-بیروت.

۵۸-المصباح

الکفعمی إبراهیم بن علی (ت ۹۰۵ه).الناشر.دار الرضی (الزاهدی)-قم المقدسه/۱۴۰۵ه.

۵۹-مصباح المتهجد

الشیخ الطوسی أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ۴۶۰ه).الناشر.مؤسه فقه الشیعه-بیروت،الطبعه الأُولی/۱۴۱۱ه-۱۹۹۱م.

۶۰-المصباح المنیر

الفیومی أحمد بن محمد بن علی المقری (ت ۷۷۰ه).الناشر.دار الفکر-بیروت.

۶۱-معانی الأخبار

الشیخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علی بن الحسین بن بابویه (ت ۳۸۱ه):الناشر:

مؤسسه الأعملی للمطبوعات-بیروت،الطبعه الأُولی/۱۴۱۰ه-۱۹۹۰م.

۶۲-المفردات فی غریب القرآن

الراغب الاصفهانی أبو القاسم الحسین بن محمد (ت ۵۰۲ه).تحقیق.محمد خلیل عتیانی،الناشر.دار المعرفه-بیروت،الطبعه الثانیه/۱۴۲۰ه-۱۹۹۹م.

۶۳-مکارم الأخلاق

الطبرسی،رضی الدین أبی نصر الحسن بن الفضل (من أعلام القرن السادس الهجری).الناشر.مواسسه الأعلمی-بیروت،الطبعه الأُولی/۱۴۱۴ه-۱۹۹۴م.

۶۴-مقتل الحسین

العلامه السید عبدالرزاق المقرم:الناشر:آل علی ۷،الطبعه الأُولی/۱۴۲۴ه.ق - ۱۳۸۲ه.ش.

۶۵-مناقب آل أبی طالب

أبو جعفر محمد بن علی بن شهرآشوب السروی المازندرانی:الناشر:دار الأضواء -بیروت،الطبعه الثانیه/۱۴۱۲ه-۱۹۹۱م.

۶۶-من لا یحضره الفقیه

الشیخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علی بن الحسین بن بابویه القمی (ت۳۸۱ه):

تحقیق:محمد جعفر شمس الدین،الناشر:دار التعارف للمطبوعات-بیروت /۱۴۱۱ه-۱۹۹۱م.

۶۷-میزان الاعتدال

الذهبی أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان (ت۷۴۸ه).تحقیق.علی محمد البجاوی،الناشر.دار الفکر-بیروت.

۶۸-المیزان فی تفسیر القرآن

العلامه السید محمدحسین الطباطبائی:الناشر:مؤسسه الأعملی للمطبوعات - بیروت،الطبعه الأُولی/۱۴۱۷ه-۱۹۹۷م.

۶۹-نهج البلاغه (ما جمعه الشریف الرضی من کلام أمیر المؤمنین علیه السلام)

تحقیق:د.صبحی الصالح،الناشر:منشورات دار الهجره-قم المقدسه،الطبعه الخامسه.

۷۰-وسائل الشیعه

الحر العاملی محمد بن الحسن (ت ۱۱۰۴ه).نشر وتحقیق مؤسسه آل البیت علیهم السلام لإحیاء التراث،الطبعه الأُولی/۱۴۱۳ه-۱۹۹۳م.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ۱۴۲۶ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثرها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبيّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ في المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين في الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

٤.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فی تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

هاتف المكتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹